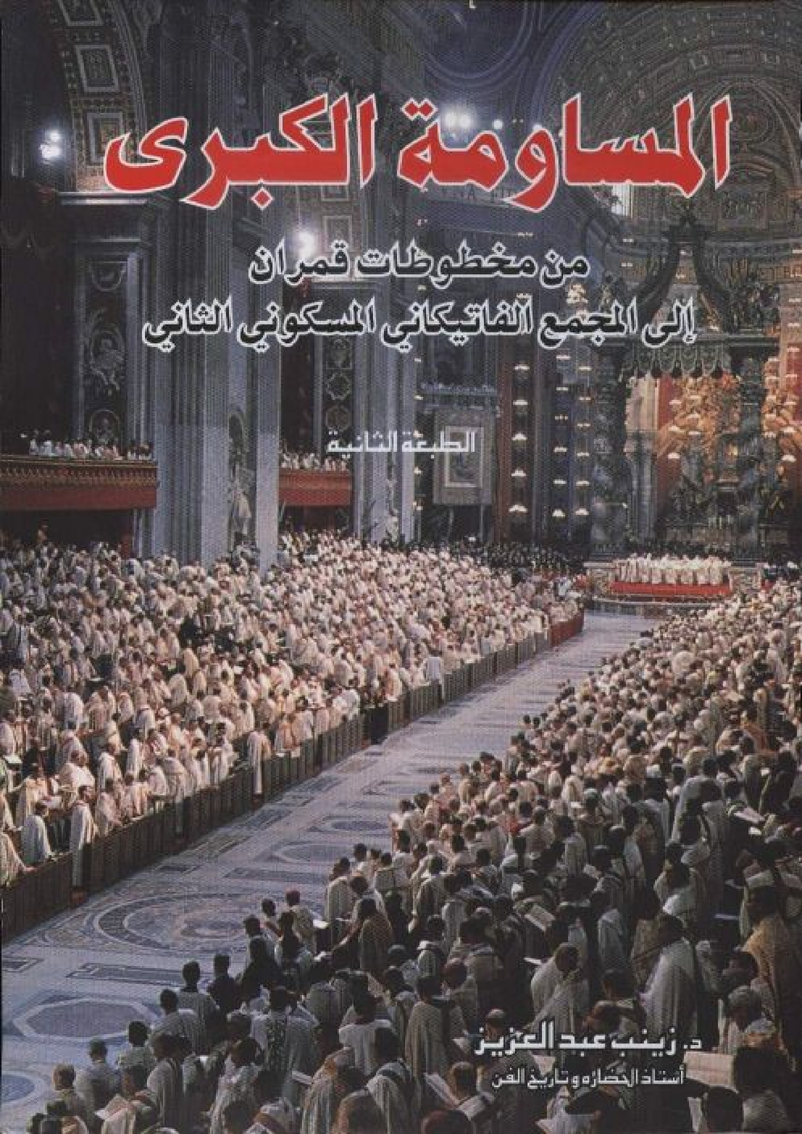

المساومة الكبرى

من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني

الطبعة الثانية

د. زينب عبد العزيز
أستاذ الحضارة وتاريخ الفن

العالمي، نقطة فارقة لكل ما تمخض عنه من أحداث وقرارات كادت تصدع جدرانه إذ انقسم عدد من قادته احتجاجاً، وحُرم وجُرد من مهامه الكنيسية والوظيفية، بينما انزوى البعض الآخر في استكانة راضخة أو تسلل خارجًا بهدوء فيما يطلقون عليه النزيف الصامت للكنيسة..

وإذا ما قمنا باختصار قرارات ذلك المجمع، رغم تعدد وثائقه وتنوعها فلا يمكن اختصار قرارين أساسيين هما : تبرئة اليهود من دم المسيح وتنصير العالم. ونقطة الربط هنا، بين المجمع ومخطوطات قمران هي تاريخ سنة ١٩٤٨ . فاللافت للنظر هو انه في ١٤ مايو ١٩٤٨ قد تم الإعلان عن العثور على مخطوطات قمران، وفي نفس ذلك اليوم ١٤مايو ١٩٤٨ قد تم فيه الإعلان عن قيام «دولة إسرائيل» – كما يطلقون عليها. أي إضفاء شرعية على ما لا شرعية له – وهذه قضية لا تدخل في نطاق البحث إلا من بعيد.

فلا يبقى من قراريّ المجمع الفاتيكاني إلا ذلك القرار الذي تم الإعلان عنه بصورة ملتوية أولاً، بمعنى «توصيل الإنجيل لكافة البشر» ثم أعلن البابا يوحنا بولس الثاني صراحة حين طالب سنة ١٩٨٢ بضرورة تنصير العالم. وهي الحملة المتزايدة الإيقاع والتي لم يعد أحد يغفلها خاصة بعدما يطلق عليه: «مسرحية الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١».

وبما أننا في فترة «ضرورة فرض» هذا التنصير بأي وسيلة وبأي ثمن، فقد آثرت دراسة هذا الدين اعتماداً على نشر من وثائق

وأبحاث في نفس ذلك الغرب المسيحي، وكثير منها بأقلام كنسيين، إضافة إلى ما قاله السيد المسيح: «فتشوا الكتب.. وهي التي تشهد لي» (يوحنا ٥:٣٩).

وقد اعتمدت على الكتاب المقدس بعامة، وعلى العهد الجديد بخاصة، في طبعات ١٦٧١ و١٩٦٦ و١٩٨٨. وذلك لاختلاف النص من طبعة لأخرى - حتى وإن كان مجرد إضافة أو حذف أداة تعريف، وما أكثر ما يتبدل من معنى من مجرد هذا التغيير.

وكل ما أود التأكيد عليه هو أنه ما من إنسان منا يولد وقد اختار بلده وأسرته وديانته، وإنما نولد جميعاً في محيط لا دخل لنا به. وكل منا يكبر وينمو متشرباً عادات وتقاليد بلده وأسرته، مؤمناً بذلك الدين الذي شب عليه. إلا أن مجريات الأحداث ومعايشتها توجه الإنسان إلى البحث والدراسة والمقارنة.. وهنا يأتي دور الاختيار الذي يتعين على كل امرءٍ القيام به. فاعتناق الدين بالوراثة شيء، واعتناقه عن علم ويقين ثابت شيء آخر - فالكفر والإيمان هي قضية خاصة بضمير كل إنسان..

لذلك فتشت الكتب، وخرجت بما شَهِدَتْ به.

ويتكون البحث من نقاط متتالية، ندرس خلالها كيف كانت نظرة من كتبوا عن المسيحية من المؤرخين القدامى، وفي عصر التنوير، ثم المعاصرون، وكيف كانت النظرة النقدية لها واحدة لم تتغير منذ البداية - وإن كانت قد ازدادت عمقاً وخطورة مع اكتشاف المخطوطات الجديدة سواء في منطقة قمران بالبحر الميت، أو في نجع حمادي بصعيد مصر.

ثم نلقي بنظرة أكثر تفحصاً للأناجيل بعامة، ومنها إلى العقائد المسيحية وكيفية تكوينها، ومنها إلى أهم ركيزتين للمسيحية الحالية وهما: بعث يسوع ومحاكمته، وقد آثرنا وضع زعم بعثه قبل المحاكمة التي تكشف يقيناً بناء على الدراسات الحديثة أنهم ما قتلوه وما صلبوه - وهي القضية التي تلغي بجرة قلم كل ما بُني عليها.

بعد ذلك نعرض لمخطوطات قمران لنوضح جزءاً مما اعتراها من مغامرات وتحكم من جانب المؤسسة الفاتيكانية والمؤسسة الكنسية بعامة، ومنها إلى مجمع الفاتيكان الثاني وتبرئته لليهود والكشف عن خيوط تلك المساومة الكبرى التي تمت وأدت إلى ذلك القرار بتبرئة اليهود رغم مخالفة ذلك للنصوص الإنجيلية والكنسية.

ونتناول في الخاتمة وعبر جولة هذه النقاط المتتالية ما تؤدي إليه من كشف للحقائق.. فحينما تتعلق المساومة بالدين تتلاحق علامات الاستفهام..

الدكتورة زينب عبد العزيز

اليهود»، تلك التي كان يمتلكها أوريجين في مطلع القرن الثالث والذي كان يؤكد أن فلافيوس جزويف كان يرفض «الاعتقاد بالمسيح» ومن المعروف أن فلافيوس جوزيف كان شديد التمسك باليهودية الفاريسية، وهو ما يبدو في كل أعماله، خاصة في سيرته الذاتية وفي الكتاب الهجومي الذي ألفه «ضد أبيون».

ويؤكد الأب جيليه أمين مكتبة سانت جنفييف ومترجم أعمال فلافيوس جوزيف سنة ١٧٥٦ : «**أن التناقضات والتحريف يتولد امامي في كل خطوة. انني مضطر إلى القول بأن كتاباته قد تم تعديلها بحيث أصبح يتناقض مع نفسه، وأخشى من تكرار ذلك القول وأثره غير الحميد على أعماله**».

ويوضح روجيه بترينييه (Roger Peytrignet) إن «**المسيحيين قد استولوا على أعمال جوزيف، إذ أن مواطنيه قد تباعدوا عنه، لانضمامه إلى صفوف الرومان، وراحوا يحرفونها وفقاً لهواهم**» (**يسوع المسيح أسطورة أم شخص تاريخي**» صفحة ٢٩).

ويؤكد كل من ألفاريك وكوشو، في كتاب لهما حول «**مشكلة يسوع وأصول المسيحية**» استحالة أن ينطق فلافيوس جوزيف بمثل هذا القول «**لأنه لو كان قد قاله حقاً لكان مسيحياً. إلا انه كان شديد التعلق بيهوديته الفاريسية، وهو ما نطالعه في مؤلفاته اللاحقة**».

وإجماع آخر من كافة الباحثين على أن تلك الفقرة أضيفت بفعل فاعل يوضح أن الجزء الذي أضيفت فيه لا يتفق وسياق الكلام، حيث إن جوزيف كان يتحدث عن المصائب التي لحقت بمواطنيه أيام بيلاطس، وأنه إذا ما حذفت تلك الفقرة فإن سياق الكلام يتواصل بموضوعية واضحة!

أما أندريه فوتييه (André Vautier)، فيوضح في كتابه عن «**لغز يسوع**» أن فلافيوس جوزيف قد كتب عدة ترجمات «لحرب اليهود» وأن النص الآرامي له يرجع إلى عام ٧٥م، والنص اليوناني إلى ٧٩م، وأن هذه الترجمة اليونانية لا تتضمن أية إشارة إلى يسوع إلا أن الأبحاث قد دلت على أن الجزء الأول والأجزاء من ثلاثة إلى سبعة رائعة الصياغة والمضمون الدقيق، إلا أن الجزء الثاني الذي يقص الأحداث التي تتوافق والفترة التي عاش فيها يسوع رديئة الصياغة وغير متناسقة المضمون، وذلك دليل قاطع على أن هذا الجزء قد تم التلاعب فيه بأيدي النسّاخ المسيحيون، وهنا يوضح: «يجب علينا الا ننسى أن القساوسة وحدهم هم الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة، وأن الأجزاء المتعلقة بيسوع وبيوحنا المعمدان قد قاموا بإلغائها من النسخ التي عملوها للنص اليوناني».

لذلك يؤكد أندريه فوتييه بإصرار واضح: «ان كتاب (**حرب اليهود**) والجزء الثامن عشر من كتاب «**التاريخ القديم لليهود**» اللذان يتناولان أحداث القرن الأول الميلادي «**تتضمن آثاراً شديدة الوضوح للتغيير والتبديل، والنصوص المدسوسة، والنصوص المحذوفة**».

ويشير فوتييه في الفصل الثالث من كتابه إلى أن مقدمة كتاب «**حرب اليهود ضد الرومان**»: «**النص اليوناني يتضمن ملخصاً لما سوف يتناوله الكتاب، وفي هذه المقدمة، فإن الكتاب في وضعه الراهن، ينتقل فجأة من حكم الامبراطور أغسطس إلى السنة الثانية عشرة من حكم الامبراطور نيرون**»!.

أي أنها فجوة تشتمل على حوال ستين عاماً «ومن اللافت للنظر أن هذه الفجوة هي الفترة التي تحتوي على نشاطات كل من يوحنا المعمدان، ويسوع الناصري، وبولس الطرسوسي».

ومن الواضح أنه لا يمكن لواحد في مثل دقة فلافيوس جوزيف أن يقفز متغاضياً عن مثل هذه الحقبة بكل ما بها من أحداث مصيرية. وهنا لا يمكن لأي دارس أمين إلا أن يشير بأصابع الاتهام إلى الأيادي العابثة في الكنيسة التي من الواضح أنها قامت، منذ لحظاتها الأولى، على عبثيات الغش والتحريف والتزوير.

لذلك يقول لويجي كاتشيولي: «إن الكنيسة قد حرفت الفقرات الواردة في مؤلفات فلافيوس جوزيف، واختلقت حريق روما الذي نسبته إلى نيرون حتى يمكن اعتبار الضحايا أو شهداء الأسينيين أنهم شهداء المسيحيين والعديد من الأكاذيب التي لا يكفي مجلداً لاستيعابها، إنها أكاذيب ما أن يكتشفها القارئ حتى تؤدي إلى نتيجة عكسية لما أراده المزيفون. وتكفي الإشارة إلى كم التحريف الذي قام به يوسبيوس، أسقف القيصرية (٣١٤ – ٣٤٠)، والذي يطلق عليه المؤرخون لقب «المزوِّر»، لنرى ما الذي قام به المسيحيون لمواجهة نقص الوثائق ولمحاولة إثبات الوجود التاريخي للشبح الذي أطلقوا عليه اسم يسوع» («**مهزاة المسيح**»، صفحة ١١١).

ويورد العالم القس السابق جي فو (Guy Fau) في كتابه المعنون «خرافة يسوع المسيح» «أن النصوص المتعلقة بيسوع المسيح ظهرت لأول مرة في القرن الرابع في أعمال يوسبيوس ولم تكن قد وُجدت بعد في كتاب «**الآثار العبرانية**» في عهد أوريجين (١٨٥ – ٢٥٤)، بما أنه هو بنفسه يؤكد في كتابه المعنون «**ضد سلسيوس**» أن فلافيوس جوزيف لم يتحدث أبداً عن يسوع يُدعى المسيح. **أن التزوير لشديد الوضوح لدرجة أن الكنيسة نفسها لم تعد تدافع عن تلك الفترة المدسوسة في أعمال فلافيوس جوزيف**».

بها المسيح «بأعمال من السحر مأخوذة من عبادة الشياطين ولذلك حكم عليه بالموت لمحاولته إغراء الشعب اليهودي وحثه على الثورة».

ووفقاً للتلمود فإن المسيح لم يصلب وإنما تم رجمه ثم عُلق على شجرة. ويورد بيير دي جرانميزون (Pierre de Grandmaison) في كتابه عن «يسوع المسيح» نصاً آخر يقول: «وأخيراً تمت محاكمته في ليدّا واتهامه بالسحر والإرتداد. وقد وُضع على عمود التشهيد طوال الأربعين يوماً التي سبقت موته، وكان المنادي يعلن بصوت عالٍ: هذا الشخص سيرجم لأنه مارس السحر وأضل إسرائيل. وأي شخص يعرف شيئاً لتبرأته ليتقدم بشهادته ويعلنها. لكن أحداً لم يتقدم وتم إعدامه يوم الاستعداد لعيد الفصح. ويقول آخرون أنه تم رجمه»!

وهنا لابد من الإشارة إلى موقف اليهود من المسيحية، فعلى الرغم من كل ما قدمه الفاتيكان من تنازلات تخرجه تماماً عن نصوص الأناجيل وعقائد المسيحيين بتبرأة اليهود من دم المسيح في مجمع الفاتيكان الثاني، وذلك رغم ٣٥ إشارة في إنجيل يوحنا وحده تتهم اليهود بقتل المسيح، فإن اليهود لم يغيروا من موقفهم ولا من نصوصهم التي تتهم مولد السيد المسيح بالسفاح والعياذ بالله.

المشناه:

والمشناه هي مجموعة من ٦٢ بحثاً لليهودية وتعليق على التوارة وتدوين للشرع الشفهي وتمثل القاعدة الأساسية للتلمود إضافة إلى تعليقين آخرين. وقد عثر هيلل (Hillel) البابلي، وهو أحد علماء الحخامات، على نسخة من المشناه سنة ٤٠ ق.م، في منطقة طبرية قرب بحر الجليل حيث دارت أحداث حياة يسوع. ومع ذلك فلا تتضمن المشناه أي شيء مطلقاً عن يسوع أو الحواريين رغم إنها تتناول كل «الهرطقات» التي تعرضت للمحكمة العليا اليهودية منذ ٤٠ ق.م حتى حوالي سنة ٢٢٧م.

وتعد المشناه بمثابة أو هي أشبه ما تكون بيوميات لأعمال المعبد اليهودي وتاريخ الفاريسيين الذين تم اتهامهم بقتل يسوع - كما يقولون - فكيف لم يحاول أي حخام أن يستبعد مثل هذه التهمة؟ أنه صمت يفسره بعض العلماء الحداث على أن يسوع قد وجد قبل التاريخ الذي بدأ فيه تدوين المشناه.

● ترى ما هو الغرض من تجسد الله ونزوله على الأرض كما تزعمون؟ أهو بهدف أن يعرف ما يدور بين الناس؟ لكن، أليس الله عليماً بكل شيء؟ أم أنه بعلمه كل شيء فإن قدرته الإلهية محدودة ولا يمكنه إصلاح أي شيء إن لم ينزل بنفسه أو أن يرسل مندوباً عنه؟!

● هل يمكن لأي جسد بعد أن يتحلل أن يعود إلى حالته الأولى؟ وإذ تخرسهم الإجابة، لا يجد المسيحيون ما يقولونه سوى أن كل شيء ممكن بالنسبة لله. لكن الله الحق لا يمكنه أن يفعل شيئاً مخزياً ولا أن يطلب شيئاً منافياً للطبيعة.

وإذا ما كان النقد الذي يوجهه سيلس للمسيحيين أو للمسيحية يدخل إجمالاً في دائرة النقد إلا أن هناك فقرة تستوجب التوقف والدراسة لأهميتها بالنسبة لحياة يسوع. وفيها يوجه سيلس الكلام إلى يسوع مباشرة قائلاً: «لقد بدأت بأن اختلقت لنفسك نسباً مجيداً بزعم أنك ولدت من عذراء. وفي الواقع أن أصلك من كوخ متواضع في اليهودية، وابن ريفية مسكينة كانت تقتات من عملها. وقد وقعت في الزنا مع جندي روماني اسمه بانتيرا، وقد طردها زوجها النجار (...) وسافرت إلى مصر حيث رحت تعمل بساعديك بالأجر، وهناك قد تعلمت بعضاً من تلك الألعاب السحرية التي يجيدها المصريون. ثم عدت إلى بلدك مزهواً بالأعمال السحرية التي تجيدها وأعلنت نفسك إلهاً».

وبغض الطرف عما في هذا النص من تجريح بالسيدة مريم - وإن كان لا يزال الاتهام وارداً بالأناجيل، فإن ما يستوقف الانتباه هنا هو ذهاب يسوع إلى مصر وبقائه فيها فترة طويلة وتعلمه الأعمال الخارقة التي كان يجيدها العديد من الكهنة المصريين القدماء. إنها نقطة جديرة بالبحث والدراسة خاصة أن حياة يسوع من سن الثانية عشرة حتى سن الثلاثين في غموض مطلق ولا أحد يعلم عنها أي شيء.

وفي كتاب للعالم الفرنسي لويس روجييه (Louis Rougier) بعنوان «**الخطاب الحق ضد المسيحيين**»، يشير إلى ظاهرة لافتة للنظر حول أصول المسيحية الأولى والاهتمام الذي يكاد لا يذكر الذي أثارته دعاية الديانة الجديدة في المجتمع الوثني حتى النصف الثاني من القرن الميلادي الثاني. موضحاً كيف أن اسم المسيح قد تسلل خلسة في التاريخ العلماني، بأبجدية خطأ في الكتاب الذي ألفه سويتون عن «حياة اثنا عشر قيصراً»، حيث يقول المؤلف بمناسبة أحد أفعال كلوديوس: «لقد طرد من روما كل اليهود الذين كانوا في هيجان شعبي متواصل بسبب تحريض واحد اسمه كرستوس (Chrestus)».

وبعد ذلك بقليل، أيام نيرون، يورد كاتب حولياته عبارة: «أنه قد تم فرض عقاب على المسيحيين، تلك الفئة من الرجال الذين يتبعون شعوذة ديانه مؤذية». ثم يوضح لويس روجييه أن تاسيتوس وهو يكتب بعد ذلك بنصف قرن عن الأحداث التي يرويها وقبل سويتون، يعلن أن نيرون، لكي يحد من الشائعات التي كانت تتهمه بحريق روما سنة ٦٤م، قدم بعض المتهمين إلى المحاكمة ممن كان يطلق عليهم العوام عبارة «مسيحيون».

ويشير روجييه إلى أن تاسيتوس يقدم المسيحيين في كتاباته على إنها فئة من أحط الطبقات وهم «مكروهون لرجسهم (Flagitio)، ومضطهدون لأنهم كانوا يعترفون بذلك، والبعض الآخر لأنهم كانوا مقتنعين بعدائهم للجنس البشري».

ومن الناحية التاريخية، فإن خطاب بليني، أيام كان حاكماً لبلدة بيتاني، والذي أرسله إلى الامبراطور تراجان سنة ١١٢م، يعد أقدم وثيقة في النصوص العامة والمتعلقة بالمسيحيين، وهي في نفس الوقت الشهادة الأقل غموضاً عن النقص الشديد في المعلومات، في مطلع القرن الثاني، وسط الطبقات المثقفة فيما يتعلق بموضوع الطائفة الجديدة.

ويقول روجييه، «على الرغم من أهميته الكبيرة، فإن كتاب سيلس قد مر وكأن أحداً لم يلحظه، فالمسيحيون في أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث لا يتحدثون عنه أبداً. وعندما قام قسطنطين صبيحة مجمع نيقية سنة ٣٢٥، ثم بعد ذلك بعام تقريباً، قرر هدم المعابد الوثنية. وفي سنة ٤٩٩، عندما قام الامبراطور المسيحي تيودوز الثاني ومن بعده فالنتينيان الثالث بإصدار أمر «بهدم كل ما كان يمكنه إثارة الغضب الإلهي ويجرح النفوس»، لم يذكر كتاب سيلس مع أعمال بورفير وآريوس، ويمكننا تخمين أن النص الأصلي كان قد ضاع منذ فترة طويلة» (صفحة ٣١).

ثم يشير إلى أن أوريجون قد كتب فيما بين ٢٤٦ و٢٤٩ ثمانية كتب لتفنيد الكتب الأربعة التي كانت تتضمن النص الأصلي الذي كتبه سيلس. وبفضل ردود أوريجون، يقول روجييه: «أصبحنا بذلك نمتلك ٩ على ١٠ من المادة الأصلية و٧ على ١٠ من كلمات الكتاب الذي خطه سيلس، وبفضل ذلك الرد وحده أمكننا استعادة النص الأصلي للكتاب».. ويورد روجييه مائة وستة عشر بنداً من البنود التي تمثل إدانة سيلس للمسيحية والمسيحيين.

ومما قاله سيلس في مقدمة كتابه، ويرد تحت البند رقم ٤ من كتاب روجييه: (...) «إن الذين يؤمنون بشيء دون أن يتفحصوه، ويؤمنوا بكل ما يقال لهم، أشبه ما يكونوا

وتحاول أن تجد لنفسها جذورًا في التراث اليهودي، إلا أن المسيحيين لا يكفون عن الاستحواذ على تاريخ الشعب اليهودي والذي لا يحترم حتى تراثه القومي، ولا يوجد مطلقًا ما يبرر هذا الاستحواذ: فالكتابات اليهودية لا شأن لها بالكتابات المسيحية. ومن ناحية أخرى، لا يبقى أي شيء من كتابات موسى فقد احترقت كل أعماله مع المعبد (٥٥٠ق.م). وما بقي باسمه قد تم تأليفه بعد أكثر من ألف عام، ومن كتبه هو الكاهن عزرا. وكذلك كتاب دانيال، فهو ليس من زمن سيرس. أنها نبؤات كتبت بعد الأحداث في وقت انطيوقس إبيفان». ومن هنا نرى كيف كان بورفير سباقًا فيما توصل إليه على مدرسة النقد التاريخي للنصوص المقدسة.

كما كان ينتقد «**أن الأصول التراثية المسيحية لا قيمة تاريخية لها لأن القصص الإنجيلية مليئة بالمتناقضات وبعدم التوافق. وقد قام الحواريون بتحريف تعاليم يسوع. وبالتالي فالمسيحية لا تمتلك أصالة تراثها**». ومن ناحية ثانية ينتقد بورفير الفكرة التي لدى المسيحيين عن الله قائلاً: «إن إلههم في نظرهم عبارة عن طاغية له نزوات متقلبة وغير متوقعة وقد قام وسوف يقوم بأعمال عشوائية تمامًا ومنها: خلقه العالم في لحظة ما، واختيار الشعب اليهودي، وفكرة التجسد، والبعث، وأخيرًا هدم العالم الذي قام هو بخلقه.. ثم يقول المسيحيون إن «الله قادر على كل شيء»، إلا أنه لا يستطيع أن يجعلني أقتنع بأن اثنين زائد اثنين يساوي مائتين وليس أربعة!».

لذلك يتحفظ بورفير على ما طالعه في الأناجيل وينتقدها إجمالاً قائلاً: «**إن كتبة الأناجيل هم مؤلفو الأشياء التي يحكونها عن يسوع وليسوا مؤرخيها**». وكانت عباراته هذه وكل ما ورد في كتابه «ضد المسيحيين» كافيًا ليقوم الإمبراطور الروماني تيودوز (٣٧٩ - ٣٩٥) بإصدار قانون «يعاقب بالموت كل من يمتلك كتبًا من أعمال بورفير»!

ومما قاله بورفير حول عملية صلب يسوع: «من الواضح أن هذه القصة الملفّقة إما إنها خاصة بأكثر من مصلوب، أو أنها تتعلق بشخص لا يعرف ولا يفهم من حوله أي شيء عنه. وبما أن هؤلاء القوم، كتبة الأناجيل، قد عجزوا عن قول حقيقة كيف مات ولم يكتبوا سوى اختلاقات، فذلك يعني أن كل ما كتبوه لا يوجد فيه أي شيء يستحق ثقتنا» «**يسوع ضد يسوع**» (صفحة ٩٢).

(د) - الإمبراطور چوليان (٣٣١ - ٣٦٣) L'Empereur Julien أو چوليان المرتد:

لقد امتد حكم الإمبراطور چوليان ٢٢ شهرًا من ٣٦١ إلى ٣٦٣، حاول خلالها تغيير نسق الدولة تغييرًا جذريًا. فقد حاول الابتعاد عن الاستبداد البيروقراطي والعودة إلى بساطة الأباطرة القدامى ووقف عملية تنصير الإمبراطورية، تلك العملية التي كان قد بدأها قسطنطين وأولاده، والعودة إلى الديانة الوثنية.

كان چوليان ابن شقيق قسطنطين الذي عند وفاته قام أبناؤه الثلاثة باغتيال جميع أفراد هذا الفرع من الأسرة. ولم ينج سوى چوليان وشقيقه جالوس لصغر سنهما، وفُرض عليهما الدخول في سلك الرهبنة، وكان چوليان في السادسة من العمر عندما شاهد هذه المجزرة بعينيه.. ولعل كثرة ما رآه وعاصره من استبداد رجال الدين المسيحي وجرائمهم هو الذي دفعه عام ٣٥١ إلى الارتداد عن المسيحية والعودة إلى الوثنية.

وإذا ما تأملنا تاريخ ميلاده ووفاته، نرى أنه قد ولد بعد أن قامت الأيادي العابثة في المؤسسة الكنيسية بتأليه السيد المسيح بستة أعوام، وتوفي مقتولاً قبل انعقاد مجمع القسطنطينية الذي تم فيه اختلاق بدعة الثالوث بثمانية عشر عامًا. أي أنه عاش ومات في فترة من أكثر الفترات شراسة للكنيسة التي كانت تسعى بكل الوسائل لاستتباب عقائدها.

وما أن تولى چوليان الحكم حتى بدأ باستبعاد الفاسدين من الوظائف العامة وأضعف شوكة البوليس السياسي وخفض الضرائب وأعاد التسامح الديني وفتح المعابد الوثنية وألغى امتيازات رجال الدين المسيحي. وقد أصبح عداءه للمسيحيين من الصرامة بحيث استبعدهم من كافة الوظائف العامة ومنعهم من ممارسة مهنة التعليم، فما كان من رجال الكنيسة إلا أن رتبوا اغتياله في إحدى المعارك الحربية التي خاضها ضد الفرس، فقام حارسه الشخصي بتنفيذ عملية اغتياله.

ومن أهم سمات الإمبراطور چوليان اهتمامه بالثقافة والفلسفة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب عنوان: «**خطاب الإمبراطور چوليان ضد طائفة الجليليين**». والواضح من العنوان أنه على الرغم من استحواذ المسيحيين على منافذ السلطة إلا أنهم كانوا حتى أيام الإمبراطور چوليان عبارة عن مجرد «طائفة» من منطقة الجليل.

واحتفاظ التاريخ بالصفة التي فرضتها عليه الكنيسة: چوليان المرتد، لأكبر دليل على

جبروت القهر والدسائس التي كانت تمارسها المؤسسة الكنسية ولا تزال.. فقد قامت بحرق كل ما كان يدينها أو يتعارض معها أو يفضح مخططاتها في كتابات جوليان. ولو لم يقم الأسقف سيريل - بعد أربعين عامًا - بالرد على كتاب جوليان، والاستشهاد بالكثير من أجزائه لما بقي منه أي أثر في يومنا هذا.

وقد قام المركيز دارجنس (١٧٠٤ - ١٧٧١) D'Argens بترجمة ما تبقى من خطاب الإمبراطور جوليان، بناء على طلب الإمبراطور فريدريك الأعظم إمبراطور بروسيا، وذلك سنة ١٧٦٨.

ومما قاله الإمبراطور جوليان في خطابه ضد المسيحيين النقاط التالية:

● أيها الجليليون، إذا كان الله يريد ألا يُعبد سواه، وهي أولى الوصايا، لماذا تعبدون ذلك الابن المزعوم الذي فرضتموه عليه؟ (...).

● لا يمكن القول بوضوح أكثر أن يسوع كان مجرد إنسان.. وقد تجرأتوا عليه بالتدريج: فجعلتوه ممسوحًا، ثم مسيحًا، ثم ابن الله، ثم الله! وهكذا استتب لكم كل شيء.. إن الخطوة الأولى عادة ما تكون مفزعة، أما الخطوة الأخيرة فلا تكلف شيئًا (...).

● أيها الجليليون، لقد انشققتم عنا وانتقلتم كالهاربين من الخدمة إلى مصاف اليهود. وياليتكم التزمتم بتعاليمهم واكتفيتم بإله واحد ولم تتساقوا إلى عبادة مجرد إنسان بسيط كما تفعلون اليوم (...) لقد تصرفتم كمصاصي الدماء أخذتم الدم الفاسد وتركتم الأكثر نقاءً. لم تبحثوا عما هو طيب لدى اليهود وإنما انصب كل اهتمامكم إلى تقليد طابعهم السيئ وغضبهم العارم: فمثلهم تمامًا تقومون بهدم المعابد والمذابح، وتقومون بذبح المسيحيين الذين تطلقون عليهم اسم الهراطقة لأن لهم عقائد تختلف عن عقائدكم حول ذلك اليهودي الذي قتله اليهود. علمًا بأن العقائد التي تساندونها فهي مجرد هراء وتخاريف قمتم بتأليفها، لأنه لا المسيح ولا بولس قد قالوا شيئًا حول هذا الموضوع، والسبب بسيط، إذ أنهما لم يتخيلا أنكم سوف تصلون إلى هذه الدرجة من السلطة التي وصلتم إليها.

● يسوع الذي تبشرون به أيها الجليليون كان من رعايا قيصر، وسوف أدلل لكم على ذلك، ألا تقولون إنه هو وأمه وأبيه قد دخلوا ضمن تعداد سيرينيوس؟ (ومن الواضح أن باقي النص قد تم حذفه حتى من كتاب الأسقف سيريل الذي كان يفند اتهاماته).. لأن ڤاروس Varus هو الذي كان يحكم سوريا آنذاك وليس سيرينيوس.

● إن ارتيادكم مدارس معلمينا وفلاسفتنا تجعل أي فرد منكم من أصل مشرّف يتخلى فورًا عن عقائدكم المتعصبة (...).

مؤرخو عصر التنوير

- المركيز دارچنس
- القس چان ميلييه
- البارون هولباخ
- اللورد بولينبروك
- اللاهوتي ثيرو
- فولتير
- ريشارد سيمون
- القس إرنست رينان

● إن الرومان كانوا يجهلون تلك الأناجيل لقرابة ثلاثمائة عام، فلم يرد ذكرها في أي نص من نصوص المؤرخين الرومان. وقد كان آنذاك عددها أربعة وخمسين إنجيلاً بين الفرق المسيحية المتعددة.

● إن الوصية الشهيرة التي ينسبها يوحنا لعيسى قائلاً: «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً» (١٣:٣٤)، هذه الوصية جد قديمة إذ أنها واردة في سفر اللاويين: «تحب قريبك كنفسك» (١٣:١٨).

● إن اليهود ظلوا دائماً غارقين في غياهب الجهل المدقع حتى القرن التاسع الميلادي، عندما تعلموا شيئاً من مدارس المسلمين العرب. بل لقد كانوا يجهلون كلمة هندسة وفلك، إذ لا نجدها في كتبهم السابقة لذلك التاريخ. ولقد كانوا يعرفون الموسيقى، لكن بصورة ارتجالية، كانوا يجهلون فن تدوينها. كما كانوا يجهلون التشريح وعلم الجراحة والفيزياء، ولم يكن لديهم أطباء بمعنى الكلمة. كانت كل معلوماتهم قاصرة على تضميد الجراح بالخل أو الزيت.

● من أبشع ما نطالعه تزويج المسيح للكنيسة، ومن الواضح أن مهرها كان عبارة عن دماء الشعوب التي ذبحوها لفرض عقائدهم.

● أن العقائد المسيحية ليست مناقضة تماماً لعقائد اليهود، بل هي مناقضة لعقائد يسوع وتعاليمه، ولا يوجد ما هو أبعد من المسيح إلا المسيحية. إن يسوع كان مختونًا وقد التزم بالشرع الموسوي، ولم يأكل الخنزير أبدًا، ولم يقل كلمة عن بدعة الثالوث، ولا كلمة واحدة عن الخطيئة الأولى، ولم يقم قداسًا، بل إن عبارة الأسرار أو الأسرار السبعة غير واردة لا في الأسفار الخمسة لموسى ولا في الأناجيل، فلقد بدّل المسيحيون الدين المسيحي من قرن إلى قرن، بل الغريب أن المسلمين أقرب من دين يسوع من المسيحيين! فالمسلمون يختتنون مثله، ولا يأكلون الخنزير مثله، ويؤمنون بإله واحد مثله، ولم يبتدعوا أسراراً سبعة. وإذا ما عاد يسوع إلى الدنيا ودخل كاتدرائية روما بكل ما بها من زخارف ورسوم مذهبة وتماثيل وسمع أصوات مائتين من الخصاة أو شاهد من يرتدي تاج مركب من ثلاثة تيجان يتحكم في الناس والملوك فهل سيتعرّف على الدين الذي أتي به؟!

● إن المسيح قد تعمد على أيدي يوحنا المعمدان لكنه لم يقم بتعميد أي إنسان. ومن الغريب أن المسيحيين يضفون أهمية عظمى على ذلك العميد، ومن الغريب أن السرقة والقتل، وقتل الأب أو القريب كل ذلك يغفره ثالوثهم المقدس.

● إن الإنسان ليعجب من جرأة المسيحيين الأوائل الذين كانوا يحرّفون كل أجزاء الكتب اليهودية القديمة ليأتوا بتنبؤات حول يسوع.

● الأب ميلييه من الرعاة الصالحين فقد اعتذر لله وهو يحتضر لأنه كان يقوم بتعليم المسيحية، ولاشك أن وصيته التي أعيد طبعها عدة مرات تفوق وصية يعقوب بكثير.

● لا نملك سوى الأسف لضياع ذلك الكتاب الذي يشير إليه الامبراطور جوليان والذي ينتقد فيه الكثير من تناقضات الأناجيل، كما ينتقد أولئك الوحوش الذين يضطهدون الناس ويلقون بهم إلى الجلادين، ويكبلونهم بالحديد، ويلقون بهم أحياء وسط النيران المشتعلة لأن جريمتهم الوحيدة هي أنهم لا يؤمنون بالخرافات والأكاذيب التي يفرضونها عليهم.

● إن رأي علماء اللاهوت الذين يستبعدون به الآيات التي تشير بوضوح لا لبس فيه إلى إخوة يسوع ناجم عن فكرتهم الضيقة بأن والدة يسوع كفّت عن أن تكون عذراء وأنجبت غيره. إن هذه النقطة مسار جدل محتدم هذه الأيام، لذلك فرضوا فكرة «الحمل بلا دنس» التي كان الحواريون يجهلونها، وكانت مجهولة أيضًا طوال القرون العشرة الأولى، وقد فندها القديس توما بشدة.

● لا يوجد ما هو أكثر خطورة بالنسبة للحقيقة من إسناد كتابة التاريخ لمتعصبين أو لأشخاص مغرضين لصالح فئة معينة. فالرهبان القدامى والحداث قد أغرقوا العالم بأساطير وبمعجزات ساخرة قادرة على طمس معالم الحقائق. فلقد افتروا على أعظم الرجال حينما لم يقبلوا ديانتهم، وقاموا بإضفاء القدسية على جرائم الأمراء الذين قاموا بحمايتهم، إن ذلك يعني تغيير ذاكرة التاريخ عن طريق سلسلة ممتدة من الأكاذيب.

القس جان ميلييه (١٦٧٨ - ١٧٣٣) Jean Meslier

ولد جان ميلييه في منطقة أردين بشمال شرق فرنسا على الحدود البلجيكية، وأتم دراسته في المعهد الديني بمدينة ريمس، وتم تعيينه قسا عام ١٦٨٨. وقد مارس مهام وظيفته حتى وفاته بلا معوقات تذكر، وترك عدة مؤلفات تمت طباعتها بعد رحيله، ومنها مذكرات معروفة بعنوان: **«وصية ميلييه»**، **و«خطابات إلى قساوسة المناطق المجاورة»**، **و«ضد القس فينيلون**، الذي كان يُعد من الدعامات المساندة للكنيسة في القرن السابع عشر.

وبعد مضي عامين على وفاة ميلييه قام فولتير بنشر مختصر للوصية في سبعين صفحة فالنص الأصلي يقع في ٢٦٦ صفحة. إلا أن البلاط في روما قام في ١٧٦٥/٢/٨ بوضع

وبعد استعراض المعجزات الواردة بالعهد الجديد يتساءل ميلييه: «هل يمكن لأي إنسان عاقل أو لم يفقد صوابه أن يقر بأن ما وعد به يسوع قد تحقق أو أنه حتى قد خلّص العالم من الخطايا؟! هل توجد نبوءة أكثر كذبًا من هذه؟ أليس القرن الذي نعيشه أكبر دليل على زيفها؟!» ويسخر الأب ميلييه من أولئك القسس الغارقين لا في عماهم المطلق فحسب، ولكن في محاولاتهم الدائبة لإقناع الاتباع بحقيقة ذلك الدين: «فلا توجد طائفة واحدة ولا كنيسة واحدة من كل الطوائف، والكنائس التي انقسمت إليها المسيحية إلا وكانت مليئة بالأخطاء وغارقة في الخطايا، وخاصة الطائفة أو الكنيسة الرومية، وإن كانت تزعم أنها أقدسهم وأطهرهم».. ثم يؤكد بعد ذلك: «أنها قد وقعت في الخطأ منذ زمن بعيد، بل إنها قد وُلدت فيه، ونمت وترعرت فيه، والآن إنها غارقة في كل الأخطاء التي هي عكس تعاليم وأقوال يسوع، لأنها قد ألغت الشرع اليهودي الذي كان يسوع يتمسك به والذي قال إنه أتى ليكمل ولم يأت لينقض الناموس. بل إن الكنيسة قد وقعت في نفس الوثنية التي حاربتها بعبادتها آلهة ثلاثة وتقوم بأكل لحمها وشرب دمها»!

ثم ينتقل لمصداقية الأناجيل موضحاً أنه من عادة مَن كانوا يكتبونها أن يبدّلوا أو يعدّلوا ويضيفوا ويستبعدوا وفقًا لهواهم ولخدمة أهدافهم قائلاً: «وهو ما لا يمكن لعبدة المسيح أن ينكروه، بما أن هناك العديد من كبار الشخصيات التي أقرت بما قامت به من إضافات وحذف وتزوير في مختلف العصور، في تلك النصوص التي يعتبرونها مقدسة. ألم يقل قديسهم چيروم، العالم الكنسي الكبير عندهم، في عدة أماكن من المقدمات التي يكتبها للأعمال التي يقوم بها، أنها فاسدة ومزورة، وأنها كانت في عصره بين أيدي العديد من الأشخاص التي كانت تضيف إليها وتحذف منها ما يحلو لهم بحيث أنه قال: إن نسخ الأناجيل تختلف عن بعضها بقدر عددها. انظروا إلى المقدمات التي كتبها إلى بولان، ومقدمته حول يسوع، ومقدمته إلى غلياط، وعن أيوب وخاصة مقدمته للعهد الجديد الذي عمله موجهًا إياها إلى البابا دماز، وللمزامير، وبولس أو أوتيخي إلخ...».

ثم ينتقل إلى ما فعلته كل فرقة بالفرق الأخرى موضحًا «أن كل كتب شرع موسى التي أمكن العثور عليها أيام انتياخي (Antiochus) قد تم حرقها. والتلمود الذي كان يعتبره اليهود ككتاب مقدس ويضم كل قوانينهم الإلهية (...) ينظر إليه المسيحيون على أنه كتاب مليء بالتهيؤات والأساطير والتضليل وعدم الرحمة. وفي سنة ١٥٥٩ قاموا بأمر من محاكم التفتيش في روما بحرق مائة وعشرين نسخة من التلمود كانت في إحدى مكتبات مدينة كريمونا».

وخلال العديد من الصفحات يقدم بعض النماذج من المتناقضات الواردة بالأناجيل ومنها ما يتعلق بنسب يسوع، ومكان ميلاده، وهروب العائلة المقدسة إلى مصر الذي يفنده لوقا (٢: ٢١ - ٤١)، ومدينة الناصرة التي لم تكن موجودة آنذاك، ووحشية هيرود التي لم يتحدث عنها أي مؤرخ قائلاً: «من الواضح أن رحلة الماجوس الذين انقادوا في الطريق بنجمة، وقتل الأطفال الصغار، وهروب العائلة المقدسة إلى مصر ليست إلا أكاذيب منافية للعقل: فلا يمكن أن نصدق أن المؤرخ جوزيفس، الذي لام كل مساوئ الملك هيرود، كان سيسكت عن مثل هذا الفعل البشع السواد لو كان ما يقوله ذلك الإنجيلي حقًا».

ثم يواصل عرضه لنماذج المتناقضات ويعرض ما يتعلق بطول مدة عمل يسوع الجماهيري فوفقاً للأناجيل الثلاثة «لا يمكن لهذه الفترة أن تمتد أكثر من ثلاثة أشهر منذ تعميده حتى وفاته، بافتراض أنه كان في الثلاثين من عمره عندما عمده يوحنا، أنه قد ولد في ١٢/٢٥ كما يقول لوقا. فمنذ ذلك التعميد، الذي حدث في العام الخامس عشر من حكم تيبريوس قيصر، والسنة التي كان فيها حنان وقيافا من كبار الكهان، حتى عيد الفصح التالي والذي وقع في شهر مارس، لم تكن المدة إلا حوالي ثلاثة أشهر، ووفقًا لما تقوله الأناجيل الثلاثة الأولى أنه صلب عشية أول عيد الفصح التالي بعد تعميده وفي المرة الأولى التي ذهب فيها إلى القدس مع تلاميذه، لأن كل ما يقولونه عن تعميده وسفرياته ومعجزاته وتنبؤاته وموته وآلامه لابد وأن يقع بالضرورة في نفس ذلك العام الذي تم فيه تعميده بما أن الأناجيل لا تذكر أي سنة تالية. وواضح من سياق الكلام أن كل الأحداث والتي قام بها جميعها بعد التعميد على التوالي وفي وقت جد قصير، والذي لا نرى أي فترة توقف فيه إلا مدة الأيام الستة قبل تجليه والذي لا يقال إنه عمل أي شيء خلالها».

ويخرج من ذلك العرض بأن المدة هي ثلاثة أشهر تقريبًا، وإذا طرح منها الأربعين يومًا وأربعين ليلة التي قضاها في الصحراء بعد تعميده فذلك يعني أن حياته العامة لم تمتد إلا ستة أسابيع، ووفقًا لما يقوله يوحنا فإنها امتدت ثلاث سنوات وثلاثة أشهر لأن يوحنا يوضح أنه ذهب ثلاث أو أربع مرات إلى القدس لعيد الفصح. وهنا يعلق قائلاً: «إذا كان حقاً أنه ذهب ثلاث أو أربع مرات إلى القدس كما يقول يوحنا فغير صحيح أنه لم يعش سوى ثلاثة أشهر بعد تعميده وأنه صلب في المرة الأولى التي ذهب فيها إلى القدس. وإذا قلنا إن الأناجيل الثلاثة الأولى لا تتحدث إلا عن سنة واحدة لكنهم لا يحددون

بوضوح السنوات الأخرى التي انقضت فـأيًا كان الأمـر هناك خلط في سـرد الأحداث الأمر الذي يؤكد أنها لم تكن ملهمة من الله».

وفيما هو يواصل سرد التناقضات يتوقف عند العشاء الأخير موضحًا أن الأناجيل الثلاثة تقول إنه أقام خلاله سر الإفخارستيا بأكل جسده وشرب دمه.. ومن الغريب الذي يلاحظه أن يوحنا لا يذكر هذا السر الأساسي الذي يعتبر أهم الأسرار السبعة التي تقوم عليها الكنيسة، بل يقول يوحنا إنه بعد العشاء الأخير قام بغسل أقدام الحواريين وطالبهم بعمل نفس الشيء وألقى عليهم خطابًا مطولاً. إلا أن الأناجيل الثلاثة لا تذكر شيئًا عن غسل الأقدام ولا عن ذلك الخطاب المطول. بل تقول إنه بعد العشاء الأخير ذهب مع حوارييه إلى جبل الزيتون حيث ترك نفسه للحزن وراح يصلي بينما نام الحواريون!.

كما يوضح اختلاف الأناجيل وتناقضها حول تحديد موعد أو يوم العشاء الأخير، فمن ناحية يقولون إنه كان عشية عيد الفصح، ومن ناحية أخرى يقولون إنه صُلب صباح اليوم التالي حوالي الساعة ١٢ ظهرًا بعد أن حاكمه اليهود طوال الليل. ويوضح ميليه أنه «وفقًا لكلامهم فإن اليوم التالي للعشاء لا يمكن أن يكون عشية عيد الفصح، وأنه إذا ما كان قد مات عشية عيد الفصح ظهرًا فلم يكن ذلك اليوم أبداً مساء عشية ذلك العيد الذي تم فيه العشاء الأخير والخطأ شديد الوضوح».

ثم تناول التناقض الموجود حول النساء اللائي تبعنه وأسماءهن وعددهن الذي يختلف في كل رواية، والتناقض الموجود حول المكان الذي ظهر فيه «لأن متى يقول ظهر على جبل في الجليل، ومرقس يقول عندما كان الحواريون يأكلون، ويقول لوقا إنه أخذهم خارج القدس وسار بهم حتى بيت عانيا وتركهم ليصعد إلى السماء، بينما يقول يوحنا أن ذلك قد تم في مدينة القدس في بيت كانوا قد أغلقوا أبوابه بإحكام.. أي أنه قد اخترق الجدران وذلك لا يمكن حدوثه إلا إذا كان روحًا أثيرية كالهواء، الأمر الذي ينفي عملية البعث تمامًا».

ولم يغفل الأب ميلييه التناقضات الواردة حتى فيما يتعلق بقصة صعوده إلى السماء «لأن لوقا ومرقس يقولان إنه صعد إلى السماء في حضور ١١ من الحواريين، لكن لا متى ولا يوحنا يذكران ذلك الصعود المزعوم».. بل والأكثر من ذلك أن متى يشهد بوضوح أن يسوع لم يصعد إلى السماء بما أنه يقول أن يسوع قد أكد للحواريين أنه سيظل وسيبقى دائمًا معهم حتى نهاية الدهر.. ثم يضيف ميلييه قائلاً: «غير أن لوقا

يناقض نفسه حول هذا الموضوع لأنه يقول في إنجيله (٢٤ : ٥٠) أنه صعد إلى السماء أمام حوارييه في بيت عانيا وكذلك في أعمال الرسل التي من المفترض أنه هو الذي كتبها، يقول إنه حدث الصعود وهو على جبل الزيتون، بل ويناقض نفسه أيضًا حول نفس الحدث لأنه يقول في إنجيله أنه صعد إلى السماء في نفس اليوم الذي بُعث فيه حيًا أو في الليلة التالية، بينما يقول في أعمال الرسل أن ذلك قد وقع بعد ٤٠ يومًا من البعث! الأمر الذي لا يستقيم بأي حال من الأحوال».

ويختتم الأب ميلييه هذا الفصل الخاص بالتناقضات قائلاً: «سأسكت عن العديد من المتناقضات الأخرى، فما ذكرته منها يكفي ليوضح أن هذه الكتب لم تأت بإلهام إلهي مطلقًا، بل ولا حتى من أية حكمة إنسانية، وبالتالي فهي غير جديرة بأن نؤمن بها».

ثم ينتقل إلى الفصل التالي ليتناول المعجزات الواردة في الأناجيل، ويوضح الأب جان ميلييه أن العديد من الحكماء أو المعالجين أو حتى الحواريين كانوا يقومون بها، فإن كان المسيح قد أحيا الموتى فالوثنيين أيضًا قاموا بذلك من قبله: أن أتالي ابن الإله عطارد أخذ عن والده سلطة أن يعيش ويموت ويُبعث وقتما يشاء، وكان على دراية بكل ما يدور في العالم من حوله أو في العالم الآخر. وإن إسكولاب ابن أبوللو كان قد أحيا عددًا من الموتى ومن بينهم هيبوليت ابن تزيه بعد توسلات ديانا وصلواتها، وأن هيرقل قد أحيا أيضًا السِتّ زوجة أدميت ملك تيسالي ليعيدها إلى زوجها.

وإذا قال الحواريون «أن يسوع قد وُلد من عذراء دون أن يمسها أي إنسان، فالوثنيين أيضًا قالوا من قبلهم أن رومولوس وريموس مؤسسي روما قد وُلدوا بمعجزة من عذراء فستالية (كاهنة في روما القديمة)، وكان اسمها إيليا.. بل قالوا إن الآلهة مارس وآرج وفولكانوس وغيرها قد ولدتهم الآلهة جينون دون أن يمسسها رجل، وهكذا طوال الفصل يحاول الأب ميلييه إثبات أن المعجزات الواردة في الأناجيل كان لها ما يماثلها في التراث الشعبي لدى الوثنيين - مع فارق بسيط أنهم كانوا يتعاملون معها على أنها أساطير وليست حقائق يجب الإيمان بها..

وفي الفصل السادس والأخير من تلك الوصية والمعنون: «أخطاء العقيدة والأخلاق المسيحية»، والذي يتناول فيه مختلف نقاط العقيدة وتعاليم الأخلاق وفقًا لها، يقول الأب ميلييه «إن الديانة المسيحية الرومية والرسولية تعلّم وتفرض على الأتباع الإيمان بأنه لا يوجد سوى إله واحد لكنه في نفس الوقت ثلاث شخصيات إلهية وكل واحدة منها إله حقيقي: وهو ما يُعد عبثًا حقيقيًا لأنه إذا كانت هناك ثلاثة آلهة فمن الخطأ

القول بأنهم إله واحد لأنه من غير المعقول أن يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحد». وبعد توضيح لا معقولية ما تفرضه الكنيسة ينتقد قولها «بأن الأب قد انجب الابن، وأن هاتين الشخصيتين قد أنجبتا معًا ما يطلقون عليه الروح القدس، وأن هذه الشخصيات الإلهية لا تتبع إحداها الأخرى وليست أي واحدة منها أقدم من الأخرى. إن ذلك هو العبث بعينه بما أنه لا يمكن لشيء أن يتلقى كيانه من شيء آخر أو لا حتى يمكنه أن يعطي كينونة الآخر. فإذا كانت الشخصيتان الثانية والثالثة الإلهيتان قد حصلتا على كينونتهما من الشخصية الأولى فذلك يعني بالقطع أن الشخصية الأولى قد وُجدت قبلهما، بما أن ما هو غير موجود لا يمكنه أن يوجد شيئًا. ووفقًا لما يقوله الكنسيون فإن الشخصية الثانية والثالثة قد نجمتا عن الأولى، فذلك يعني أن لهما بداية ونهاية في الوجود، وأن الشخصية الأولى لم يكن لها بداية وأنها لم تولد..

«والكنسيون الذين يدركون تماماً عبثية مثل هذا القول عن بدعة الثالوث، ولا يمكنهم تبريره بأي كلام منطقي، فهم لا مخرج لهم من هذا المأزق إلا أن يطلبوا من الأتباع أن يغمضوا أعين العقل والمنطق الإنساني بورع وتواضع، وأن يعبدوا هذه الطلاسم دون محاولة فهمها، وأن يؤمنوا بلا تبصّر بما لا يمكن الإيمان به»!.

ويختتم الأب ميلييه هذا الفصل الأخير من وصيته التي بلغ عدد صفحاتها ٣٦٦ صفحة صاغها بمثل هذا الوضوح والمنطق، قائلاً: لابد وأن يكون المرء مصابًا بعماء غريب لكي يساند مثل هذه المسائل البائسة والقائمة على غير أساس من الصحة وعلى تعصب مريب (...) إلا أن الدم البشري لا يزال يسيل منذ أيام قسطنطين من أجل استتباب هذه الخدع البشعة. أن الكنيسة الرومية، واليونانية، والبروتستانتية وغيرها تمثل كمًا من المعارك التي لا جدوى منها، وكمًا من الطموحات اللئيمة التي اجتاحت أوروبا وأفريقيا وآسيا، وأضيفوا يا أصدقائي إلى كم البشر الذين ذبحتهم هذه المعارك عدد الرهبان والراهبات الذين أصابهم العقم بسببها، وانظروا كم ضاع من خلق الله، وسترون أن الديانة المسيحية قد أبادت نصف الجنس البشري»!..

البارون هولباخ (١٧٢٣ - ١٧٨٩) Le Baron d'Holbach

يعد پول هنري ديترش، المعروف باسم البارون هولباخ، من أبرز علماء وفلاسفة عصر التنوير الفرنسي، وواحدًا من الذين ساهموا بالعديد من الأبحاث العلمية في موسوعة ديدرو، التي كانت تعد آنذاك أهم آلة حربية واجهت عصر الظلمات الكنسي

ألاعيب أكثر إحكامًا من غيرها. وكيف أن القَسَمْ بعدم الإفصاح عن ذلك السر (سر الإنتماء إلى المسيحية) للحكومة قد ساعد على إيجاد حزب أو دولة داخل الدولة.

«إن التاريخ الدقيق لتعصب المسيحيين الأوائل وعمليات الغش التي قاموا بها ويطلقون عليها «الغش الورع» ولقاءاتهم السرية وأطماعهم، كل ذلك تناوله اللورد بولينبروك Bolingbroke في كتابه المعنون **«الفحص المهم»**.

«إنني أدعو بحماس كل الذين يريدون الفهم أن يقرأوا ذلك الكتاب الممتاز، كما ندعوهم إلى ألا يعبدوا سوى الله الواحد الأحد، قلبًا وقالبًا، وأن يلقوا تحت أقدامهم كل تلك الخرافات التي يثقلون بها علينا.

«إن من يتأمل الوضع ملياً سيرى أن الهدف وراء كل هذه الخدع الهدف منها إثراء طبقة رجال الدين على حسابنا وإقامة عرش التعصب والأطماع على جهلنا بهم. لقد استخدموا الغش والخداع والأكاذيب والسجون والتعذيب والتكبيل بالحديد وحرق الناس أحياء لمدة ستة عشر قرنًا، وذلك لكي يحصل ذلك القسّ على دخل سنوي مقداره أربعين ألف دوكًا، ولكي يقيم أي أسقف قداسًا مرة في العام باللاتينية التي لا يفقهها، ثم يتوجه بعد ذلك ليسكر مع عشيقته، أو ليقوم أسقف روما بسرقة عرش القياصرة، لكي لا يحكم الملوك إلا تحت إمرة أحد الفسقة الزناة من أمثال البابا إسكندر الرابع الذي لا يتورع عن استخدام السم للتخلص من خصومه، أو واحداً من أمثال الماجن البابا ليون العاشر، أو أحد مشاهير القتلة من أمثال البابا يوليوس الثاني.

«لقد حان الوقت لتحطيم ذلك العبء المشين الذي فرضه الغباء على رؤوسنا فلننفض بعقل وبكل قوة هذه الأكاذيب، إذ حان الوقت لنفرض الصمت على هؤلاء المتعصبين الذين لا يكفون عن فرض دجلهم المهين، ونفرض عليهم ألا يقوموا إلا بتعليم الأخلاق التي أملاها الله وليس العقائد الوقحة التي بنوها بأيديهم. لقد حان الوقت لمواساة الأرض من تلك الوحوش الضارية المتخفية في زي الرهبان وغطوها بالدماء.. لقد حان الوقت لنسمع صوت الطبيعة التي تصرخ منذ العديد من القرون: لا تضطهدوا أطفالي من أجل خرافات.. فلقد حان الوقت لنخدم الله دون أن نهينه».

(وارد في الملحق «بخطاب الإمبراطور جوليان ضد المسيحيين» صفحة ١٦٩ - ١٧٥).

اللورد هنري بولينبروك (١٦٧٨ - ١٧٥١) Lord Henry Bolingbroke

كان اللورد هنري بولينبروك رجلاً سياسيًا له ثقله ورئيسًا لوزراء بريطانيا فيما بين ١٧١٤ - ١٧١٥. وكان مولعًا بالفلسفة وبالتوحيد الحق، وصديقًا لكل من بوب وسويفت. كما كان لكتاباته أثرها على كل من فولتير وروسو. ومن أشهر ما كتبه ضد المسيحيين الأوائل وكل ما قاموا به من تحريف وتزوير ومؤامرات ودسائس ضمنها كتاباً بعنوان «الفحص المهم».

وعن بولس الرسول، الذي يعتبره اللورد بولينبروك من أكبر المحتالين الذين عرفهم التاريخ، كتب قائلاً:

«عندما انتشر الجليليون الأوائل بين شعب اليونان والرومان، وجدوا تلك الشعوب غارقة في مختلف العبثيات التي يمكنها الدخول في العقول الجاهلة، المحبة للأساطير والآلهة المتخفية في الثيران والأحصنة والبجع، لإغراء النساء والفتيات. وكان الحكام والمواطنون الأساسيون لا يقرّون مثل هذه الخزعبلات، لكن الدرجات الدنيا من الشعب كانت تتغذى بتلك الروايات، وهم السوقة من اليهود الذين يتحدثون إلى السوقة من الوثنيين. أكاد أرى فيهم اتباع فوكس لدينا، يتشاجرون ضد أتباع براون. لم يكن من الصعب على بعض المسوسين اليهود أن يقوموا بإقناع بعض الحمقى الذين يؤمنون بتهيؤاتهم، وإقناعهم بتهيؤات لا تقل عنها حماقة. فجاذبية ما هو جديد تشد ضعاف النفوس الذين ملّوا من خرافاتهم القديمة ويجرون خلف مغالطات جديدة، مثل غوغاء مهرجان برتلمي، الذين ضجروا قرفًا من مسرحية هزلية قديمة من كثرة سماعها، راحت تبحث عن هزلية جديدة.

«وإذا ما صدّقنا كتب عبدة المسيح، فإن بطرس بن چون كان في چوبا لدى سمعان الدبّاغ في كوخ حقير، حيث الخياطة دوركا.

«راجع فصل كتاب لوسيان المعنون «فيلوباتريس» والذي يتحدث فيه عن ذلك الجليلي الأصلع الرأس، ذو الأنف الكبير، الذي صعد إلى السماء الثالثة، انظر كيف ينتقد جمعية من المسيحيين حيث كان وسطهم، إن الكلفانيين في اسكتلندا لدينا، ومتسولو القديس ميدار في باريس هم تحديداً نفس الشيء. شرذمة من أشباه العراة، بنظرات فظة، وخطوات رعناء، يتنهدون ويلتوون وهم يقسمون بالابن المنبثق من الأب، ويتنبؤون بآلاف المصائب للإمبراطورية، ويكيلون الشتائم للإمبراطور. هكذا كان المسيحيون الأوائل.

«وما كان يدفع هذه الطائفة بهذا الحماس هو ذلك المدعو بولس بأنفه الضخم ورأسه الأصلع الذي كان لوسيان يسخر منه. ويبدو لي أنه يكفي مطالعة كتابات هذا البولس لنرى كم كان لوسيان محقاً. ويا له من هراء وليس ذلك الذي كان يكتبه لمجتمع المسيحيين الذي كان يتكون في روما وسط طبقة من المعدمين اليهود! (ثم يذكر بعض الآيات دون أن يعطى مرجعها لذلك نترجمها عفويًا: «الختان مفيد لكم إذا راعيتم الشرع، لكن إذانقضتم الشرع فختانكم لن يفيدكم.. هل نهدم الشرع بالإيمان؟ حاش لله! لكننا نقيم الإيمان.. إذا كانت أعمال إبراهام قد برأته، فعليه أن يتفاخر، لكن ليس أمام الله» إن هذا البولس حينما يتحدث بهذا الشكل فهو يتحدث قطعًا كيهودي وليس كمسيحي.

ورسالته الأولى إلى أهل كورنثوس «آباءنا قد تم تعميدهم في موسى في البر والبحر»! ألم يكن الكاردينال بمبو (Bembo) على حق حينما كان يصف هذه الرسائل بالهراء وينصح بعدم قراءتها؟!»

«ما الذي يمكننا قوله عن شخص يقول لأهل تسالونيكي: «لا أسمح قط للنساء بالتحدث في الكنائس»، ونراه في نفس الخطاب يعلن أنه يمكنهن التحدث والتنبؤ بعد ارتداء الحجاب!

«هل يدل شجاره مع باقي الحواريين على أنه شخص عاقل ومعتدل؟ الا يدل كل كلامه على أنه رجل متعصب التحيّز؟.. يقول إنه مسيحي ويعلّم المسيحية ثم يذهب سبعة أيام متتالية إلى معبد القدس بناء على نصيحة يعقوب، حتى لا يعتبرونه مسيحيًا. يكتب قائلاً لأهل غلاطية: «أقول لكم، أنا بولس، أنه إذا اختتنتم فلن يفيدكم يسوع المسيح في شيء». ثم يقوم يختن تلميذه تيموثاوس الذي يقول عنه اليهود إنه ولد من أب يوناني وأم عاهرة. لاشك أنه دخيل بين الحواريين، ويتباهى أمام أهل كورنثوس بأنه حواري مثله مثل الحواريين الآخرين: «ألست حواري؟ ألم أرى سيدنا يسوع المسيح؟ ألستم من صنعي؟ إذا لم أكن حواري في نظر الآخرين، فعلى الأقل أنا كذلك في نظركم. الا يحق لنا أن نأكل على حسابكم؟ أليست لنا الإمكانية في أن نصطحب معنا امرأة تكون أختنا، أو إن أردنا، أخت تكون زوجتنا، أو كما يفعل الحواريون الآخر وأخوة ربنا؟ (ويقصد المسيح)؟ من ذا الذي يذهب إلى الحرب على نفقاته» إلخ...

«ويا لها من أمور في هذه الفقرة! حق أن يعيش الشخص على نفقات من قام بإخضاعهم تحت سيطرته، حق أن يقوم بتغريمهم نفقات الزوجة أو الأخت، ثم الدليل القاطع بأن يسوع كان له أخوة، ويقين أن مريم قد وضعت أكثر من مرة».

تصفه بهذا الشكل. وإذا تم ازدرائه من جماليل ومن ابنته، كما كان يستحق، فقد انضم إلى الطائفة الوليدة لكل من سيفاس ويعقوب ومتّى وبرنابا ليغرس القلاقل لدى اليهود.

«وما أن يكون للمرء ذرة من العقل سندرك سبب ارتداد ذلك اليهودي المسكين، وأنها أمر طبيعي أكثر مما ينسبون له. كيف يمكن أن نقتنع بأن نورًا من السماء قد أسقطه عن جواده في قلب الظهيرة، وأن صوتًا من السماء قد خاطبه وأن الله قد قال له: شاؤل، شاؤل، لماذا تضطهدني؟ ألا نحمرّ خجلاً من مثل هذا العته؟!.

«إذا ما كان الله أراد أن يحمي أتباع يسوع من الاضطهاد، ألم يكن من الأجدر أن يخاطب أحد أمراء الأمة بدلاً من أن يخاطب خادم جماليل؟ هل قلّ ذلك من اضطهادهم منذ أن سقط شاؤل عن جواده؟ ما معنى هذه المعجزة الساخرة؟

«اقسم بالسموات والأرض أنه لم توجد خرافة أكثر جنونًا، ولا أكثر تعصبًا، ولا أكثر قرفًا وجديرة بالجذع والاحتقار من ذلك المدعو بولس».

(وارد في كتاب الإمبراطور جوليان، هامش رقم ١٦، صفحات ٤٩ - ٥٥).

اللاهوتي ثيرو (١٧٦٥) Théro

في خطاب للاهوتي ثيرو مرسل للاهوتي آخر وطبع في أمستردام عام ١٧٦٥، كتب قائلاً: «سألني عمدة المدينة أمس لماذا قام يسوع بمعجزاته في الجليل! فأجبته مازحًا ليتم تنصير هولندا! فأجابني لماذا إذن لم يتنصر الهولنديون إلا بعد ثمانية قرون؟ لماذا لم يقم يسوع شخصيًا بتعليم ذلك الدين؟ إنها معجزات قائمة على الإيمان بالخطيئة الأولى، ويسوع لم يقم بأية إشارة إلى الخطيئة الأولى؛ وقائمة على الاعتقاد بأن الله قد تجسد بشرًا، ويسوع لم يقل أبدًا أنه كان الله وكان بشرًا في آن واحد؛ وقائمة على أن يسوع كانت له طبيعتان؛ وفي الواقع أنه لم يقل أبدًا أنه ذو طبيعتان؛ وقائمة على الاعتقاد أنه ولد من عذراء، وهو لم يقل أبدًا أنه ولد من عذراء: بل على العكس من ذلك كان ينادي والدته قائلاً: يا امرأة! ألم يقل لها: «يا امرأة هل يوجد شيء بيني وبينك»؟! وقائمة على الاعتقاد أن الله من سلالة داوود، واتضح أنه لا علاقة له بداوود؛ وقائمة على الاعتقاد بالنسب الوارد وعملوا له نسبين في غاية التناقض.

«إن ذلك الدين قائم أيضًا على بعض الطقوس التي لم يقل عنها أي كلمة. ومن الواضح من الأناجيل أن يسوع ولد يهوديًا، وعاش يهوديًا، ومات يهوديًا، وأنني لمندهش أنك لست يهوديًا! لقد قام بتنفيذ كافة التعاليم اليهودية، فلماذا تنبذونها؟

«بل لقد وضعوا على لسانه في أحد الأناجيل: «ما جئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأكمّل». فهل معنى التكملة أن نبغض ونبتعد عن كافة الطقوس؟ أنك لست مختونًا وتأكل الخنزير والأرنب البري ونقانق دم الخنزير المطبوخ. ففي أي مكان في الإنجيل سمح لك يسوع بأكلها؟ أنكم تعملون وتؤمنون بكل ما هو غير وارد في الأناجيل. فكيف تقولون إنها تمثل القانون المتبع؟! أن حواريي يسوع كانوا يتبعون الشرع اليهودي مثله. وكل من بطرس ويوحنا صعدا إلى المعبد في الساعة التاسعة (أعمال الرسل). ثم ذهب بولس بعد ذلك يبشر باليهودية في المعبد لمدة ثمانية أيام بناء على نصيحة يعقوب. وقال للوالي فستس أنا فريسي. وما من حواري قال: «أغفلوا شرع موسى». لماذا تخلى المسيحيون إذن كلية عن ذلك الشرع؟.

«كيف يمكن لله أن يأتي على الأرض ليموت بأكبر أحط الوسائل، ولم يعرب عن رغبته وإنما ترك هذه المهمة إلى المجامع التي لم تجتمع إلا بعد ذلك بعدة قرون لتتناقض، وتلقى باللعنة والحرمان على بعضها بعضًا، وجعلوا الجنود والجلادون يسيلون الدماء ببشاعة؟

«هل يعقل أن يأتي الله على الأرض، ويولد من عذراء، ويمكث ٣٢ سنة، ثم يموت على أداة العبيد ليعلمنا ديانة جديدة؟! والأدهى من ذلك أنه لم يقل لنا عنها أي شيء! أنه لم يعلمنا ولا عقيدة واحدة من عقائدها! ولم يأمرنا بأي طقس من طقوسها. فكل شيء يتم ويستتب ويتهدم ويتجدد مع الزمن في نيقية، وخلقيدونيا، وأفسوس، وإنطاقيا، والقسطنطينية وسط المكائد والدسائس الصاخبة والعداوات الشرسة! وفي الواقع لم تناقش العقائد الجديدة بما لها وما عليها إلا بالأسلحة المرفوعة في الأيدي.

«وحينما كان الله على الأرض احتفل بعيد الفصح بأكل خروف مطبوخ بالخس، ونصف أوروبا منذ ثمانية قرون تحتفل بعيد الفصح بأكل يسوع المسيح شخصيًا بلحمه ودمه. ولقد أدت المعارك الناجمة عن هذه الكيفية للاحتفال بعيد الفصح إلى إسالة الدماء أكثر مما أسالته الحروب بين النمسا وفرنسا، أو بين الجولف والجيبلان، أو بين ذوي الأردية البيضاء والحمراء، وإذا ما انكست الحقول بالجثث أثناء هذه الحروب فإن المدن قد رشقت بالمقاصل أيام السلم. يبدو أن الفريسيين حينما قتلوا إله المسيحيين قد علّموا أتباعه كيف يقتلون بعضهم بعضًا بالسيف وبالمقصلة وعلى العجلة أو حرقًا بالنار، وسواء أكانوا مضطهدون أو مضطهدين، شهداء أم جلادون، على التوالي، أغبياء، وثائرين، فهم يقتلون ويموتون لأسباب يسخر منها الرهبان والقساوسة وهم يدفنون الموتى ويقبضون الأموال نقداً من الأحياء»!.

(وارد في الهامش رقم ٦٧ من كتاب (خطاب الإمبراطور جوليان إلى المسيحيين، صفحات ١٣٨ – ١٤١).

الله ومع بعض اللاتين الذين يتباهون بأن المسيحيين في الغرب يفكرون بطريقة مختلفة عن مسيحيي أمريكا وآسيا وأفريقيا. وأعرف أن هناك خمس أو ست طوائف مسيحية في أوروبا تلعن كل منها الأخرى وتحرّمها، بينما المسلمون الذين يحيطونني ينظرون بعين ملؤها الاحتقار والهول إلى كل هؤلاء المسيحيين، ومع ذلك يتحملوننا بينهم! (صفحة ٧٧ – ٧٨).

ومع شدة إطلاعه وبحثه في التراث كتب يقول: «من اللافت للنظر أن جوزيف المؤرخ المعاصر ليسوع لم يكتب أي شيء عنه. إنه يهودي ولا يقول شيئًا عن ذلك اليهودي المولود لدى يهود!» (صفحة ٧٩). ولا يمكننا تحديد هل الفقرة الشهيرة ذات العشرة أسطر والمدسوسة في أعمال جوزيف هل أضيفت بعد أيام فولتير أم أن فولتير قد اطّلع على نسخة لم يكن أضيف إليها ذلك التحريف المفضوح علميًا»؟

ويقول فولتير بعد ذلك بقليل: «كم يثقلني عدم التأكد في البحث الهام الذي أقوم به لأعرف من يجب عليّ أن أعبد وفيما يجب عليّ أن أؤمن؟! إنني أقرأ في نصوص الأناجيل ولا أجد في أي مكان بها أن يسوع، الذي جعلوه إلهًا، قد أطلق على نفسه قط أنه إله، بل على العكس أنه يقول إن أباه أكبر منه، وأن الأب وحده يعلم ما يجهله الابن (...) ويقول تحديداً بإلحاح أنه في الجيل القادم سينزل ابن الإنسان من السحاب! فما معنى ابن الإنسان؟ وكيف ينزل من السحاب؟ هل تحققت هذه النبوءة؟!» (صفحة ٨١)، ثم يواصل قائلاً:

«إنني لم أجد أي أثر للمسيحية في تاريخ المسيح: فالأناجيل الأربعة التي بقيت لنا تتعارض في الكثير من الوقائع، ومع ذلك فهي تجمع جميعها على أن يسوع قد خضع لشرع موسى منذ مولده حتى وفاته. وأن كل تلاميذه كانوا يواظبون على الذهاب إلى معبد اليهود ويطالبون بإصلاح، لكنهم لم يعلنوا أبدًا عن ديانة مختلفة. أن المسيحيين لم ينفصلوا عن اليهود إلا بعد ذلك بكثير (...) وإن كان يسوع قد أراد إقامة كنيسة مسيحية لماذا لم يقم بتعليم شرعها؟ أما كان قد قام بنفسه لإقرار كل طقوسها؟ أما كان قد قام بالإعلان عن الأسرار السبعة التي لا يقول عنها أي شيء؟ أما كان قد قال أنا الله مولود وليس مصنوع وأن الروح القدس ينبثق من أبي دون أن يولد، وأن لي إرادتين في شخص واحد، وأن أمي هي أم الله؟ وعلى العكس من ذلك كله نراه يقول لأمه يا امرأة، ما يوجد بيني وبينك؟ ولم يقم بإقرار أية عقيدة ولا أي طقس ولا أية هيكلة كنسية، ومن الواضح إذن أنه ليس هو الذي عمل دينه!» (صفحة ٨٣ – ٨٤).

يضيف على ذلك الخبز من روث البقر. هذا مجرد نموذج، مجرد ملمح من كنيسة يسوع المسيح، (...) أقرأ سفر حزقيال الإصحاح ٢٣ لتعجب (...) كيف تبحث الشابة أهوليبة عن القيام بالجماع مع «الذين عورتهم كعورة الحمير ومنيهم كمني الخيل» (آية: ٢٠)!

وهنا لابد لنا من وقفة نوضح فيها أن حتى هذه الآيات قد تم تحريفها، فالآيات التي يأمر فيها الرب حزقيال بأكل البراز الآدمي قد تحولت في طبعة ١٩٦٦ إلى تحريف طفيف بوضع نقطة بعد كلمة الشعير وحذف حرف الألف بعد الراء لتصبح «الشعير على الخرء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم»! وبإضافة حرف جر «على» يتحول المعنى من أكل الغائط إلى الطبخ عليه - أي أنه يستخدم كوقود!!

ويسخر فولتير من كم الأخطاء والتناقضات الواردة في الأناجيل طوال عشر صفحات ثم يوجز قوله موضحًا: «إن كتبة الأناجيل يتناقضون حول مدة حياة يسوع، وحول ما كان يبشر به، وحول يوم العشاء الأخير، ويوم وفاته، وحول عدد مرات ظهوره بعد وفاته، وفي كلمة واحدة: إنهم يختلفون حول كل الوقائع. لقد كان هناك تسعة وثمانين إنجيلاً كتبها المسيحيون في القرن الأول والثاني وكانت جميعها تتناقض بل وأكثر من ذلك، وأخيرًا اختاروا تلك الأربعة التي بقيت» (صفحة ١١٥)..

ومن أكثر الأمور التي انتقدها فولتير ظهور الشيطان في الأناجيل الأربعة المتواترة واختطافه يسوع، علمًا بأن الشيطان لا يظهر في العهد القديم، قائلاً: «ويقوم الشيطان باختطاف الله على جبل في الصحراء، ويعرض عليه كل ممالك الأرض، فما هو ذلك الجبل الذي نكشف من عليه كل البلاد؟!».

وفي نهاية البحث يوضح فولتير قائلاً: «إن طائفة هذا اليسوع ظلت مختفية بينما تعصبها يتزايد، فلم يجرؤا في البداية أن يجعلوا من هذا الإنسان إلهًا. لكن سرعان ما تشجعوا ولا أعرف كيف تم إدخال ميتافيزيقا أفلاطون مع طائفة الناصرة، فجعلوا من يسوع «اللوغس» (الكلمة)، كلمة الله، ثم جعلوه مشاركًا الله في الجوهر، بعد أن كان أبيه. ثم ابتدعوا الثالوث، ولكي يضفوا مصداقية قاموا بتزوير وتحريف الأناجيل الأولى. فأضافوا فقرة تتعلق بهذا الثالوث (يقصد نهاية الإنجيل متى ٢٨:١٩ لأن فولتير يعلم تمامًا أن بدعة الثالوث تم اختلاقها في أواخر القرن الرابع، فكيف توجد في إنجيل يقولون إنه مكتوب فيما بين ٥٠ و٧٠م؟!). وكذلك قاموا بتزوير المؤرخ جوزيف ليجعلوه يقول كلمة عن يسوع على الرغم من أن جوزيف مؤرخ شديد الجدية لكي يقوم بالإشارة إلى مثل هذا الرجل. بل لقد تمادوا في تزويرهم لدرجة إلصاق بعض الآيات

باسم العرافات. وفي كلمة واحدة لا توجد أية حيلة ماكرة،، أو غش، أو تضليل لم يقم أهل الناصرة باستخدامه في كتاباتهم.

«وبعد ثلاثمائة عام وصلوا وتمكنوا من جعل هذا اليسوع أنه الله، ولم يكتفوا بهذا السب، وتمادوا أكثر في هوسهم ليضعوا هذا الإله في قطعة عجين، ومحو الخبز، وبينما يتم أكل إلاههم من تلك الفئران، وبينما يقومون بهضمه ويخرجونه في غائطهم، ويصرّون على أنه لا يوجد أي خبز في قطعة المناولة، وأن الله وحده هو الذي يوجد مكان الخبز الذي يؤكل، بناء على صوت رجل ما» (صفحة ١١٨).

وفي البحث الأخير الذي يحمل نفس عنوان الكتاب «إنجيل العقل»، ويقول فولتير في صحفة ١٣٦: «كل الكتب المقدسة وكتب الآباء قد خضعت إلى أخطاء لا حصر لها من الذين كانوا ينقلونها، وقد ارتأى بعضهم من قبيل عزرا والقديس چيروم أن يعيدوا صياغتها في أزمنة مختلفة. ولا يزال البنديكتيون يجرؤن حتى يومنا هذا أن يعطونا طبعات للآباء شديدة الاختلاف عن الطبعات الأولى».

وفي الجزء الخامس من هذا البحث يوضح فولتير: «أن الدين الحقيقي ليس بحاجة إلى أدلة زائفة، لأن الله ثابت وكل ما هو متغير متقلب لا يمكن أن يتناسب معه. إن الديانة المسيحية قد غيّرت مرارًا عبادتها وشكلها لكي يجرؤ أحد على قول إنها موحاه أو منزّلة (...) لأن الشرط الأساسي، أو بالأحرى، الطابع الأصيل للديانة الحقيقية هو ألا تعطينا أي فكرة خاطئة عن الله، وهذا الشرط مفتقد كليةً في الديانة المسيحية» (صفحة ١٣٧).

ثم يصف فولتير تصوره لله وكيف أنه يراه واحداً ثابتًا لا يتغير ولا يعرف التقلبات البشرية التي يضفونها عليه، ولا يندم على عمله كما يقولون (تكوين إصحاح ٦) مضيفًا: «إننا نتساءل لماذا رؤساء الكنائس وآباء هذا العصر يوعظون بحماس لا يكل عن احتقار الثروات بينما هم يبحثون عنها حثيثًا وبنهم شرس؟! (...) كما نتساءل أيضًا لماذا يقوم الكردينالات والأساقفة الذين هم رؤساء الكنيسة، بالتمتع بمثل هذه السلطة ويعيشون في مثل هذا البذخ والعظمة (...) ونتساءل أيضًا، كيف يمكن أن نعقل تبشيرهم علنًا بالأسرار التي كانوا يخفونها قديمًا؟

من المؤكد أنهم لم يبدأوا في الكشف عن أسرار الديانة المسيحية التي كانوا يخفونها قديمًا إلا حينما أصبح في مقدورهم فرضها بالقوة (...) ثم، من يمكنه أن يؤكد لي أن الأناجيل قد أملاها الروح القدس؟ إن يسوع لم يتركها لنا ولم يعلق على أي إصحاح من العهد الجديد طوال حياته؟ على الأقل محمد قد أتى بالقرآن». (صفحة ١٤٧).

وفي الجزء الأخير من البحث يقول فولتير: «عندما نتأمل تصرف يسوع، لا يمكن أن نقتنع بأنه كان ما يريدوننا أن نؤمن به، يقول إنه أتى ليعلمنا ولينقذنا، ومع ذلك فهو لم يقم بهذا ولا ذاك (...) أن يسوع المسيح لم يقل ولا كلمة من هذا ولم يشر أبدًا إلى معجزة مولده، ولم يتحدث أبدًا عن الثالوث، ولا عن الأسرار السبعة أو عن الخطيئة الأولى: وهي النقاط الأساسية للديانة المسيحية. ولنقل بصدق: من المؤكد أن يسوع المسيح لم يعلّم البشر ما يقولونه، وأن رحلته هي أكثر كل الرحلات وهمية، بل وأقلها نفعاً» (صفحة ١٥٧).

«إن كل مجمع مسكوني يأتي لنا بعقيدة جديدة، وذلك يعني أن يسوع المسيح لم يتم عمله. لا، لا يمكن القول بأن كل هذه المتناقضات والمخالفات من صنع الله. فكيف يمكن ليسوع أن يكون وسيطاً بين الله والبشر، وهو فرضًا إله مثله مثل أبيه، ولا يمكن أن يكون وسيطًا مع الله بما أن ذلك يعني أنه سيتوسط لنفسه عند نفسه» (صفحة ١٦٠).

ويختتم قائلاً: «**يا لها من مسرحية هزلية تلك التي يقصونها عن حياة يسوع المسيح وعن وفاته، وعن بعثه أوصعوده!**».

ريشار سيمون (١٦٣٨ - ١٧١٢) Richard Simon

ولد ريشار سيمون في مدينة دييب الفرنسية الساحلية حيث درس بها في مدارس اللاهوت ثم واصل دراسته في السوربون قسم الدراسات الدينية واللغات الشرقية، وعيّن قسا وبدأ نشاطه الأدبي بدراسات نقدية متعددة شديدة الدقة، حول عقيدة الإفخارستيا، وعن «أتباع الكنيسة الشرقية» (١٦٧٢) التي زودها بمائتي صفحة من الهوامش العلمية التي تتجلى فيها براعته المنهجية العلمية.

ثم قام بعمل «**التاريخ النقدي للعهد القديم**»، من ثلاثة أجزاء، تضمن تحليلاً شديد العمق لكل الذين ترجموا أو علقوا على العهد القديم، وهو ما أثار غضب الكاثوليك والبروتستانت على السواء، فقد أفزعهم مستوى هذا النقد العلمي الذي أقل ما يقوم به هو هدم أعمالهم التبريرية. وقبل أن تنتهي طباعة الكتاب، كان الأسقف بوسويه Bos-suet قد قرأ الفهرس، ورأى «أن موسى لا يمكن أن يكون هو مؤلف الكتب المسندة إليه» وهي الأسفار الخمسة! فهرع الأسقف إلى رئيس القضاة، وما هي إلا أسابيع حتى كان قد تم الإستيلاء على الكتاب ومنع من النشر، وتم رفت ريشار سيمون من المعهد ومن ممارسة مهامه الدينية، فانسحب إلى ضيعته وقام بإعداد طبعة جديدة سرًا وزودها

بالكثير من التفاصيل في مقدمتها، وتمت طباعته في هولندا. وبذلك بدأ ما عرف بالنشاط الأدبي السري في فرنسا كنوع أو كوسيلة للتحايل على الرقابة الكنسية وغيرها.

وفي خلال أربع سنوات قام بكتابة ثلاثة من أهم كتبه هي: «**التاريخ النقدي للعهد القديم**» (طبع في روتردام سنة ١٦٨٩)، و«**التاريخ النقدي لترجمات العهد الجديد**» (١٦٨٩) ومن أهم ما أشار إليه عمليات التحريف التي تمت بناء على التلاعب في الترجمات من الأصول سواء العبرية أو اليونانية، وكمّ التناقضات الواردة بالأناجيل والتي تدين عملية أنها مقدسة أو منزلة. وإذا ما وضعنا هذا النوع من النقد الذي يعد اليوم مسألة دارجة، في إطاره الزماني في القرن السابع عشر لأدركنا قيمة وجرأة ذلك العمل الذي قام به الأب ريشار سيمون. كما كتب «**التاريخ النقدي لأهم المعلقين على العهد الجديد**» (١٦٨٩ و١٦٩٣)، وهو ما أدى إلى مناقشات محتدة مع الكنيسة والكنسيين، وتبعه بكتابه: «**ملاحظات جديدة حول نص وترجمات العهد الجديد**» (١٦٩٥). والعنوان وحده يكشف مدى الاختلافات الواردة بحيث تطلبت بحثاً بهذه القوة والصرامة.

ثم قام بعد ذلك بعمل ترجمة للعهد الجديد بعنوان: «العهد الجديد لربنا يسوع المسيح، مترجم عن الطبعة اللاتينية القديمة، ومزود بملاحظات» من أربعة أجزاء (١٧٠٢)، وهي الترجمة التي استعان فيها بترجمة القديس جيروم وكشف ماتم فيها من تلاعب وتحريف يأتي هنا كنوع من التأكيد للذي قاله القديس جيروم في مقدمته لهذه الأناجيل التي كتبها باسم البابا داماز Damase، والتي أوضح فيها عمليات التغيير والتبديل التي اضطر إلى عملها ليخرج الأناجيل الأربعة وفقًا لطلب البابا.

إلا أن الأسقف بوسويه قد علم بهذه الترجمة التي قام بها ريشار سيمون وهاجمها بعنف ومنعها من التداول لاختلافها الواضح عن النص الرسمي المتداول.

ولم يتوقف الأب ريشار سيمون وواصل مسيرته في كشف عمليات التحريف المتعددة سواء في النصوص المفترضة كأصول أو في الترجمات التي بنيت عليها، أو للأعمال التفسيرية والتبريرية التي لاحظها من خلال دراسته المتعمقة في كل من اللاهوت واللغات الشرقية. وتضم مؤلفاته في هذه المرحلة: «**تاريخ دخل الكيان الكنسي**» (١٦٨٤) الذي أوضح فيه البذخ الفاحش لكبار رجال الكنيسة وكيفية استيلائها على دخول لا حصر لها عن طريق الغش والتحايل على الأتباع وكتاب «**التاريخ النقدي لتصديق**

وبعد رحيل ريشار سيمون خبا هذا التيار العلمي النقدي للنصوص الدينية فقد ازدادت القبضة الحديدية، وكان على هذا المجال البحثي أن ينتظر قدوم القرن التاسع عشر لتتم إعادة اكتشاف أعماله وتتواصل المسيرة الوعرة التي بدأها بصلابة راسخة واستمرت في تزايد متفاوت الحدة حتى يومنا هذا.

القس إرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢) Ernest Renan

يمكن القول بأن القس السابق إرنست رينان يلخص بأعماله المتنوعة تطلع القرن التاسع عشر الفرنسي. فقد تناول التاريخ والأخلاق والفلسفة والنقد الأدبي والنقد الديني، وتأمل حول السياسة وإصلاح التعليم، إلا أن أهم ما يعرف له من إسهام هو كتابه المتعدد الأجزاء والمعنون: «**تاريخ أصول المسيحية**» (٧ أجزاء).

بدأ رينان حياته وقد تصور أن المجال الكنسي هو طريقه، إلا أن الدراسات الدينية التي خاضها لكي تؤهله لهذا المجال قد اقنعته بهشاشة البنيان المسيحي فقطع صلته بالمجال الكنسي وتفرغ للدراسة والكتابة. وقد وصل إلى درجة رئاسة «الكوليج دي فرانس» وهي من كبرى المؤسسات العلمية الفرنسية. إلا أن الاضطهاد الذي عانى منه من قبل الكاثوليك وملاحقتهم له أجبرته على التخلي عن منصبه!

وأهم ما يميز أبحاث آرنست رينان هو أنه قام، لأول مرة في فرنسا، بنزع صفة القداسة عن الأبحاث الإنجيلية ليقيم منهجًا علميًا قائم على التفسير العلماني، وإن كانت أول محاضرة ألقاها قد صدمت الرأي العام إذ تحدث عن يسوع كإنسان لا مثيل له - كإنسان وليس كإله، وما إن صدر أول جزء من كتابه الموسوعي حول «**تاريخ أصول المسيحية**» وكان بعنوان «**حياة يسوع**» (١٨٦٣) حتى زادت الحرب ضده. إلا أن نجاح هذا الجزء الأول كان مدويًا. إذ تناول حياة يسوع في الإطار التاريخي مستبعدًا جهاز الإيمان الكنسي، ليتغنى بالعلم والتقدم العلمي في العصر الحديث على أنه - في نظره - يمثل ديانة جديدة قادرة على تنظيم الإنسانية عقلانيًا.

ويوضح رينان أنه في كثير من المدن الهامة، أيام المسيحية الأولى، كانت هناك أسقفيتان: واحدة خاصة بالمسيحيين من أصل يهودي، والأخرى للذين هم من أصل وثني. ويقول إن النوع الثاني الخاص بالذين هم من أصل وثني قد أقامه بولس، وذلك نقلاً عن المؤرخ القديم ابيفانوس. ثم يؤكد رينان أنه في القرنين الثالث والرابع الميلاديين قد أفرضوا في هذا التقسيم للخروج من المأزق كلما أرادت الكنيسة أن توجد لنفسها

تسلسلاً منتظمًا من الأساقفة لإثبات شرعيتها في التراث. ومن هنا أصبح تدليس بعض الكنائس الكبرى جزء من الواقع المعاش.

ويوضح أنه قد تفاقم الوضع عندما أضيف إلى مشكلة الأصل، مشكلة اللغة مثلما حدث في انطاقيا حيث كان فريقًا يتحدث اليونانية والآخر السريانية.

لذلك كان يوجد بانطاقيا أسقفية ترجع إلى بطرس وأخرى ترجع إلى بولس. وينتقد رينان تلك القوائم المفتعلة «بغية إيجاد تسلسل مزعوم لكل أسقفية. فقد كانوا يحرّفون التواريخ حتى تتوافق مع أحد الحواريين»!

وعند حديثه عن المسيحية الأولى في مصر، يؤكد القس السابق إرنست رينان قائلاً: «إن مصر كانت دائمًا متأخرة عن ركب المسيحية، وأنها قد تلقت التعاليم الأولى للعقيدة أيام فلافيوس. إن التراث الذي يزعم أن مرقس قد بشر في مدينة الإسكندرية يعد من الاختراعات المتأخرة التي تحاول الكنائس الكبرى أن تبحث لنفسها عن نسب رسولي ممتد. فكلنا نعلم تمامًا الخطوط العامة لحياة القديس مرقس، وأنه قد اتجه إلى روما وليس إلى الإسكندرية فعندما راحت كل الكنائس الكبرى تزعم أن لها مؤسس رسولي، قامت كنيسة الإسكندرية، وكانت قد كبرت بدورها، فأرادت أن تتزود بأصالة لا تمتلكها، وكان مرقس الوحيد تقريبًا بين الشخصيات التاريخية الرسولية الذي لم يكن أحد قد تبناه بعد. وفي واقع الأمر، إن غياب اسم الكنيسة المصرية من نصوص «أعمال الرسل» ومن رسائل القديس بولس يرجع إلى أن مصر كان بها نوعًا من المسيحية الأولى، أو هي «ما قبل المسيحية»، التي جعلتها منغلقة تماماً للمسيحية بمعنى الكلمة. كان لديها فيلون السكندري، والزهاد اليهود، أي أنه كان لديها من المذاهب الشبيهة بتلك التي تتشكل في اليهودية والجليل بحيث أنها بدت وكأنها ليست بحاجة إلى الالتفات بأذن صاغية إلى المسيحية. وفيما بعد قيل أن الزهاد اليهود لم يكونوا سوى مسيحيون من أتباع القديس مرقس وأن فيلون قد كتب عنهم. وكانت تلك هلوسة حقيقية أوتحريفًا صارخًا، إذ أن فيلون السكندري قد مات منذ زمن بعيد، قبل ذلك التاريخ الذي يزعمون فيه أن القديس مرقس قد بشر في الإسكندرية»! («**تاريخ أصول المسيحية**»، المجلد الخامس، صفحات ١٥٦ - ١٥٨).

الأمر الذي يكشف عن أن هذه المؤسسة الكنسية قائمة في كل خطاها على دعائم جد واهية لكي لا نقول كاذبة.

المعاصرون

- تنوع المسيحية
- صياغة الأناجيل
- التعليقات على الأناجيل
- حول أصول المسيحية
- اتهامات ضد المؤسسة الكنسية
- مشكلة يسوع
- «لو كان المسيح الله»..

المعاصرون

تنوع المسيحية

من الصعب أن نتصور ظاهرة دينية أكثر اختلافًا وتضاربًا من المسيحية الحالية، فقد انقسمت الفروع الأساسية المعروفة إلى أكثر من عشرين ألف طائفة، بحيث يتساءل المرء هل من الصواب أن نطلق عليها مسمى «المسيحية» أم «المسيحيات»؟!

وليست هذه الظاهرة وليدة اليوم أو وليدة العصور الحديثة، وإنما هي آفة مرتبطة بها منذ أيامها الأولى. ففي القرن الثاني والثالث كان هناك مسيحيون يؤمنون بإله واحد، وآخرون يصروّن على أنهما اثنين، وآخرون يؤكدون أنهم ثلاثة. بل كان هناك من يراهم ٣٦٥ إلهًا. وفي القرن الثاني والثالث أيضًا كان بعض المسيحيين يرون أن الله هو خالق الكون، وآخرون يرون أن ثمة إله جاهل، أقل من الله، هو الذي خلقه. كما كان بينهم من يتصور أنها غلطة كونية قام بها أحد الآلهة الأشرار ليوقع بالبشر ويخضعهم للآلام.. وفي القرن الثاني والثالث أيضًا كان هناك من المسيحيين من يؤمنون بأن العهد القديم كتبه إله حقيقي، وآخرون يرون أن إله اليهود هو الذي كتبه، وهو ليس بإله حقيقي، وفريق ثالث يرى أنه من وحي إله البشر.. بينما كان آخرون يؤكدون أنها كتب لا تمت إلى الإلهام بصلة.

وفي القرنين الثاني والثالث أيضًا، كان هناك بعض المسيحيين الذين يؤمنون بأن يسوع إله وإنسان في آن واحد، وآخرون يصرون على أنه إله تمامًا لأنه من المحال الجمع بين الصفتين، بينما فريق ثالث يصر على أن يسوع إنسان وقد تبناه الله ليكون ابنه، لكنه ليس مثل الله. وفريق آخر من المسيحيين يقول إن يسوع المسيح مكون من شيئين: يسوع عبارة عن إنسان، والمسيح عبارة عن إله قد تجسد في يسوع ثم خرج منه قبل لحظة وفاته. أي أنه تجسد فيه ليلهم أعماله لكنه انفصل عنه لكي لا يعيش آلامه..

وفي نفس القرنين، الثاني والثالث، كان هناك من المسيحيين من يؤمن بأن يسوع قد مات من أجل خلاص العالم. بينما آخرون يرون أنه لا علاقة لخلاص العالم بوفاته، وفريق ثالث يؤكد أن يسوع لم يمت!.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال بإلحاح: لم كل هذه الاختلافات التي لا يمكن الجمع بينها؟ ولماذا لم يقرأ كل هؤلاء المسيحيون العهد الجديد ليتبيّنوا الحق من الباطل؟!

العقائدية من جهة، ووفقًا لمستوى الناسخ نفسه. وهنا يؤكد بارت إرمان (Bart Ehrman) رئيس قسم الدراسات الدينية بجامعة كارولينا: «**أن النسّاخ الأوائل لم تكن لديهم دراية ولا تدريب للقيام بهذه المهمة، لذلك قاموا بالعديد من الأخطاء. وبعد ذلك تم نقل هذه الأخطاء عن طريق النسّاخ الجدد الذين لم يكن بين أيديهم سوى نسخ مليئة بالأخطاء، وظل الحال كذلك حتى العصور الوسطى**» (**مسيحيات ضاعت**، صفحة ٤٩).

لذلك يؤكد في نفس الصفحة قائلاً: «**ما من نسخة من النسخ الأصلية لكتاب العهد الجديد قد نجت، وما من نسخة من النسخ الأولى بل ولا نسخة واحدة من النسخ المنسوخة أصلاً. فأقدم ما وصلنا من نسخ من كتب العهد الجديد يرجع إلى القرن الرابع تقريبًا - أي بعد ثلاثمائة عام من إنتاج النسخ الأصلية.. ثلاثمائة عام قام خلالها كتبة من مختلف العقليات والكفاءات بنقل النصوص الأصلية والغلط في نقلها**».

الأمر الذي جعله يؤكد، عند تناوله موضوع «الأصول الإنجيلية، وترسانة تحريفها»، في الفصل العاشر من هذا الكتاب، قال مؤكدًا: «**إننا لا نمتلك أية أصول لأي كتاب من الكتب التي تكون العهد الجديد، بل ولا أي نص مسيحي أصلي، أن كل ما لدينا هي نسخ منقولة عن الأصل، أو - إن أردنا الدقة، لدينا نسخ منقولة من نسخ النسخ المنقولة عن الأصل، وأكثر هذه النصوص بعيدة مئات السنين عن النص الأصلي**» (صفحة ٢١٧).. وبعدها عن النص الأصلي يعني بعدها عن الأحداث وعن الحقائق - إن كانت هناك ثمة حقائق.

صياغة الأناجيل:

لقد بدأ نقد «النصوص المقدسة» منذ عصر النهضة مع بداية انتشار التعليم، ومع بداية الإطلاع على المخطوطات القديمة اليونانية ومقارنتها بالترجمات اللاتينية وغيرها.

وهو ما سمح للباحثين في القرن السادس عشر بكشف الاختلافات الواردة في كل النصوص التي تراكمت في القرون الوسطى. وقام العديد من الباحثين بعمل ترجمة جديدة، وهي الفترة التي تمثل بداية ذلك الشرخ الممتد عبر القرون التالية وحتى يومنا هذا.

وفي أواخر القرن السابع عشر ومطلع الثامن عشر، اتسع مجال المقارنة من مراجعة الترجمة بين اللغات، إلى مراجعة نفس الحدث وكيفية التعبير عنه. ومنها ما كتبه سْبينوزا (Spinoza) تحت عنوان: «**التاريخ النقدي للعهد القديم**» (١٦٧٨)، وما كتبه الأب ريشار سيمون بعد أن أجبر على الرحيل من فرنسا إلى هولندا: «**التاريخ النقدي لنص العهد الجديد**» (١٦٨٩).

إلا أن ما يمكن أن يطلق عليه النقد العلمي اللغوي فيرجع إلى جريسباخ (Griesbach) الذي قام بعمل تلخيص لأهم المآخذ عام ١٧٧٤، وإلى ريماروس (Reimarus) الذي صدر كتابه في نفس عام ١٧٧٤ في ألمانيا. فقد أوضح جريسباخ أن إنجيل كل من لوقا ومرقس ينقلان تقريبًا إنجيل متى رغم الاختلافات بينها وأنه لا يمكن اعتبارها شهادات تاريخية مؤثوق بها. وذلك لأنها تنقل ثلاثتها من أصل واحد يطلق عليه كويللي (Quelle) بالألمانية وتعني «الأصل» ويختتصرونها بحرف Q. كما أوضح أن هذا الأصل لا يتضمن قصة صلب يسوع، الأمر الذي يؤكد أنها أضيفت بعد ذلك! وقام بإدانة الأناجيل إجمالاً.

أما ريماروس، فقد أوضح أن الحواريين قد قاموا بتحويل رسالة يسوع إلى فئات عقائدية وأنهم قاموا بسرقة جسده لفرض عقيدة البعث.

وامتد البحث حول الأصول الإنجيلية في القرن التاسع عشر ليكشف عن أن الأناجيل قد تمت كتابتها وفقًا للأغراض العقائدية التي كانت تصيغها الكنيسة عبر مشوارها. وهو ما نجم عن كتاب الأب إرنست رينان (Ernest Renan) الفرنسي سنة ١٨٦٣، وكتابه عن «**حياة يسوع**»، والكتاب الأكثر منهجية للأب ألفريد لوازي (A.Loisy) وكتابه المعنون: «**الإنجيل والكنيسة**» (١٩٠٢) الذي أثار ضده زوبعة صارخة لم تهدأ إلا بإقالته من منصبه الكنسي والجامعي.

ومع بداية القرن العشرين تزايدت الأبحاث لتناول العهد القديم، وخاصة ذلك التيار الذي أطلق عليه هدم العقيدة من الداخل، فأكثر الذين أسهموا فيه كنسيين، وأهمها أعمال رودلف بولتمان (R.Bultman) (١٨٨٤ - ١٩٧٦) الذي أثبت علميًا وتاريخيًا ولغويًا استحالة كتابة قصة يسوع بناء على النصوص الموجودة لكل ما بها من مآخذ متعددة المجالات.

وبذلك بدأ الحديث عن يسوع التاريخي ويسوع الكنيسة أو وفقًا للإيمان، وقد أصبح الفصل بين الإثنين لا رجعة فيه. وتحول «يسوع التاريخي» بعد عيد الفصح إلى «مسيح الإيمان».

ومن خلال ذلك الكم من الأعمال يمكن وصف محاولات البحث عن يسوع الحقيقي أنها أشبه ما تكون بالبحث عن إبرة في كومة من التبن، من كثرة ما لحق بالنصوص والأحداث من تغيير وتطاحن بين العلماء. فكلما أتى العلم الصادق بخطوة إلى الأمام في الكشف عن عمليات التحريف، استكتبت الكنيسة فرقها من العلماء التابعين لها للتصدي لما يتم الكشف عنه من حقائق.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصة من السبعينات والثمانينات منه، بدأت موجة جديدة للبحث عن يسوع من خلال ارتباطه باليهودية. وهو ما يسود الأبحاث الجارية حتى في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن الواضح أن هذا الخط قد بدأ بعد الكشف عن مخطوطات قمران وما واكبها من مغامرات النشر أو الترجمة.

وبما أن النسخ اليدوي ظل هو الوسيلة الوحيدة حتى اختراع المطبعة فإن هذه الإمكانية قد سمحت بإيجاد مئات الآلاف من نقاط الاختلاف والتناقض الناجم عن السهو أو العمد في النقل من نسخة إلى أخرى. والمعروف أن عدد نسخ الكتاب المقدس يصل تقريبًا إلى خمسة آلاف نسخة يدوية، ويرجع أقدمها إلى القرن الثاني، إضافة إلى خمس أو ست نسخ كاملة للعهدين من القرن والرابع والخامس.

التعليقات على الأناجيل:

لاشك في أن المتناقضات ولا مصداقية وعدم توافق الأحداث التي تغص بها نصوص العهد الجديد تثير لدى القارئ مشكلة كيفية تكوينها. وما يجمع عليه العلماء اليوم، وأيًا كانت اتجاهاتهم، أن هذه النصوص لا تمثل شهادة تاريخية للأحداث المعاصرة ليسوع، ولعل ذلك يرجع إلى أن تلاميذه وأتباعه كانوا مقتنعين بقرب نهاية العالم «قبل انقضاء ذلك الجيل». ومن البديهي أنه عندما يكون المرء ينتظر أو يتوقع نهاية العالم، لا يفكر في كتابة مذكرات أو ما يماثلها. من ناحية أخرى، فإن الأناجيل المتواترة تتحدث عن بؤس اليهودية وما أصابها من خراب، وعن هدم المعبد الذي تم سنة ٧٠م، وهذا يعني بالقطع أنها كتبت بعد هذا التاريخ.

ومع اختفاء الجيل الأول من المسيحيين، بدا من الطبيعي أن يتم تثبيت ما كانوا يقصونه شفاهة عن حياة يسوع، مع كل ما تتضمنه مصداقية رواية الأحداث شفاهة من إضافات وتغيير ولو من باب إضفاء بعض الحليات.

وإن كان بعض الباحثين يرجع تكوين الأناجيل في أواخر القرن الأول، فالإجماع حاليًا يشير إلى سنة ١٧٠م وذلك للتصدي للإنجيل الذي كتبه مارسيون حوالي عام ١٤٤، والذي كان قد ضمنه أفكارًا غنوصية مستوحاة من الثنائية الإيرانية القديمة. واختيار الأناجيل الأربعة الحالية من بين ذلك الكم الذي كان منتشرًا آنذاك كان نتيجة اتفاق توفيقي بين روما وكنائس آسيا، وأنه قد تم، كما يوضحه الأب ألفريد لوازي (Alfred Loisy) في كتابه عن «**مولد المسيحية**»، خلال المناقشات التي كانت دائرة عن عيد

الفصح بين بوليكارب (Polycarpe) في أزمير، والبابا أنيست في روما سنة ١٦٠م. وتمت مراجعة هذه الأناجيل الأربعة من وجهة نظر تخالف مارسيون حتى وإن كان على حساب إمكانية الوقوع في تناقضات داخلية في نفس الإنجيل الواحد، وليس بين الأناجيل الأربعة فحسب، وهو ما سيصبح معروف باسم قانون موراتوري حوالي سنة ١٨٠م.

ولم تستتب الصياغة الأولى للأناجيل رسميًا إلا في القرن الرابع، وأنه حتى آخر القرن الثاني كان ثيوفيل الإنطاقي يعتبر أن العهد القديم وحده هو الذي يمثل النصوص الرسمية للكنيسة، وأقدم المخطوطات اليونانية الموجودة هي مخطوطة سيناء (Sinaiticus) ومخطوطة الفاتيكان (Vaticanus) وترجعان للقرن الرابع. وهناك حوالي ٢٠٠ مخطوطة تتراوح كتابتها ما بين القرن الخامس والعاشر، هي مكتوبة بالأحرف اليونانية الكبيرة أما المخطوطات المكتوبة بالأحرف اليونانية العادية أو الصغيرة فيصل عددها إلى حوالى أربعة آلاف.

ويشير لويس روجييه (L.Rougier) إلى أن هذا الكم من النصوص وترجماتها إلى عدة لغات «**يمثل كما لا حصر له من الأخطاء والاختلافات، ومنها الناجم عن خطأ من يقومون بالنقل، أو من يقومون بالترجمة، وإلى استشهادات تمت عن الذاكرة، وإلى إضافات وزيادات لمحاولة التوفيق، وإضافات أخرى بغية محاربة هذه الهرطقة أو تلك، أو للرد على أية اعتراضات، والمؤلفون القدامى يوردون تعليقات لها مغزاها حول هذا الموضوع**» (صفحة ٢٤٩)، ونورد منها بعض الاستشهادات مثال:

وها هو دنيس الكورنثي حوالي سنة ١٦٠ - ١٧٠ يعلن قائلاً: «**ووفقًا لما طلبه مني الإخوة، فقد كتبت لهم رسائل، وقد قام البعض بإدخال العبارات الخاطئة عليها، وهؤلاء الأشرار تنتظرهم لعنة، فقد بدّلوا وأضافوا وفقًا لهواهم، لذلك لا يجب أن ندهش إن قام البعض بتغيير النصوص المقدسة لربنا، بما أنهم قاموا بذلك في كتاباتي وهي أقل شأنًا ولا تضاهيها**».

و في عام ١٨٠ تقريبًا كتب سيلس في خطابه «ضد المسيحيين» متحدثًا عن الأناجيل: «والحق هو أن كل تلك الوقائع ليست إلا أساطير اختلقتموها لكي تتمكنوا من إضفاء مسحة من الصدق على أكاذيبكم، وإن كان من الواضح أن عدداً منكم أشبه بمن لعبت الخمر برؤوسهم ويتناحرون، فقد مدّوا أيديهم على النص الأصلي للأناجيل وعدلوها ثلاث أو أربع مرات وفقًا لهواهم حتى يفندوا ما يتم الاعتراض عليه».

وكان إيريني في أواخر القرن الثاني يتوسل إلى الذين يقومون بعملية النقل شاكيًا «من يقومون بترجمة نص ويتصورون أنهم أكثر نباهة من الحواريين، فيقومون

بتصحيحه»! وحوالي سنة ٢٠٠ كتب ترتوليان (Tertullien) وهو أول واحد من الآباء الذين كتبوا باللاتينية: «إن الهرطقة ترفض بعض النصوص، وما تقبله منها لا تأخذه كاملاً، أنها تبدله سواء بالحذف أو بالإضافة لتجعله يتفق مع منهجها». والمضحك أن نفس ترتوليان هذا قد تحول إلى هرطقي وكان يقوم بعملية التعديل والتبديل التي يشكو منها!.

ونفس الشكوى ترد لدى كليمون السكندري ولدى أوريجين، إذ يقول: «**من الواضح حاليًا أن الفرق يتزايد لدى من يقومون بالنقل سواء بسبب الإهمال أو الجرأة الخبيثة على التصويب بالإضافة أو الحذف العشوائي**».

ولعل القديس جيروم في القرن الرابع هو خير من يوضح الموقف حين يشكو من التحريف والتبديل والتزييف، إلا أنه سرعان ما أصبح هو أيضًا يقوم به بناء على أمر من البابا داماز (Damase). فمع تزايد عدد الأناجيل وتضاربها شيعًا، طلب منه البابا «أن يستعين بكل هذه الأناجيل القديمة ليعمل نصوصاً جديدة وأن يقوم بنفسه بانتقاء ما يتفق والحقيقة اليونانية».

ويتساءل القديس جيروم عما إذا كان لن يتهمه العلماء والجهلاء بانتهاك حرمة النصوص إذا ما تجرأ وقام بالإضافات والتغييرات وتشذيبات الكتب القديمة؟ ثم يضيف قائلاً: «**إذا ما كان المطلوب مني أن نثق في النصوص اللاتينية فليقولوا لي أيهم، لأن الاختلافات بها بعدد النسخ الموجودة، وإذا ما كان علينا أن نطلب الحقيقة مما هو وارد في أغلبيتها، فلماذا لا نرجع إلى النص اليوناني الأصلي ونصوّب فيه الترجمات الخاطئة والتعديلات الأخطر الناجمة عن الجهل المفترض، والإضافات أو التغييرات التي اقترفها الناسخون النعسون؟**».

وأول ما فكر فيه القديس جيروم كعمل أساس لاستعادة النص الأصلي هو محاولة التوفيق بين النصوص، وهنا يقول: «بالفعل، إن الأخطاء تغص في مخطوطاتنا واستقرت بها، فنرى في نفس الموضوع الواحد، إنجيل أطول من الآخر، والآخر، بعد أن رآه شديد القصر قد عانى من الإضافات. أو حتى عندما يكون المعنى واحدًا، لكن العبارات تختلفَ، فإن ذلك الشخص عندما يقرأ أولا أحد الأناجيل الأربعة وارتأى من الصالح أن يصوّب الأناجيل الأخرى بناء على الأول فينتج عن ذلك أن كل النصوص لدينا مختلطة، وأنه يوجد لدى مرقس كمّ مما لدى لوقا ومتى، ولدى متى كم مما لدى لوقا ويوحنا وهكذا». (وراد في المقدمة التي كتبها للأناجيل التي وضع نصها بأمر من البابا داماز

نص العهد الجديد في الربع الأخير من القرن الثاني، فقد تعرضت النصوص إلى العديد من المخاطر ومنها: إهمال الناسخين، وخبث الهراطقة، وحماس الأتقياء الأصوليون، إضافة إلى التعديلات التي تمت من التوافق بينها أو بناء على المفسرين. فكلما تطورت المعتقدات الإيمانية كانت نفس الكلمات ومعانيها تتغير. وبذلك أصبحت هناك طبقات متراكمة من محاولات التصويب والتعديل أدت إلى زيادة حجم النصوص الأصلية التي كانت شديدة البدائية. وبذلك فإن من صاغوا الأناجيل كانوا يعملون اعتماداً على نصوص غير أصلية». وهو ما يقوله لوقا في مطلع إنجيله:

«إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّاماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به» (لوقا ١: ١-٤).

وأول ما نخرج به من هذا النص أن من كتب الإنجيل المعروف باسم لوقا يعتبر المسألة «تأليف قصة» حول تلك «الأمور المتيقنة» بناء على ما رواه من تناقلوها. لذلك رأى ذلك الشخص، وهو هنا يقيناً ليس لوقا الحواري الذي صاحب يسوع، رأى أن يقوم هو أيضاً بتأليف قصة في هذه الأمور.. أي أن مسألة نصوص هذه الأناجيل هي قصص وروايات لا علاقة لها بالنص بالمنزّل.

والدليل على ذلك أن قصة ظهور يسوع بعد بعثه، كما يقولون، وهي واردة في إنجيل مرقس (١٦ :٩-٢٠) غير واردة في النص الذي يعتبر أصل الأصول سواء أكان النص السينوي أو النص الفاتيكاني، الأمر الذي يؤكد أنه إضافة على حد قول لويس روجييه (صفحة ٢٥٢)، الذي يضرب العديد من النماذج.

أما الباحث بارت إرمان (Bart Ehrman) رئيس قسم الدراسات الدينية في جامعة كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة، ويعتبرونه حجة في دراسات الكنيسة في عصورها الأولى وفي حياة يسوع، فهو يورد في كتابه المعنون: «المسيحيات الضائعة» الصادر سنة ٢٠٠٣، صورة في صفحة ٢١٨ من المخطوط الفاتيكاني للكتاب المقدس، وهذا هو نص التعليق الذي تحتها وهي موجودة في الملاحق:

«الإصحاح الأول من سفر العبرانيين في واحدة من أحسن المخطوطات التي نجت للعهد التجديد المعروفة باسم «كودكس فاتيكانوس» (Codex Vaticanus). ويلاحظ فيها الملحوظة المكتوبة بين أول عمودين. **فقد قام أحد المصححين بمحو كلمة من الآية**

لذلك يؤكد هوبر برنو: «أن الأناجيل تشهد بأن ما أجرى بها من تغيير في مساحات كبيرة منها، كانت كلها تغييرات عمديّة مقصودة». وهو ما يصل إليه - على حد قول لويس روچيه، «كل كاتب إكليروسي، أو علماء مدنيين، أو مؤمنون أو غير مؤمنين، فالجميع يصل إلى نفس النتيجة: أن الأناجيل ليست نصوصًا تاريخية منزّلة، وإنّما أعمال تعليمية»، فهي ليست تاريخية موثقة بالمفهوم الحديث للكلمة، وإنما - على حد قول بونسيرفن (J.Bonsirven)، «**انها مكتوبة من اجل تجنيد أتباع جدد، ومن أجل التصدي للهرطقات، والهرطقة هي كل ما هو مخالف لتعاليم المؤسسة الكنسية، ومن أجل بلبلة اليهود المتعصبون ومن أجل الطقوس واحتياجاتها**».

ويتساءل أكثر من باحث لماذا اختفت أناجيل بعينها ولا نعرف عنها إلا من أصداء كتابات أخرى؟ أو لم يبق منها إلا أجزاء متفرقة - ومنها «إنجيل العبرانيين» وكان يعتبر قديمًا الإنجيل الأصلي لمتّى، وكان مستخدمًا حتى مطلع القرن الثاني: «وإنجيل النصارة» وكان سائدًا حتى أواخر القرن الأول لدى مسيحي سوريا، و«إنجيل الإثنى عشرة» كما كان يطلق عليه آوريجين، و«إنجيل مارسيون» ومن المعروف أن أتباع مارسيون قد انتشروا في كافة الأرجاء التي عرفتها المسيحية الأولى. واستبعادها لا يعني سوى شيء واحد، هو: إنها كانت خطرة ومخالفة لرؤية المؤسسة الكنسية التي لجأت إلى الحذف والإضافات والتغيير والتبديل ومحاولات التوفيق إضافة إلى أخطاء الناسخين ولبس المترجمين، وإضافة إلى عملية الرقابة الشديدة التي فرضتها بعد تنصير الامبراطور قسطنطين واستحواذها على السلطة المدنية. والمعروف أن عملية الرقابة هذه قد طالت النصوص الدينية كما طالت النصوص المدنية التي كانت تخالفها أو تفضحها وتكشف عن أفعالها.

وذلك هو ما حدث مع أهم أعمال خصوم المسيحية من أمثال سيلس وبورفير، والامبراطور چوليان، وبيروكلس - وهي أسماء مذكورة على سبيل المثال لا الحصر، ولم يبق من أعمالهم إلا ما نطالعه في ردود أباء الكنيسة. وقد أصدر الإمبراطور تيودوزيوس سنة ٣٩٨ قرارًا ينص على: «تطبق عقوبة الموت على كل من يمتلك أي عمل من أعمال الهراطقة».

وفي سنة ٤٤٧ أصدر البابا ليون في مرسوم له يقول: «يجب ملاحظة عدم إبقاء الكتب المزيفة والتي تخالف العقيدة الصادقة، وألا يقرأها الكاثوليك، وتقع هذه المراقبة على عاتق حماس القساوسة، وحتى الكتب المحتجبة (الأبوكريفا) (ونعني التي حجبتها

اسم «المسيحية». ولاشك في أن إسهام الباحثين الألمان وخاصة علماء اللغويات في القرن التاسع عشر من ريماروس (Reimarus) إلى رودلف بولتمان (R.Bultman) قد أوضحوا بصورة قاطعة «أن القيمة التاريخية للأناجيل جد ضحلة، وأنها مجرد أقاصيص ورعة، كتبها بعض المؤمنين لنشر مفاهيمهم الأخلاقية».

وفي القرن التاسع عشر أيضاً قام الفيلسوف الألماني لودفيج فيورباخ (L.Feuerbach) بعمل تحليل نفسي للديانة المسيحية وأوضح فيه أولى النظريات المادية. ففي كتابه الأساسي، المعنون «**جوهر المسيحية**» (١٨٤١)، أوضح أن الدين يمثل حاجة نفسية ما، وبما أن الاهتمام الأول للإنسان هو الأنا، وبالتالي فإن عبادة الله هي في الواقع عبادة للأنا الأمثل». وبغض النظر عن هذه الشطحات فإننا نوردها لنوضح إلى أي مدى وصل التأكد من عدم وجود أية أصول مقنعة للديانة المسيحية، مما أدى إلى البحث عن هوية في مجالات نفسية.

وهناك داود فريدريخ شتراوس (D.F.Strauss) وكتابه الضخم المكون من جزئين، وكل واحد منهما في حوالي ٧٠٠ صفحة، وعنوانه: «**حياة يسوع أو الفحص النقدي لتاريخه**» (١٨٦٤)، ورودلف بولتمان وكتابه المعنون: «**تاريخ التراث المتواتر**» (١٩٧٢)، وأرنست رينان (E.Renan) وكتابه الموسوعي المكوّن من ثمانية أجزاء: «**تاريخ أصول المسيحية**» (١٨٩٨) والذي يضم كتابه الشهير عن «**حياة يسوع**» في المجلد الأول، وكتاب رودلف أوجشتاين (R.Augstein) المعنون: «**يسوع ابن الإنسان**» (١٩٧٥).

ويتميز هذا الكتاب الأخير بأنه يثير العديد من القضايا الحقيقية الهامة والتي يتفاداها العديد من الناس، حيث يسأل: «**بأي حق تختلق الكنائس المسيحية يسوعاً ربما لم يوجد أصلاً في التاريخ، وعقائد لم يقم بتعليمها، وقدرة فائقة ربما لم يتصور هو إمكانية وجودها، وإضفاء صفة إليهة لم يقل هو عنها أي شيء؟**»، وبعد الإشارة إلى العديد من التناقضات الواردة بالأناجيل والتي لا تغفلها عين، يوضح فيما يتعلق بتاريخية يسوع المسيح، أنه لولا بولس لما استمرت المسيحية التي لم توجد أصلاً أيام يسوع.

ومن أهم الجوانب التي يكشفها أوجشتاين ذلك النفوذ الكنسي لرجال فرضوا أنفسهم على المجتمع الدولي على غير أساس سوى السعي وراء السلطة والاستحواذ عليها بأي ثمن، موضحًا: «أن هذه المسائل تهمنا طالما الكنائس لا تكف عن التدخل في حياتنا اليومية باسم السلطة الإلهية، فالطلاق ومنع الحمل، والإجهاض، وعقوبة الموت،

والموت الرحيم، والحرب الذرية، كلها قضايا حيوية تحاول هي فرض حلول لها بموجب سلطة مطلقة لإله أصبح اليوم مشكوك في مصداقيته بل نفس هؤلاء رجال الدين أول من يعلم ذلك». الأمر الذي يفسر تلك العبارة التي أوردها في صفحة ١٠ على لسان البابا بولس السادس، الذي شغل منصب البابوية فيما بين ١٩٦٣ و١٩٧٨، وعاصر نهاية أعمال مجمع الفاتيكان الثاني الذي انتهى عام ١٩٦٥، وقد قال بولس السادس هذا: «إن الله لم يسلّم النصوص المقدسة إلى المثقفين لكي يفتوا فيها وإنما سلمها لكنيسته (...) والمؤسسة الكنسية لا يمكنها أن تستمر إن لم تؤكد حقها في أن تفرض نظامها على البشر: وكيف يمكنها ذلك إن لم يكن عن طريق سلطة عليها إلهية؟».

ولاشك في أن كل ما تخشاه هذه المؤسسة الكنسية هو المساس بهذا الحق المزعوم الذي أوجدته لنفسها لتمارس سلطتها على المجتمعات من المهد إلى اللحد. ويجيب المؤلف قائلاً: «**إن الشيء الوحيد الذي لا وجود له هو ذلك التصريح الإلهي الذي «تسلمته» الكنيسة لتقوم بتطبيقه»!.**

وعلى الرغم من ذلك الكم المتواصل الذي يحاول الكشف عن حقيقة تكوين المسيحية، فإن الجمهور العريض يعاني من جهل وتعتيم متعمد لا يمكن إغفاله، وهو ما يؤكده ميشيل أردوان قائلاً: «إن الجمهور العريض من الناس يعاني من نقص حاد في الثقافة والمعلومات حول الموضوعات الإسطورية أو الخرافية والدينية المكونة للمسيحية. فأغلب الناس تعاني من الجهل التام في هذه الموضوعات. فلا يزال رجال الكنيسة يعلّمون مثلاً في العديد من المدارس، أن يسوع المسيح كان شخصًا تاريخيًا حقيقيًا، وأن الخلاف الوحيد المثار حوله هو كيفية تقبله: هل هو ابن الله، الله، نبي أو مسيح؟ في حين أن الخلاف الدائر حاليًا أبعد ما يكون عن هذه التساؤلات. فأهم ما يعنينا اليوم هو معرفة ما إذا كان يسوع قد وُجد فعلاً»!.

وفي الثمانينيات من القرن العشرين، احتد النقاش ثانية وخاصة في البلدان الإنجلوساكسونية بظهور كتابين للباحث ج.أ. ويلز (G.A.Wells) وهما: «**هل وُجد يسوع؟**» و«**الأدلة التاريخية في مسألة يسوع**»، حيث يثبت ويلز فيهما أن شخصية يسوع كما تقدمها الكنيسة لا سند تاريخي لها. وسرعان ما استكتبت الكنيسة كالمعتاد أحد أتباعها «المخلصين» ليرد وينفي ما بهذين الكتابين. وانبرى يان ويلصن (Jan Wilson) بإصدار كتاب «يسوع: الأدلة» ليحاول إثبات أن يسوع قد وُجد فعلاً. وقد ضمّن كتابه هذا فصلاً بعنوان: «هل يسوع وُجد فحسب؟» وهو ما يثير الريبة من مجرد كتابته فإن كانت

تاريخية يسوع الإله الذي تجسد بشرا ليفدي البشر من الخطيئة قد وُجد فعلاً لما احتاجت المؤسسة الكنسية إلى كل ما قامت به من قمع وغش ولا تزال.

وعلى الرغم من أن هذه المناقشات الهامة لا تحظى بالقدر الكافي من الإعلام، إلا أن العدد يتزايد بين الباحثين الذين يؤكدون أن شخصية يسوع تتفق تمامًا والعديد من الأساطير القائلة بتجسد الإله، ومنها اليونانية والرومانية والمصرية والسومرية والفنيقية والهندية، وكلها كانت تعاش كأساطير وليس كواقع، وما يتزايد التأكيد عليه هو «أن القصص الإنجيلية لا يمكنها بحال من الأحوال أن تحتسب كوقائع تاريخية بابن النجار أو بالثائر اليهودي الذي عاش من ألفين سنة». ويقول آخر، «إن ما تم إثباته منذ عدة قرون هو أن شخصية يسوع كما هي واردة بالأناجيل قد تمت صياغتها من مختلف القصص والوقائع التلفيقية ولا تتفق مع أي وجود تاريخي لمثل هذه الشخصية».

وهو ما راح يؤكده ألبرت تشرشوارد (Albert Churchward) قائلاً منذ مطلع القرن العشرين: «إن الأناجيل المعتمدة تبدو كمجموعة من التأكيدات المأخوذة من الأساطير الأخروية المصرية القديمة» (**اصل وتطور الديانة المسيحية، صفحة ٣٩٤**). أما جوزيف ويليس (J.Wheless) فيؤكد في كتابه المعنون: «**التحريف في المسيحية**، «**أن الأناجيل هي كلها عبارة عن تحريف كهنوتي لاحق على الأقل بأكثر من مائة عام من التواريخ المذكورة أو المزعومة لها**». وفي كتابه الصادر عام ١٩٦١ بعنوان «السر التاريخي لحياة يسوع» يخرج ألبرت شفايتسر (A.Schweitzer) من بحثه مؤكدًا «**استحالة أن يعقل المرء واقع يسوع التاريخي كما تقدمه الأناجيل: أنه تحريف صارخ للتراث تم فرضه في القرن الثاني الميلادي بالعديد من العقائد المفروضة بالقوة**».

ولقد رأينا في هذا البحث، في الجزء المعنون: «المؤرخون القدامى»، كيف كانت عملية تحريف النصوص منتشرة بصورة جامحة في القرن الأول والثاني الميلاديين بحيث قام الذين يكشفون عن هذا التحريف والتلاعب بالحقائق باختلاق عبارة «التحريف الورع»! وهو نفس ما تقره الموسوعات الكبرى من قبيل موسوعة أونيفرساليس الفرنسية، أو «الموسوعة الكاثوليكية» الأمريكية، بل هناك عددًا ممن يطلق عليهم لقب كبار آباء الكنيسة، من قبل يوسبيوس، أو أوسيب القيصري، والقديس إيريني، أو القديس چيروم الذين اعترفوا بأقلامهم أو اعترف عليهم معاصريهم «بأنهم كذبة مفترون قد دأبوا على صياغة خيالاتهم الشخصية حول ذلك «الرب» وما قاله وفعله أثناء «إقامته» بين البشر» (ميشيل أردوان).

أما الباحث إدوار دوجاردان (Edouard Dujardin) فيؤكد في أبحاثه التاريخية أن وجود يسوع أبعد ما يكون عن ذلك الذي تشير إليه الرسائل الخاصة ببولس. لذلك يؤكد قائلاً: «إن النصوص البولسية لا تشير في أي مكان بها إلى بيلاطس البنطي، ولا إلى قيافا، ولا إلى المحكمة العليا اليهودية، ولا إلى هيرودس، ولا يهوذا، وإلى تلك النسوة «المقدسة» ولا إلى أي شخصية من الشخصيات الوارد اسمها أثناء محاكمة يسوع وآلامه الواردة في الأناجيل، وهو لا يشير خاصة من قريب أو بعيد عن ذكر آلامه وصلبه» (**قصة قديمة للرب يسوع**) صفة ٣٣.

ويوضح ميشيل أردوان في بحثه الصادر سنة ٢٠٠٠، قائلاً: «إن الخلط موجود في كل هذه النصوص، فعلى مر القرون قام بعض المنتحلين المسيحيون بمحاولة خلط وإدماج كل الأساطير وقصص الحكايات الخرافية والعقائد أو أجزاء من الحكم التي يمكنهم العثور عليها في العديد من الديانات ذات الأسرار والفلسفات الموجودة آنذاك، وبذلك فقد زوروا، وحرفوا النصوص، وبدّلوها وأعادوا صياغتها لعدة قرون، ثم قام القديس جيروم بإعادة صياغتها عند ترجمتها إلى اللاتينية في النص المعروف باسم «الفولجات» (Vulgate) ولا يزالون يعيدون صياغة وتفسير هذه النصوص للآن. فمن العبث إقامة دين على مثل هذه المؤلفات المشكوك في أصالتها التاريخية».

أما روجيه بترينييه (R.Peytrignet) رجل الدين السابق، فيؤكد أنه: «**على الرغم من تأكيدات الكنيسة، فما من إنجيل واحد قد تمت صياغته قبل سنة ١٥٠م. ونعيد التأكيد: لا يوجد أي نص يذكر حياة يسوع قبل سنة ١٥٠م. وبالعكس، فإن المؤشرات عديدة التي تؤكد صياغة الأناجيل بعد ذلك التاريخ (...) ولقد صيغت بعد وقوع الأحداث التي ترويها. وما من إنجيل واحد مكتوب بقلم الأسماء التي هي معروفة بها، وما من مؤلف واحد من بينهم كان شاهداً على الأحداث. بل والأدهى من ذلك، أنها كتبت جميعها بعيداً عن الأماكن التي وقعت بها هذه الأحداث، وعلى الأقل إثنان منهما أصلهما رومانيان (...) وما نخرج به من كل هذا أن القيمة التاريخية للأناجيل شبه منعدمة» (يسوع المسيح أسطورة أم شخصية تاريخية؟» صفحة ٨٦).**

وفيما يتعلق بالمخطوطات ذاتها فيقول بترينييه: «يجب أن نلاحظ أن قِدَمَ النص لا يثبت مصداقيته: لأن الكذب لا يتحول إلى حقيقة بالأقدمية» (ص٩٤).

ويبدأ جوزيف ويليس الفصل الثالث من كتابه عن «**التحريف في المسيحية**» قائلاً: «لا يوجد أي شيء يحتاج إلى الكذب سوى كذبة.. إلى ذلك الحد يمكن اعتبار أن أصول

المكتوب عام ٧٨٢ روماني، والإنجيل الرابع الذي صيغ في منتصف القرن الثاني تقريبًا، لم تكن لديها أية نصوص أخرى.. لقد ظلت الكنيسة تفرض كعقيدة، منذ القرن الأول، أن المسيحية هي نتاج ما صنعته خمسة أو ستة قرون، لذلك لم يمكنها أن تترك أعمالاً تثبت أن المسيحيين حتى القرن الثاني لم يكن لديها سوى سفر الرؤيا (المجلد الثالث: لغز يسوع، ١٩٢٦).

ودانييل ماسي من الذين يتبنون فكرة أن سفر الرؤيا هو النص الذي كتبه يسوع، وظل شبه سائد حتى القرن الثاني، وأن الأناجيل الأخرى قد صيغت من القرن الثالث حتى القرن السادس، لذلك يؤكد صراحة وبإصرار: «أن المسيح قد كتب نصًا. لقد كتب سفر الرؤيا. وهو ما أقرته الكنيسة بعد تردد لتضعه بين أعمال يوحنا، لكي لا يعلم أحد تلك الحقيقة».

بل لقد أوضح دانييل ماسي كيف أن الأيادي الكنسية العابثة امتدت حتى إلى نصوص الأدباء اليونان والرومان لتبدل وتحرف ما لا يروقها أو ما قد يكشف عن حقيقتها. وأنهم حتى القرن الرابع كانوا ينتظرون تحقيق تلك الرؤيا وهدم حضارة روما والإنسانية حتى يعود المسيح ليحكم ألف عام. لذلك عندما هجم برابرة بلاد الغال عاونوهم وأرشدوهم إلى الطرق وفتحوا لهم الأبواب حتى ينجحوا في مهمتهم.

ويرى أندرية فوتييه أن سفر الرؤيا قد تحقق بتحطيم الحضارة الرومانية القديمة وبالسيطرة على العالم الذي هزموه.

ويختتم دانييل ماسي المجلد الثالث من ثلاثيته حول «**لغز يسوع**» قائلاً: «إن المسيحيين، الذين يزعمون أن عقائدهم راسخة ثابتة، يرتجفون من الأبحاث العقلانية المنطقية التي تستند إلى الوثائق الدامغة أن تهزمهم أو تدفعهم إلى الانهيار. فالمسيحية هي - ومهما جاهد الذين اخترعوها للتعتيم على حقيقتها - هي نتاج تاريخي وعبارة عن طبقات متراكمة من الأكاذيب والفريات، فكل تلك الأساطير المتهودة والتي صيغت من أجل الطبقات الدنيا من «الشعب الذي يريد أن يُخدع» - على حد قول البابا ليون الثالث عشر، هي نتاج جهود طويلة ممتدة عبر القرون. ورغمها، وعلى حد قول ريمي دي جورمون في كتابه المعنون: «**طريق المخمل**»، إن كل الجهود التي بذلها الأوروبيون ليؤقلموا العقائد المسيحية على كياناتهم قد فشلت، فالمؤسسة الكنيسة تتذرع اليوم بإدعاء العظمة المعنوية، إذ فشلت في تحقيق حلمها الأخروي، وتجاهد للسيطرة على العالم بتواطؤ الحكومات والطبقات الحاكمة، ولا تأخذ في الاعتبار تقدم الوعي الذي بدأ يسري بين الاتباع ليتحرروا من طغيانها.

وجوههم من الآلام ولسمع صحيات وبكاء وصراخ الذين يتراصون على بعضهم معذبون. ولعرف أنه سيتم التعليق على كلماته بالسيوف لتقرأ على أضواء المحارق.

«لو كان المسيح الله لعرف التحريف والأكاذيب التي سيفعلها ويقولها اللئام، ولرأى كل الحروب التي سيخوضونها، ولعرف أن فوق كل هذه الحقول المغطاة بالموتى، وكل أقبية السجون، وكل آلات التعذيب، وكل المحارق وكل أحكام الإعدام سترفرف عليها راية الصليب وهي تقطر دماً لمدة ألف عام.

«ولعرف أن اللؤم والنفاق سيتم تتويجه وإضفاء صفة القداسة عليه وأن القسوة وسرعة التصديق ستقود العالم، ولعرف أن الحرية ستموت على الأرض، ولعرف أنه باسمه يقوم البابوات والملوك بفرض العبودية على أجسام وأرواح البشر، ولعرف أنهم سيضطهدون ويهدمون المكتشفين والمفكرين والمخترعين، ولعرف أن كنيسته ستطفئ نور العقل وتترك العالم بلا نجمة واحدة.

«ولعرف أن أتباعه سيفقأون عيون الرجال، ويسلخونهم أحياء ويقطعون ألسنتهم ويبحثون عن كافة مواضع الألم. ولعرف أن أتباعه سيبيعون لحوم البشر باسمه، وأنهم سيسرقون الأطفال ويبيعونها مقابل الذهب».

«ومع ذلك، فقد مات مطبق الشفتين».

«لماذا لم يقل شيئاً؟ لماذا لم يقل لتلاميذه، ومن خلالهم، إلى العالم: لا يجب أن تحرقوا وتسجنوا وتعذبوا باسمي. لا يجب أن تضطهدوا قريبكم.. «لماذا لم يقل صراحة أنا ابن الله أو أنا الله؟ لماذا لم يقم بتفسير الثالوث؟ لماذا لم يقل أي أنواع التعميد يروقه؟ لماذا لم يكتب عقيدة الإيمان؟ لماذا لم يحطم سلاسل العبيد؟ لماذا لم يقل لو كان العهد القديم موحى أو لا من الله؟ لماذا لم يكتب العهد الجديد بنفسه؟ لماذا ترك كلماته للجهل، واللؤم، والمجازفة؟ لماذا لم يقل أي شيء إيجابي محدد أو مقنع عن العالم الآخر؟ لماذا لم يغير موجة الأمل الضئيل في الجنة إلى معرفة حقيقية بالعالم الآخر؟ لماذا لم يقل لنا شيئاً عن حقوق الإنسان، وعن حرية الأديان أو العقل؟

«لماذا ذهب صامتاً إلى الموت، تاركاً العالم للبؤس والشك؟»

«سأقول لكم لماذا: لأنه كان إنساناً، ولا يعرف شيئاً»!

(«عن الأناجيل» ١٨٩٤).

المشار إليها في سفر حزقيال كانت تبكي وفاته السنوية: والآن أصبحوا يبكون على يسوع المسيح ويفرحون كل عام ببعثه في عيد الفصح. وهو عيد مرتبط بأعياد أدونيس وأتيس وديونيزيوس، وكلها آلهة تموت وتبعث في كل عام.

ويقول جوزيف ويليس (J. Wheless) إن هذه الأساطير أشبه ما تكون بموت وبعث يسوع المسيح، الإله المسيحي، ويعد بعث يسوع حجر الزاوية للديانة المسيحية. وهو ما نطالعه أيضًا عند راي وودسيلرز (R.W.Sellars) في كتابه المعنون: «**الخطوة القادمة في الدين**» والذي سيشهد فيه بالعديد من الأجزاء من الموسوعة الكاثوليكية الصادرة ١٩٠٧. ويقول سيلرز:

«إن عبادات أورفيوس في اليونان، وإيزيس وأوزيريس في مصر، وأتيس وأدونيس في سوريا - وكانت فلسطين جزءا منها، واحتفالات ميثرا، كانت تدور جميعها حول فكرة معاني سرية الخلاص - فالإله يموت ويبعث، والإلهة العذراء تنجب ولدًا، وأعضاء الطائفة يأكلون من لحم آلهتهم ليكتسبوا قوة من الطعام المقدس. وكان آباء الكنيسة مدركين للشبه بين هذه العبادات وما كونّوه محاولين شرح ذلك بأن الشيطان قد قلّد الطقوس المسيحية! وكانت فكرة موت الإله المنقذ وبعثه شديدة الانتشار في طرسوس، بلد بولس: وكانت احتفالات أتيس تقام على مشارف الربيع ويسبقها صيام ومراثي، ثم يتبعها البعث ويقوم الإله المبعوث فيمنح أمل الخلاص لأعضاء الطائفة. وينتهي الاحتفال بالبهجة والطعام» (صفحة ٢٣-٢٤).

الأساطير الأساسية:

من خلال العديد من الأبحاث التي تتناول الأساطير المؤسسة للكيان الكنسي، خاصة أعمال كل من جيرالدماسي وألفن بويدكوهن من قبله، فيوضحون أن قصة يسوع قد أخذت العديد من العناصر الواردة في مجال الأساطير الشاسع الذي وُجد قبل المسيحية بآلاف السنين. ومن أهم الآلهة التي صُلبت أو أعدمت وكانت سبّاقة على الأسطورة المسيحية نجد: الإله عداد الأشوري، وزيوس في اليونان، وبعل في فنيقية، وبوذا في الهند، وأوزوريس في مصر القديمة، وكريشنا في الهند، ومترا في فارس، وتموز في سوريا ومن أهم المقارنات التي ترد، ذلك التشابه بين يسوع وهذه الآلهة:

بوذا:

ولد من العذراء مايا وكانت تعد ملكة السماء، وكان من أصل ملكي، ويقوم بالمعجزات والعجايب ويشفي المرضى، وقد أطعم خمسمائة رجل من سلة صغيرة من الخبز، ومشى على سطح الماء، ودهس ثعبانًا، وألغى الوثنية، وكان «يبذر الكلمات» ويبشر بإقامة ملكوت العدل، ومن تعاليمه التبتل، والرأفة، والتسامح، وحب المساواة للجميع. وقد تحوّلت هيئته على الجبل، وصلب تكفيرًا عن الذنوب، وتعذب ثلاثة أيام في الجحيم ثم بُعث، ويعتبرونه الراعي، الصالح، والنجار، واللانهائي والأبدي، وأطلقوا عليه منقذ العالم ونور العالم.

الإله حوريس المصري القديم:

والتشابه بين يسوع وحورس أكثر وضوحًا خاصة مسألة الخلط أو التداخل بين حوريس وأوزوريس خاصة عند قوله: «أنا وأبي واحد» ومن المعروف أن حوريس قبل يسوع بآلاف السنين. ومن أوجه الشبه أيضًا: حورس مولود يوم ٢٥ ديسمبر من إيزيس -المحبوبة، وأعلن عن مولده بنجمة وكان ثلاثة حكماء في انتظاره، وكان يعلّم الأطفال في المعبد وتم تعميده في سن الثلاثين، وله أثنى عشر حواريًا، وصنع المعجزات، وسار على سطح الماء، وتحولت هيئته على الجبل، ودُفن وبُعث، وكانوا يطلقون عليه: الطريق، والحق، والنور، والمسيح، ومسيح الله، وابن الإنسان، والراعي الصالح، وحَمَل الله، وكان صيادًا ومرتبطًا بالحمَل، والسمك، واسمه حوريس الابن الأبدي للإله تباح، الأب، واسمه أيضًا كِرِسْتْ (Krst) وتعني الممسوح.

كرشنا:

ويكشف جيرالد ماسي عن أكثر من مائة تشابه بين يسوع وكرشنا، الذي أعتقد العديد من أتباعه أيضًا أنه قد وجد فعلاً، ومن أوجه الشبه هذه: مولد كريشنا من العذراء ديفاكي، وكان والده نجارًا، وانتظرت الملائكة مولده وزاره الرعاه المحملون بالهدايا والبخور، ومن أسمائه إله الرعاه، واضطهده أحد الطغاه الذي أمر بقتل آلاف الأطفال، وكان من أصل ملكي، وتم تعميده في نهر الجانج، وقام بالمعجزات وبعث الموتى وشفاء المرضى بالجزام، والصم والعميان، وكان كريشنا يستخدم الأمثال لتعليم الشعب

في كتابه المعنون: **الكتاب الذي لا تريد كنيستكم أن تقرأوه: العقائد الوثنية والمسيحية**، ثم يتناول أهم صفات الإله الشمس في هذه الأساطير:

- الشمس تموت لمدة ثلاثة أيام ابتداءً من ٢٢ ديسمبر، عند مدار الشتاء. وتتوقف عن الحركة ثم تبعث في ٢٥ ديسمبر مع بداية حركتها للشمال.
- في بعض الثقافات كان التقويم يبدأ أساسًا في برج العذراء، ومنها أتت فكرة مولد الشمس من عذراء.
- أن الشمس «نور العالم».
- الشمس «تأتي على السحاب وكل عين تراها».
- إشراقة الشمس صباحًا هي «منقذ البشرية».
- الشمس محاطة «بتاج من الشوك» أو بهالة.
- اتباع الشمس إثنى عشر شهرًا والإثنى عشر برجًا.
- الشمس تدخل كل برج بزاوية ٣٠ درجة وبالتالي فإن الإله الشمس يبدأ حكمه في «سن» الثلاثين.

وعلى عكس ما يتخيله العديد من الناس، فإن القدماء لم يكونوا من الجهل والفكر الخرافي بحيث يتصورون آلهتهم على أنهم أشخاص حقيقيون فمن الواضح أن هذه المعلومة التي تفترض جهل وضيق أفق القدامى كانت من الأفكار التي تم ترويجها ليثبتوا أن العالم بحاجة إلى «نور يسوع» وأسطورته. فقد كان القدامى يدركون أن آلهتهم ذوي طبيعة مرتبطة بالفلك والمناخ. وكان كل من أفلاطون وسقراط وأرسطو يعرفون تمامًا أن زيوس أب وإله السماء الذي أتى إليه اليونان كان أصله من الهند ومن مصر القديمة. ولم يكن شخصًا حقيقيًا على الرغم من أن اليونانيين كانوا قد أشاروا إلى وجود كهف لميلاد زيوس وآخر لوفاته.

كما يشير العلماء إلى أن التشابه غير قاصر على الأساطير فحسب، وإنما يمتد إلى الأسماء والألقاب وأسماء المدن والقديسيين. وليس بغريب وجود إثنى عشر باترياركا، واثنى عشر حواريًا، وإثنى عشر برجًا أو شهرًا وكلها تفاصيل وتشابهات أوضحها العلماء بصورة قاطعة. فعلى حد قول بربارا ووكر (B.Walker): «إن جهود المثقفين المضنية لاستبعاد آثار الوثنية من الأناجيل، للعثور على شخصية يسوع التاريخية، أسفرت عن أنها عملية ميئوس منها كالبحث عن نواة البصلة»، ومن الثابت أن البصلة لا نواة لها.

ونحن هنا لا نقر فكرة عدم وجود يسوع تاريخيًا حاشا لله لإلتزامنا بالقرآن الكريم الذي لا يعتبره نبيًا من الأنبياء فحسب، وإنما إيمان المسلم لا يكتمل إلا لو آمن به وبمن سبقه من الأنبياء. لكننا نعرض لما وصل إليه بعض العلماء في الغرب المسيحي، ومنهم من كبار رجال الدين، وذلك من كثرة ما وجدوه من خلط وتحريف حتى نبذوا تلك العقيدة برمتها. لذلك نعرض الاتجاه الآخر الذي يمثله جيرالد ماسيّ عند قوله:

«إن مسيح الأناجيل ليس بأي حال من الأحوال شخصية تاريخية أو نموذج أعلى للإنسانية، وأنه تعذب وحاول وفشل في إنقاذ العالم بموته. من المحال إثبات هذه الشخصية حتى وإن كان محتالاً، لأنه في هذه الحالة ستكون شهادة الأساطير الفلكية وعلم الغنوصية إدعاءً. إن المسيح صورة شعبية لم يوجد أبدًا، إنها صورة من أصل وثني، وصورة كانت في الأصل حَمَل، ثم سمكة، صورة شخص مكون من عدة آلهة مختلفة» ونلاحظ هنا أن ماسي يتحدث عن المسيح وليس عن يسوع. فالحقيقة التي توصل إليها تيار ثالث من العلماء هي الفصل بين المسيح ويسوع، على أساس أن المسيح يمثل الجانب الأسطوري الذي تم فرضه – بدليل إن بولس لا يذكر شيئًا عن يسوع ومولده العذري وإنما يتناول الجانب الأسطوري الروحي المنسوج من الأفكار السائدة والعقائد الممارسة آنذاك. أما يسوع فيمثل الإنسان بكل ما تمت إضافته من تفاصيل وأن نفس شخصية يسوع كما هي واردة في الأناجيل شخصية مركبة التناقض تتراوح ما بين الإنسان، والنبي، والبطل الثوري الذي يسعى لتحرير البلاد من الاحتلال الروماني.

إلا أن هناك من الوقائع التاريخية التي يصعب إغفالها أو إغفال وقعها على مجريات الأحداث والأبحاث. وذلك مثال مدينة الناصرة فما توصل إليه البحث العلمي أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة عندما وصلت جيوش الصليبيين إلى المنطقة عام ١٠٩٠ وأن فرسان المعبد هم الذين شيدوها في القرن الثالث عشر هي وكل ما يتعلق بتاريخ مولد يسوع كما أن إنجيل متى يقول إنها بجوار بحيرة (١٤:١٣) أما إنجيل لوقا فيقول إنها ليست بعيدة عن الجبل (٢٩:٤).

وفي ٢٢ ديسمبر ١٩٩٣ اعترف البابا يوحنا بولس الثاني بأن ٢٥ ديسمبر كان عيدًا وثنيًا وأعلن قائلاً: «عند الوثنيين القدامى كانوا يحتفلون بعيد الشمس التي لا تقهر في ذلك التاريخ الذي يتوافق مع مدار الشتاء، فبدا من الطبيعي والمنطقي بالنسبة للمسيحيين أن يبدّلوا هذا العيد ويحتفلوا بالشمس الوحيدة الحقيقية: يسوع المسيح».

الأساطير الثلاث المكونة للمسيحية:

ويعد القس ألفريدلوزاي (١٨٥٧ - ١٩٤٠) واحدًا من أهم الذين تصدوا للعبث الذي تقوده الأيادي المتحكمة في المؤسسة الكنسية. وكان يشغل منصب أستاذ اللاهوت في المعهد الكاثوليكي بباريس. وقد قامت الكنيسة بحرمانه عام ١٩٠٨ لأفكاره المنتمية لتيار الحداثة، وفي كتاب عن «أصول المسيحية» راح يوضح الأساطير المؤسسة للديانة المسيحية، ويمكن اختصارها فيما يلي:

١ - أساطير متعلقة بنشأة الكون:

وهي أساطير تصف نشأة العالم وخلق الحيوانات والبشر، وهي الصورة التي استقرت لقرابة ثمانية عشر قرنًا في ذهن الأتباع، على أنها ذات أصل إلهي أو أن الله هو الذي أملاها. ويوضح الأب لوازي قائلاً: «ونحن نعلم جميعًا زيف هذه الحقيقة علميًا وما هي النصوص ذات الطابع الأسطوري التي كونتها والتي تهدم بالتالي فكرة الخطيئة الأصلية».

ولم يكن القس لوازي هو أول من يرفض أو يكشف عن زيف مقولة تلك الخطيئة فقد سبقه إلى ذلك كل من صمويل ريماروس وجوهان إيدلمان - وقد دفعا ثمن حرية التعبير بالفصل من الجامعة اللاهوتية بألمانيا.

٢ - أساطير متعلقة بالمسيح أو «كريستولوجية»:

وهي أساطير يمثل فيها يسوع المسيح المنقذ الدور الأساسي في المسيحية إلا أن الأمر يتعلق بشخصية ملتبسة غامضة. ويقول لوازي تحديداً: «فإذا كانت ملامحه تستمد ظاهريًا جزءاً من اسمه من الكتابات اليهودية، فإن سماته المميزة مستقاة مباشرة من الأساطير التراثية الهللينية الرومانية. فقد اكتست شخصية يسوع تدريجيًا مختلف أنواع الأردية منذ البداية حتى أيام قسطنطين ومنذ اختراع عملية صلبه في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١ الذي تم نشر وثائقه مع وثائق مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١».

ويوضح الأب لوازي كيف زاد تدعيم الطبيعة الأسطورية للعقيدة المسيحية باختلاق ميلاد المنقذ الذي سيتم خلطه بعودة الشمس إلى مدارها في ٢٥ ديسمبر وهو «يوم الشمس الجديد» ويعني néos hélios التي أعطت كلمة Noël بالفرنسية. وقد تم هذا الاستيلاء على الأسطورة الوثنية لأول مرة في ٢٥ ديسمبر عام ٣٣٥ حيث تم الإعلان عن أن يسوع هو شمس العدالة وسوف نتناول هذه النقطة على حدة.

ويرجع إلى سنة ٨٩٥م، أو النص العبراني البابلي الذي يرجع إلى سنة ٩١٦م. وأقدم نسخة كاملة للكتاب المقدس وهو النص الموجود في مدينة لنينجراد، يرجع إلى سنة ١٠٠٨م. وحتى يومنا هذا لا يوجد نص كامل بالعبرية للعهد القديم إلا ذلك الذي صيغ في القرن العاشر الميلادي.

وفي القرون الوسطى فإن النص الوحيد المعروف والمعمول به هو ذلك النص الذي صاغه وعدّله وبدّله القديس چيروم (٣٣١-٤٢٠) بأمر من البابا داماز. وقد صاغه باللغة اللاتينية، وهو الأصل الأساسي للعهد الجديد والمعروف باسم «الڤولجات»، وظل هو النص الوحيد المتداول لمدة ألف عام تقريبًا، تلك الأعوام المعروفة باسم عصر الظلمات، لما كانت المؤسسة الكنسية تفرضه على الأتباع من قهر وتعتيم - فقد كان محرّم عليهم قراءة ذلك الكتاب المقدس أو مناقشة أي معطى وارد به وإلا عوقب بالموت أو بالاتهام بالكفر وما يتبعه من عقوبة.

ولم يتحرر الكتاب المقدس من عمليات النقل وكل مآخذها من أخطاء إملائية إلى تغيير وتبديل - نسبيًا، إلا بظهور مطبعة جوتنبرج سنة ١٤٥٠ وتمت طباعة أول نسخة للكتاب المقدس بالفرنسية سنة ١٥٣٠ عن نص الفولجات، أي عن ذلك النص القائم على التحريف والتبديل الرسمي والمأخوذ عن نصوص هي في الأصل منقولة ومحرّفة عن نصوص أخرى - وهو ما يقوله القديس چيروم في المقدمة التي تصدرت ترجمتها اللاتينية والمهداة إلى البابا داماز الذي أمر بعمل التزوير الرسمي، ونصها بالملاحق.

والنص الذي أخذ عنه القديس چيروم هو نص الترجمة السبعينية المكتوبة باللغة اليونانية للعهد القديم، وكانت قد صيغت قبل الميلاد من أجل يهود الإسكندرية الذين بعدوا عن لغتهم اليهودية وطلب بطليموس الثاني أن تتم لهم هذه الترجمة التي تغص بالأخطاء عند نقلها ذاكرة عن النص العبري!

ويؤكد ويلبرفورس (Wilberforce) كبير الشمامسة أن النصوص الأصلية للأناجيل قد تم تعديلها بقرار بعد مجمع نيقية الأول، موضحًا: «إن كثيرًا من الناس لا يعلمون أنه بعد مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م، أن نصوص العهد الجديد قد تم تعديلها بصورة واضحة. ويورد العالم نستلة (Nestlé) في مقدمة كتابه المعنون: «نقد نص الإنجيل اليوناني» أنه كان آنذاك مثقفون يدعون «المصححون»، قامت السلطات الكنسية الكاثوليكية بتعيينهم وأعطتهم أمراً بتصويب النصوص المقدسة وفقًا لما سوف يعتبرونه الأصول».

الدليل عليها، مدركين أن هذه الكتب تمثل تهديداً حيويًا على استمرار عمليات التزوير والتحريف، لذلك قام أعضاء الإكليروس بحرق ذلك الكم الرهيب من الكتب والمكتبات، بما في ذلك مكتبة الإسكندرية وكتبها الأربعمائة ألف التي تم حرقها بأمر من ثيودوز، عندما قام بعض الكاثوليك بتدمير السيرابيوم حيث كانت وجدت به المخطوطات والأختام، وتم ذلك سنة ٣٨٩م أي بعد ٦٤ عامًا من مجمع نيقية الأول.

ويؤكد العالم نستلة (Nestlé) أن «كل رجل إنجيلي يعلم تمامًا أنه قبل التاريخ الذي أعلن فيه قسطنطين المسيحية ديانة رسمية للدولة الرومانية، خضعت الأناجيل ثانية لتعديلات جديدة في صياغتها حتى تتوافق والقرارات الجديدة وحتى تتم إعادة تنظيم ما تم اعتباره على مر العصور متعلقاً بالعقائد بصورة مختلفة. وكان يقوم بهذه الأعمال مثقفون أطلق عليهم اسم «المصححون»، تم اختيارهم أثناء مجمع نيقية وأغدقوا عليهم العطايا مع وضعهم تحت مراقبة وإشراف رجال الأكليروس وكان يستعان بهم خاصة للقيام بالتعديلات الهامة حول المسائل الإيمانية عقب المجامع أو اللجان التالية لها، لتفادي عدم التوافق الناجم في النصوص وبين القرارات الجديدة أو السابقة».

كتبة الأناجيل:

أوضحنا أن النص المعروف بالسبعينية، أي ترجمة العهد القديم إلى اللغة اليونانية هو النص الذي تم الاعتماد عليه كأصل لنصوص العهد الجديد إضافة إلى عشرات الأناجيل التي كانت متداولة آنذاك - بغض الطرف عما يتضمنها من أخطاء ترجمة وتحريف عن النص العبري القديم. وهذه الترجمة السبعينية، نسبة إلى الاثنين وسبعين كاتبًا الذين قاموا بتدوينها هي النص «الرسمي» أو المصدر الأساسي للنصوص المسيحية التي كتبت بعد ذلك لا بأقلام الحواريين اليهود - وكانوا أميّون من العمال والفلاحين، وإنما كتبها آباء يونانيون مسيحيون، وثنيون سابقون، بعيداً عن الأراضي المقدسة التي ولد بها يسوع.

فالمعروف أن يسوع كان يهوديًا، وكذلك حواريوه كانوا من اليهود، وهو مالا تريدنا المؤسسة الكنسية أن نقتنع به. إلا أن تحليل النصوص يكشف عن شيء مغاير تمامًا، إذ هناك دائمًا إشارة إلى اليهود وكأنهم شعب آخر لا ينتمي إليهم كتبة الأناجيل، وكلها عبارات تكشف عن إن هؤلاء الكتبة لم يكونوا من اليهود. وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

يقول متى: «فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم» (١٥:٢٨)- وهو ما يكشف عن أن هناك مسافة زمانية واضحة بين الوقائع وكتابتها، ما يكشف عن أن الكاتب غير يهودي وإلا قال «عندنا» وليس «عند اليهود».. ونطالع في إنجيل مرقس: «لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ» (٣:٧)، وما من يهودي سيقوم بشرح أبجدية عادات اليهود ليهودي آخر. ويقول إنجيل لوقا عند تحدثه عن يوسف الذي أخذ جسد يسوع لدفنه قائلاً: «..وهو من الرامة مدينة لليهود» (٥١:٢٣). فما من مصري سيقول لمصري آخر: فلان من طنطا مدينة للمصريين! فما من مصري بحاجة إلى هذا التعريف، وكذلك ما من يهودي بحاجة إلى أن يقال له إن الرامة مدينة اليهود.

ويذخر إنجيل يوحنا بمثل هذه «الهفوات» الكاشفة عن أن كتبة الأناجيل ليسوا من اليهود وإنما من اليونانيين، ومنها: «وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هنا حسب تطهير اليهود..» (٦:٢)؛ أو «وكان فصح اليهود قريبًا» (١٣:٢) أو «كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديمس رئيساً لليهود» (١:٣)، «وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير» (٢٥:٣)، والمفترض أن يوحنا يهودي وتلاميذه يهود فما معنى الإشارة إلى أن الذين يناقشونهم من اليهود؟! وأيضًا: «ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه» (١٦:٥)، أو «وكان الفصح عيد اليهود قريبًا» (٤:٦)- وقد سبق ليوحنا أن استخدم نفس العبارة في الإصحاح الثاني عندما كتب قائلاً: «وكان فصح اليهود قريبًا فصعد يسوع إلى أورشليم» (١٣:٢) - أي أنها ليست زلة قلم أو لسان وإنما كشف لحقيقة، ومنها أيضًا: «وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه» (١:٧)، و«كان عيد اليهود عيد المظال قريبًا» (٢:٧)، وفي الإصحاح الحادي عشر نطالع: «قال له التلاميذ يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضًا إلى هناك» (٨:١١)!

وبخلاف أن هذه الآية تكشف عن الفارق بين جنسية كاتب الإنجيل واليهود، فإنها تكشف أن القتل عند اليهود وفي أيام يسوع كان بالرجم وليس بالصلب..

وكل هذه الآيات والعديد غيرها تثبت أنه ما من يهودي وما من أحد من الحواريين قد كتب هذه الأناجيل، وأنها قد صيغت بأقلام أناس يتحدثون اليونانية لا يعرفون عادات اليهود وتقاليدهم. لذلك يؤكد جوزيف ويليس والعديد من الباحثين «أن كتبة هذه الأناجيل هم وثنيون سابقون وقد أصبحوا قساوسة متحمسين لبيع «النبأ السعيد» للجهلاء من الوثنيين المتعلقون بالأوهام» (التحريف في المسيحية، صفحة ١٨٦).

السبعينية على أنه نص يجب ألا يُقرأ بسبب التصرف الواضح في الترجمة وبسبب التحريف الذي أدخل عليه، بحيث إنه في القرن الثاني الميلادي قامت الكنيسة باستبعاده (...) ولقد كانت الكنيسة قد تبنت الترجمة السبعينية كنص أساسي لها، وهو نص يختلف عن النص العبري لا من حيث إضافة العديد من الإصحاحات والفقرات فحسب، ولكن بسبب العديد من التلاعب في النصوص الراجع أساسًا إلى الوسيلة الفاسدة في كتابة الإصحاحات القديمة، وإلى الجثارة الآثمة للمصححين - على حد قول أوريجينس الذين قاموا بالتصويب والإضافات والحذف، إضافة إلى الأخطاء في الترجمة، خاصة لاعتمادهم على نص عبري مختلف عن النص الذي كان وُضع في جامنيا والذي كان الحاخامات اليهود يعتمدونه» (صفحات ٦٢٢ و٦٢٥، ٣٤٦).

ومن أهم هذه الأخطاء كما أشرنا سالفًا عبارة «الحمل العذري» التي بنت عليها الكنيسة تلك العقيدة التي يفندها العلم، وكان القديس چيروم يعلم بهذا الخطأ وهو يقوم بترجمة النص عن اليونانية إلى اللاتينية لكنه قد تركه عمداً. وليست هذه الحقيقة بمجهولة فقد لامه العديد من النقاد آنذاك لتركه هذا الخطأ، ومنهم چوفيانوس (Juvianos)، فأجابه چيروم قائلاً: أعلم أن اليهود اعتادوا أن يواجهونا بالاعتراض على ترجمة كلمة Almah وأنها لا تعني «عذراء» وإنما «امرأة شابة»، وأعلم أن العذراء تقال Bethulah وأن المرأة الشابة ليست Almah وإنما Naatah!» (وارد في **التحريف في المسيحية** صفحة ٦٤ عن: (Jerome, Adv Juvianum, I.32, N& NPF. VI.370)

وقد ترك چيروم هذا الخطأ في الترجمة على أنها «كذبة ورعة من أجل مجد الله» كما يقولون، ومثلما سبق لبولس الرسول، أن قال إنه: «يكذب لمجد الله»!.

إن التناقضات في الأناجيل المتواترة أو المعتمدة جد كثيرة وخطيرة بمعنى أنها تطيح بمصداقية هذه النصوص إطاحة تامة فهي تناقضات عقائدية، ومن الهراء القول بأنها لا تتعلق إلا ببعض التفاصيل - كما يزعمون حاليًا، أو أنها تتفق حول الأساس، لأن الحرية التي يتصرف بها من كتبها جد مقلقة فيما يتعلق بتثبيت التراث ومصداقيته، فالدراسة المتأنية لنصوص الأناجيل تكشف عن أنها عمل روائي من نسج الخيال - ولا أدل على ذلك من تلك المشاهد التي توردها عن يسوع بينما يكون وحده أو مع شخص آخر، فمن ذا الذي سمعه أو شاهده أو من ذا الذي سمعهما أو شاهدهما ليدوّن ما يفرضونه على أنها حقائق؟!.

لذلك يقول جوزيف ويليس الباحث والقاضي الذي ترأس العديد من المناصب القانونية في الولايات المتحدة: «إن أهم الحقائق المسيحية الحاليه المزعوم أنها تنزيل من الله ويسوع والحواريين، هي عبارة عن سرقات وتحريف من نصوص يهودية محرّفة، هي نفسها منقولة عن الديانات الفارسية - الإيرانية، وكانت تمثل أرضية جاهزة لتركيب أسطورة يسوع عليها في اللاوعي الشعبي لدى جهلاء اليهود واليونان (...) لذلك نؤكد أن أصول المسيحية مغلفة بالتعتيم نتيجة لذلك الخلط الشبيه بقصر التيه، وكل ما بها من تناقضات وتحريف في نصوصها الأولى يجعل من المحال فك تلك الخيوط المتداخلة للتوصل بأي درجة من الثقة إلى مجرد خيط تاريخي صادق» (التحريف في المسيحية، صفحة ٩٠-٩١).

وعندما تمت كتابة نصوص الرسائل وأعمال الرسل الثلاثة والعشرين لم يكن هناك أي حرف من الأناجيل المعتمدة مكتوبًا لأن هذه الأعمال والرسائل لا تذكر الأناجيل لأنها كتبت بعدها.

ويقول الأسقف تنّونم (Tannunum) الذي توفي حوالي سنة ٥٦٩م والذي تقول عنه الموسوعة الكاثوليكية وعن أعماله أنها ذات قيمة تاريخية كبرى، ويقول تنونم: «في أيام رئاسة ميسالا، أيام الامبراطور أناستازيوس قد تم تصويب وتعديل الأناجيل التي كان قد كتبها أولئك الحمقى» (وارد في Chronica p89-90).

الأمر الذي يكشف عن أن عمليات التعديل والتبديل كانت متواصلة وفقًا للأحداث السياسية والاجتماعية. ونطالع في الموسوعة الكاثوليكية «أنه أيام البابا سكستس الخامس (SixtusV) (١٥٨٥ - ١٥٩٠) وأيام كليمنت الثامن (١٥٩٢ - ١٦٠٥) وصلت الفولجات إلى شكلها الحالي بعد سنوات من المراجعة والتغيير» (مجلد ٧ صفحة ٧٦٩). وهذه الفولجات التي ظلت تتغير وتتعدّل حتى آخر القرن السادس عشر، وانتقدها العديد من رجال الدين على أنها محرّفة ببشاعة، كان قد أضفى عليها صفة التنزيل الإلهي في مجمع ترانت سنة ١٥٤٦ مع فرض اللعنة على كل من يتجرأ ويسأل عن مصداقية أي شيء بها!.

وبعد أن تم فرض الفولجات كنص منزّل عبثت بها الأيادي كما رأينا للتو، ففي سنة ١٩٠٢ قام البابا ليون الثالث عشر بتكوين لجنة من الكرادلة باسم «اللجنة الإنجيلية البابوية» لمراجعة هذا النص «المنزّل»!

وفي سنة ١٩٠٧ قامت اللجنة بموافقة البابا بدعوة رهبانية البندكتين بإجراء مجموعة من التعديلات في النص اللاتيني استعدادًا لإصدار طبعة جديدة منقحة.

وبسبب كل هذا التلاعب في النصوص حتى بعد فرضها كنصوص منزّلة، يقول العلماء والباحثون: لا يمكننا الوثوق في المؤرخين الأساسيين لفترة آباء الكنيسة لأن وثائقها عبارة عن تحريف في تحريف. ولأنهم كانوا جميعًا وثنيون ودجالون (**التحريف في المسيحية، صفحة ١٢٣**).

ويقول الباحث أندريه بول، وهو من كبار المدافعين عن المسيحية، يقول عن مولد يسوع إن الكتبة استعانوا بالقصص الواردة في سفر ميخا (٥:٢) وتمت إعادة النظر فيه وتغييره وتوسيعه بالإضافات لتوضيح أن يسوع مولود في بيت لحم من سلالة داود وتنطبق عليه النبوءات الواردة في الأنبياء وأنه المسيح المنتظر» (**قراءات إنجيلية صفحات ١٣٣-١٣٧**) وهو ما جعل چاك دوكين، المؤرخ المسيحي، يقول: «إن ميلاد يسوع في بيت لحم غير معترف به كحدث تاريخي من كل المؤرخين» (**يسوع صفحة ٥٦**).

وفي كتابه المعنون: «**البحث عن شخصية يسوع**» يقول جيزاڤيرمس: «إن الفصل الواحد والعشرين من إنجيل يوحنا تمت إضافته بقلم شخص آخر ليوهم بأن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الذي كان يسوع يحبه، وبالتالي يتم اعتباره تلقائيًا أنه يوحنا الصياد ابن زبدي من الجليل»، والثابت علميًا أن الإنجيل المعروف باسم يوحنا قد تمت كتابته سنة ١٥٠ تقريبًا. مما يؤكد أن كاتبه ليس يوحنا المعاصر ليسوع.

وقد كانت اليهود منقسمة إلى فرق متعددة وخلط وتضارب أدى إلى صراعات محتدة. ففرق الأبيونيين في القرن الأول للميلاد كانت تصدق بإنجيل متى وحده وهو مخالف تمامًا لإنجيل متى الحالي الذي ظهر بعد قسطنطين. وفرق المارسيونيين كانت تأخذ بإنجيل لوقا وحده وكانت نسخة مخالفة للنسخة الحالية.

ونطالع في رسالة بولس إلى أهل غلاطية قوله: «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح، ولكن أن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما. كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضًا: إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أنا ثيما» (١:٦-٩).

والقارئ يعجب من تكرار كلمة «أنا ثيما» في نص عربي ومقابلها موجود وهو «محروم» أي يحرم ويطرد من الجماعة المسيحية ومن الكنيسة، ويقولون اليوم «مشلوح». وقد تم تغييرها وكتابة الكلمة اللاتينية/ اليونانية لاستبعاد شكلاً عملية القهر التي تم بها غرس المسيحية. وكذلك كلمة «يحوّلوا» كانت أصلاً «يبدلوا» في طبعات قديمة وفي غيرها «يحرفوا»، وفي ترجمة الجزويت «يقلبوا».

وأيا كان التفاوت بين العبارات فالواضح أنه في عهد بولس كان هناك من يدعون إلى إنجيل آخر غيرإنجيل بوليس الذي لا نعرف عنه شيئًا حاليًا. وكان هناك - كما يقول - رسل كذبة (كورنثيوس ١١:١٣). أما برنابا فيقول إن بولس بشَّر بتعليم آخر غير تعليم المسيح. والدليل على ذلك واضح من نفس أقوال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية حيث يواصل قائلاً: «وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلمته، بل بإعلان يسوع المسيح» (١:١١).

ترى كيف ومتى تلقى بولس الإنجيل من يسوع المسيح وهو لم يلقاه، وكل معرفته به الرواية المشكوك في مصداقيتها من جميع الباحثين حاليًا والمعروفة باسم «في الطريق إلى دمشق».. ففي طريقه إلى دمشق يقول بولس، الذي كان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها، أن يسوع ظهر له على الطريق وأنَّبه على اضطهاد المسيحيين. فسقط بولس من شدة الضوء لدرجة أنه في رواية فقد البصر وفي رواية أخرى فقد السمع. فكيف يمكنه وهو في هذه الحالة وفي تلك اللحظات الخاطفة أن يكون قد تسلم نص إنجيل بأسره من يسوع؟! بل والواضح من الأناجيل - رغم التعتيم، أن بولس تشاجر أو كان كثير الشجار مع الحواريين وخاصم بطرس وأصبح الناس يتبعون كل واحد منهم وتفرقوا شيعًا.. خاصة بعد الحرب التي دارت بين الدولة الرومانية وبين اليهود وتولى طيطس فتح أورشليم سنة ٧٠م وهدم المعبد وتفرق اليهود في كل واد..

وترجع الحكمة في اختيار أو في وجود أربعة أناجيل رسمية فقط دون تلك العشرات التي تم استبعادها في أواخر القرن الرابع الميلادي عندما قام القديس چيروم بكتابتها، إلى ما يورده المؤرخ سليمان ريناخ (Salomon Reinach) (١٨٥٨ - ١٩٣٢) في كتابه المعنون: «**أورفيوس، التاريخ العام للديانات**» (مجلدان، ١٩٠٩) قائلاً: «إن السبب الحقيقي في اختيار الأربعة يرجع إلى الفرق الأساسية التي انقسمت إليها المسيحية ورغبت كل كنيسة منها أن يكون لها إنجيلها فاختارت كنيسة القدس إنجيل متى، واختارت روما إنجيل مرقس، واختارت انطاقيا إنجيل لوقا، واختارت أفسوس إنجيل يوحنا» (صفحة ٢١٧)، وذلك لكي تقول كل كنيسة منها أنها تعتمد على إنجيل أصلي وعلى تعاليم «كتابه» الأصلي!.

لذلك ينتهي الإجماع العام إلى أنه من المحال كتابة حياة يسوع بصورة أمينة تاريخيًا إذ أن كافة الوثائق الرسمية قد تمَّ حرقها أو استبعادها ولا يبقى أمامنا سوى الأناجيل المعتمدة من الكنيسة الرومية في القرون الأولى. وقد تواصلت مخططاتها من الإبادة

المقدس بعامة وبالعهد الجديد منه بخاصة. وبعد مداولات ودراسات ممتدة للنصوص تمت صياغة خمسة نماذج للنص المقترح وتم قبول صيغة منها بأغلبية ٢٣٤٤ صوتًا مؤيدًا و٦ أصوات معارضة. ويقول النص: «إن هذه الكتب وإن كانت تتضمن الناقص والباطل، فهي مع ذلك شهادات لعلم تربية إلهي حقيقي»! ويقول النص بالفرنسية:

"Ces livres, bien qu'ils contiennent de l'imparfait et du caduc, sont pourtant les témoins d'une véritable pédagogie"

وهو المجمع الذي قام بتبرئة اليهود من دم المسيح، في الوثيقة المعنونة «في زماننا هذا» الذي تم الاحتفال عام ٢٠٠٥ بمرور أربعين عامًا على إصدارها، ووعد البابا يوحنا بولس الثاني بموجبها بتعديل سبعين آية في الأناجيل تتهم اليهود صراحة بقتل يسوع وبالتالي لم تعد تتمشى مع قرار تبرأتهم!

بقيت الإشارة إلى ما يُعرف بالأناجيل «الأبوكريفا» أو تلك التي استبعدتها المؤسسة الكنسية لأن محتواها لا يتمشى مع ما نسجته لخط سير العقيدة كما أرادتها. وقد تزايدت الأناجيل اعتبارًا من القرن الثاني وتزايدت حتى القرن الخامس، ومنها ما كتب حتى القرن العاشر. وكلمة أبوكريفا تعني تحديدًا: نص أدانته الكنيسة، وبالتالي لابد من استبعاده ولا يجوز للأتباع الإطلاع عليه، وهو ما قاله المؤرخ روفين في القرن الرابع الميلادي.

ولم تكن هذه الأناجيل مستبعدة من كافة الكنائس بل كانت هناك فرق تعتد بها إلا أن البابوات وآباء الكنيسة رأوا أنه من الأفضل تحذير الأتباع من قراءتها. وفي سنة ٣٩٧م قام مجمع كارتاج بعمل كشف بالأناجيل المعتمدة وإصحاحاتها وأمر باستبعاد الباقي.

وفي القرن السادس «قالوا إن البابا القديس چيلاز، الذي ترأس الكنيسة من ٤٩١ إلى ٤٩٦ قد أصدر قرارًا شهيرًا حول النصوص المقدسة وما يجب قراءته وما يجب استبعاده ويعد هذا القرار كشفًا سباقًا لما عُرف بالإندكس فيما بعد»، أي الكتب المحرّمة والتي يعاقب من يطلع عليها (فرانسوا أميو F.Amiot: الأناجيل المستبعدة، صفحة ١١).

ويقول الكاتب أنه تم استبعادها «لأسباب عقائدية معينة، فإنجيل بطرس حتى وإن كان صادرًا عن رئيس الحواريين إلا أنه كان مليئًا بالأخطاء التاريخية إذ يقول إن هيرودس الروماني هو الذي حكم على يسوع بالموت (وليس اليهود) وهو ما ترفضه الكنيسة. كما كان هذا الإنجيل تشوبه الغنوصية وأتباع الدوستية الذين ينكرون أن يسوع قد صلب ومات مصلوبًا» (صفحة ١٢).

وعلى الرغم من استبعاد الكنيسة لهذه الأناجيل، والكثير منها بأسماء الحواريين، مثل برنابا الذي كان قد اختاره الروح القدس، وفيليب وتوما.. إلخ إلا أن ذلك لم يمنع المؤسسة الكنسية من الاستعانة ببعض ما جاء بهذه الأناجيل المستبعدة من أجل استكمال معالم ما نسجته. وذلك مثال تفاصيل مزود المسيح، وتاريخ ١٦ أغسطس كعيد ميلاد القديس يواكيم أبو مريم، و٢٦ يوليو عيد ميلاد القديسة آن أم مريم ولا وجود لإسميهما في الأناجيل المعتمدة.

وكذلك تقديم مريم إلى المعبد يوم ٢١ نوفمبر، وكذلك عيد القديس أندراوس في ٣٠ نوفمبر، شقيق بطرس الذي قامت الكنيسة على أكتافه ومع ذلك تم استبعاد إنجيليه!

وتفاصيل ما يطلق عليه مسيرة طريق الآلام، وكلها تفاصيل غير واردة في الأناجيل الرسمية، ويجهل الأتباع أصلها أو من أين استقوها. لذلك يقول أميو: «حتى وإن كنا لا نقدر هذه الأناجيل حق تقديرها إلا أن ذلك لا يمنع من أنها لعبت دورًا لا يستهان به في تكوين رهافة تطور المسيحية» (صفحة ٢٤)!.

وأيًا كان موقف المؤسسة الكنسية من الأناجيل المحتجبة - بعدما أخذت منها ما يناسبها أو ما يدعم روايتها، فإن أهم النقاط التي ترد في هذه الأناجيل أنه لا يرد بها عملية محاكمة وصلب يسوع وتوجد نسخة من إنجيل غير كامل باليونانية يقال إنها ترجمة لنص سابق يطلق عليها الديدكية، ويوجد اختصار لهذا النص باللاتينية ويطلق عليه «دوكترينا» أي العقيدة ولا يرد بهما أي ذكر لعملية الصلب. ويقول الباحث جيرار ميساديه (G.Messadié) في الجزء الثاني من كتابه المعنون: «الرجل الذي أصبح الله» إن آلام المسيح غير واردة في الأصل الأساسي المعروف باسم «كويللي» (Quelle) المنبع بالألمانية ويختصرونها بحرف Q وتعني «الأصل».

وانجيل توما هو الوحيد الذي يشير إلى وجود يسوع في الهند في نفس الوقت مع توما الذي ذهب إليها للتبشير. ولا يزال حتى يومنا هذا قبر معروف أنه قبر يسوع في بلدة سري نكر (Srinagar). أما تاريخ موسهيم، المؤرخ البروتستانتي فيقول: «العديد من فرق النصارى كانت ترفض حصول الصلب رفضًا قاطعًا لأنهم يعدونه إهانة لشرف المسيح والبعض الآخر استنادًا إلى الأدلة التاريخية».

وبخلاف رفض عملية تأليه يسوع ثم جعله واحدًا من أعضاء الثالوث ثم جعله الله - وهي البدع التي أدت إلى انقسام الكنيسة الأولى انقسامًا عقائديًا، فإن بعض هذه الأناجيل المستبعدة ومنها إنجيل فيليب يؤكد أنه كان متزوجًا من مريم المجدلية وقد تم

الملكوت. مثلما لم يقل أي شيء أو أي حرف واحد عن أنه يجب أن يموت هو لفداء أخطاء البشر. لأن ذلك يعني أن «الله» الذي يطلب عن طريق ابنه العفو أو المغفرة سبع وسبعين مرة في سبع مرات، يعني أنه هو شخصيًا غير قادر على القيام بذلك والعياذ بالله!

ولايمكن إغفال التناقض الوارد في تصرفات يسوع والتزامه بالشرع. فعلى الرغم من قوله: «لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (متى ٥:١٧) وتكفي الإشارة إلى موعظة الجبل حيث يرد بها «الشرع يقول.. وأناأقول لكم» وذلك خمس مرات في موعظة واحدة. أي أنه يضع نفسه بإصرار أعلى من الشرع عمداً. كما يقول في كثير من المواضع بغفران الذنوب التي من المفترض ألا يغفرها سوى الله، لدرجة أن الحاضرين تساءلوا: «من هذا الذي يغفر خطايا أيضًا» (لوقا ٧:٤٩).

ويصعب إغفال التناقض الوارد في أحاديث يسوع عن كيفية تفريقه بينه وبين الله الذي أرسله»، والذي «أكبر مني» والذي يعتبره «أباه» ثم يقول بكل وضوح: «أنا والأب واحد» (يوحنا: ١٠:٣٠) ومجرد هذا القول البشع في نظر الفريسيين كان يمثل قولاً لا يغتفر.

وهناك التناقض الناجم عن تحركات يسوع وأسفاره وما أكثر الذين خصوها بدراسات جغرافية تبرز هذا التضارب غير المعقول. وأولها تضارب نفس الأناجيل في وصف هذه التحركات. فمن يمسك بالورقة والقلم، ويصنع خط سير وفقًا لما يقوله كل إنجيل على حدة، لابد وإن يدهش من هذا التناقض، خاصة وأنهم يختلفون أيضًا حول ذهابه إلى مدينة القدس، إذ يقول أو يبدو من أقوال الحواريين أنه لم يذهب إليها إلا مرة واحدة، بينما يقول يوحنا أنه ذهب خمس مرات.

وتكفي ذكر واقعة السامرية التي قابلها يسوع، ومعروف العداء الذي يفرق بين اليهود السامريين. فقد كان الرهبان يؤكدون «أن مياه السامريين أكثر نجاسة من دم الخنزير» ومع ذلك نرى يسوع يطلب منها أن تسقيه، ورغم أنها قد تزوجت خمس مرات وتعيش في الزنا مع شخص آخر، أي أن بها من المحرمات الدينية أو الشرعية ما يجعله يبتعد عنها.. فنراه يبوح لها بما لم يقله لأتباعه ويعترف لها «بأنه المسيح» (يوحنا: ٤:٢٦). ولا تقول شيئًا عن واقع أنهما كانا بمفردهما فمن شاهد أو سمع ما جرى؟!.

وهناك التناقض في عرض الاحتفاء بمقدم يسوع بالسعف الذي يذكره يوحنا، في وقت لم يكن بالقدس أي نوع من النخيل، إذ كان سكانها يجلبونه من الخارج لعيد «الخيام» لأن طقس هذا الاحتفال ينص على استخدام السعف (كزافييه ليون – ديفور:

وتناقض في تحديد موعد العشاء الأخير. يوحنا يقول إنه تم قبل عيد الفصح، أما الأناجيل المتواترة فتؤكد أنه عشاء عيد الفصح. وقد تذرع بعض العلماء - حلاً لهذا الإحراج - بأن افترضوا أن يكون يسوع يتبع تقويم الأسينيين الشمسي الذي يأتي عيد الفصح بموجبه يوم الثلاثاء ويكون قد صُلب - كما يقولون، عشية عيد الفصح الرسمي.

وهو ما يوجد تناقضًا إضافيًا إذ يفترض أن يكون قد تم القبض على يسوع بيومين قبل صلبه! وهو ما يتناقض مع الأناجيل الأربعة: التي نخرج منها بثلاثة تواريخ لوفاة يسوع: ٧ أبريل ٣٠م، و٢٧ أبريل ٣١م، و٣ أبريل ٣٣م.

كما أن كلماته تختلف في الأناجيل المتواترة وفي رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس، ومن غير المعقول أن يقيم مثل هذه العقيدة بمثل هذا التفاوت أو التضارب في الكلمات، وتكفي مطالعتها في متى ٢٦ :٢٦-٢٩ ومرقس ١٤ : ٢٢-٢٥، ولوقا ٢٢ : ١٩-٢٠، والرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١١ : ٢٢-٢٦ وما بعدها.

ولسنا هنا بصدد حصر كل التناقضات الواردة بالعهد الجديد، وإلا لاحتجنا إلى أكثر من حجمه، لكن لا يمكن إغفال التناقض الوارد في أقوال يسوع، ولا نشير هنا إلا إلى تأكيد الأناجيل على أنه «ابن الله» ثم على «أنه الله» والمفترض في الله أنه عالم بكل شيء، فكيف يقول يسوع أنه لا يعرف موعد الساعة، وأنه لا يعرفها إلا الآب (مرقس ١٣ : ٣٢)؟! بل كيف يحتفل بالعشاء الأخير وينتظر قدوم ملكوت الله قريبًا وأنه لن يشرب النبيذ إلا عندما يتحقق وهو الذي كان باقيًا على عمره سويعات وفقًا للنصوص؟!

وقفة حول تناقض النصوص:

لقد أصبحت المتناقضات الواردة في العهد الجديد برمته، منذ عصر التنوير، أشبه ما تكون بأبجدية مسلّم بها. فلم يعد هناك أي باحث أو حتى أي قارئ يحترم آدميته إلا ويقر بذلك. بل وقد أصبح وصف هذه النصوص بعبارات من قبيل: «أنها طبقات متراكمة من الأكاذيب» أو «أنها عبارة عن مجموعة من عبثيات اللامعقول وعدم التوافق والمتناقضات» من العبارات التي يكاد لا يخلو منها كتاب، بل هناك على سبيل المثال لا الحصر، كتاب القاضي جوزيف ويليس (Joseph Wheless) المعنون: «**التحريف في المسيحية**» الصادر بالإنجليزية في النصف الأول من القرن العشرين والذي أمرت الكنيسة في فرنسا بجمع كل نسخ ترجمته إلى الفرنسية وحرقها.

ويوضح بالتفصيل والوثائق كيف أن كل المكونات التي تزعم الكنيسة أنها خاصة بها ومنّزلة عبارة عن مفردات كانت موجودة منذ أزمنة بعيدة في الديانة المصرية القديمة أو في الديانات الأخرى. فكل الوثنيين كان لهم أعيادهم، والعديد من الدرجات الكهنوتية، والمسيرات الدينية وحاملي الصور والأيقونات، والبخور، والمياه المقدسة، والاعتراف بالأخطاء للكاهن، والتنبوءات التي تهبط وحيًا أو زعمًا على القسس من أجل الرعايا، والكتب أو النصوص المقدسة، وكبار القديسيين والعديد غيرها.

وفي صفحة ٣٤٦ يوضح قائلاً: «إنه لمدة حوالي أربعة قرون تم خلالها ذبح قرابة مليون رقبة لإثبات أنه إله واحد أو ثلاثة قبل أن تستتب بدعة «ثلاثة آلهة في إله واحد».

ودون أن ندخل في تفاصيل المعارك التي واكبت صياغة الأناجيل على مر التاريخ، أو تلك التي وصلت إلى عمليات اقتلاع الآخر أو إلقاء اللعنات المتبادلة، فإن منابع ومصادر صياغة هذه الأناجيل من التنوع والاختلاف بحيث وصفها كل من جيروم پرييور (J.Prieur) وجيرار مورديا (G.Mordillat) في بحثهما المعنون: «**يسوع ضد يسوع**» قائلين: «لكي نوضح كيفية صياغتها لابد وأن نستعين بأحد الأشكال الأدبية الحديثة التي تسمى cut-up (وهي ما تعني بالعربية عبارة قص ولصق) وتعتمد هذه التقنية من الكتابة على قص أجزاء من صفحات الجرائد، وقطع من روايات، وأجزاء من القصائد والمنشورات، ولصقها تباعًا مع بعضها بحيث تكوّن مادة لنص واحد. وهذا ما نلاحظه في الأناجيل. فتحت سطح النص نرى حياكة آلاف الجمل والكلمات المنزوعة من كتب أخرى، أو مستعارة، ومتغيّر مكانها ومعناها، وتنكرت معالمها. أجزاء تبعث بأصداء الذي ضاع إلى الأبد وتمنعنا الطبعات الفاخرة من تخمين أصلها.

«إن الأناجيل مصنوعة تحديدًا من مواد شديدة الاختلاف، وهذه المواد المختلفة أشبه بالبلاستيك والألياف الزجاجية والسيراميك وألياف الكاربون. فهي تتداخل مع بعضها لكنها لا تنصهر، إنها تختلط دون أن تفقد تميّز كل منها - تمامًا كالأناجيل.. وأدوات البحث اللغوي تسمح بالتدريج بالتعرف على بعض المواد» (صفحة ١٤٠ - ١٤١).

وبعد ذلك بقليل يؤكد الباحثان أن نص إنجيل مرقس كان ينتهي بالفصل ١٦ عند الآية ٨.. والدليل على ذلك هو النص الرسمي للأصلين الكاملين من القرن الرابع: المعروف بنص الفاتيكان (Codex Vaticanus)، والمعروف بنص سيناء (Codex Sinaiticus) وهذا يعني أنه حتى القرن الرابع كانت الآية ٨ هي نهاية إنجيل مرقس، وأن أوسيبيوس قد أعلن ذلك أيضًا مشيرًا إلى وجود بعض النسخ التي تنتهي بصورة أخرى. وقد تمت إضافة الآيات من ٩ إلى ٢٢ التي تمثل النهاية الحالية للنص» (صفحة ١٥١).

والطريف أن هذه الآيات التي تمت إضافتها تنص على ضرورة طاعة الأتباع للكنيسة - وذلك في وقت لم تكن فيه كنائس بعد فرضًا - كما أن الطبعات الحالية لهذا الإنجيل ينتهي فيها هذا الإصحاح رقم ١٦ بالآية ٣٥.. أي أن هناك إضافة جديدة قد تمت بعد الإضافة السابقة!

وكان أوريجين قد علّق على هذا التفاوت بين النصوص قائلاً: «**إنها حقيقة واضحة اليوم وجود اختلافات كثيرة بين نصوص الأناجيل، سواء أكانت نتيجة إهمال الناسخين أم أنها ترجع إلى جراة الانحراف لدى بعض الأشخاص الذين يغيّرون النص، أو من يضيفون وينقصون منه وفقًا لهواهم، واضعين أنفسهم في مكان من يحق له التصويب أو التغيير**» (صفحة ١٤٠ من نفس المرجع السابق).

وقد أكد العلماء المجتمعون في «ندوة عيسى» التي أقيمت في الولايات المتحدة، وحضرها أكثر من مائتين عالم متخصص في المسيحية، أن ٨٢٪ من الكلام المنسوب إلى عيسى في الأناجيل غير صحيح. وقد تم طبع أبحاث هذه الندوة في كتاب بعنوان «ندوة عيسى» (١٩٩٣).

وقد كتب روبرت فانك (R. Funk) مؤسس ندوة عيسى في الكتاب الذي أصدره بعنوان: «وفاء ليسوع» قائلاً:

«لا يمكننا الاستناد في عقيدتنا على ديانة بطرس ولا على ديانة بولس، فلا أرغب بديانة غير نابعة من الأصل، ولا أرضى بعقائد تقف فحسب عند حدود المؤمنين الأوائل. فالعقيدة الحقيقية والإيمان الحقيقي يجب أن ينبعا من عيسى الناصري».

«ولا يمكن أن يكون عيسى نفسه معبودًا فتلك هي وثنية المؤمنين الأوائل. أن الهدف الحقيقي من الديانة يجب أن يكون الإيمان بما آمن به عيسى نفسه، أما الدعوة إلى الإيمان بشخص عيسى فليس ذلك سوى إحلال الوسيط محل الحقيقة وإحلال الداعي محل المدعو إليه».

«وما الذي يفرض علينا الالتزام بقرارات قسطنطين ونتائج التصويت الذي جرى في مجمع نيقية وقرارات باقي المجامع الكنسية على أنها نهائية؟! يجب علينا الامتناع عن تقليد العقائد المذهبية التي تم تكوينها عبر القرون الأربعة الأولى. علينا بالسماح لعيسى بأن يظهر على حقيقته وليس كما يقدمه لنا الكتاب المقدس ولا المذاهب التي أتت من بعده. يجب أن يكون عيسى هو المعيار الذي تنبثق عنه النظريات والممارسات. أما العقائد الكنسية فهي ديانة حلّت محل عيسى، بل لقد أزاحته استنادًا إلى أساطير لا علاقة لها بما قاله عيسى ولا بما عمله. أن عيسى لم يسهم ولو بأقل القليل في الديانة التي ينسبونها إليه ويعتبرونه مؤسسها. لذلك يجب علينا البدء من جديد بصفحة دينية جديدة»!.

العقائد المسيحية

- تقديم
- قضية الوحي والتنزيل
- كيفية فرض هذا الوحي
- حول ألوهية يسوع
- الأفخارستيا
- عذرية مريم والحمل العذري

الصادر سنة ١٩٩٨ إن المسائل المحددة المتعلقة بالعقائد الكاثوليكية بدأت تطرح مبكرًا منذ القرن الثاني، والدليل على ذلك كتاب الأب هيلير دي بواتيه (H.de Poitiers) ضد الهرطقات.

ومن الثابت أن التراث الأول للكنيسة كان شفهيًا، فالاعتراف بما سيكون العهد الجديد قانونيًا لم يكن قد تحدد بعد. وهذه النصوص في حد ذاتها لم تكتب في الأصل كأعمال مرجعية عقائدية. الأمر الذي سمح بانتشار العديد من الاتجاهات الدينية المسيحية، وكانت أخطرها في نظر المسيحيين هي الغنوصية التي كانت في نظرهم تدمّر أسس العقيدة المسيحية ذاتها.

أما المجامع التي انعقدت لصياغة أصول العقيدة فقد تتالت منذ القرن الرابع، للتصدي لما بدا في نظر الكنيسة من هرطقات عليها اقتلاعها كالأريوسية والنسطورية أو القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح.

ومتابعة هذه المجامع بتواريخها يوضح بما لا يدع أي مجال للشك كيف تمت صياغة المسيحية عبر المجامع على مر العصور.. ونورد منها على سبيل المثال لا الحصر:

٣٢٥: مجمع نيقية الأول وإعلان أن يسوع، الابن، «إله حقيقي من إله حقيقي، مولود وليس مخلوقاً، ومشاركاً للأب في الجوهر».

٣٨١: مجمع القسطنطينية الأول: «الروح القدس مشارك للأب في الجوهر» وقد أدت قرارات هذا المجمع إلى انفصال الكنائس.

٤٣١: مجمع أفسوس أقر أن «مريم أم الله».

وأدت قرارات هذا المجمع إلى صدام بين الكنائس.

٤٥١: مجمع خلقيدونية أقر «الطبيعة الثنائية ليسوع» أي أن له طبيعتين في شخص واحد.

٧٨٦: مجمع نيقية الثاني أقر «شرعية عبادة الأيقونات».

وكلها عقائد وقرارات لا يعرف عنها يسوع أي شيء لأنها صيغت بعد القرن الثاني مع صياغة الأناجيل. وسوف نتناول أهمها بشيء من التفصيل فيما يلي:

تفرض الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومية على الأتباع الإلتزام الصارم بالإيمان بعدد من العقائد ومنها عقائد كونية وإناسيّة، وعقائد ثلاثية، وأخرى متعلقة بالمسيح، ومريم، وعقائد خلاصية، وكنسية، وسريّة.

كما تتسم أو تنفرد المسيحية بملمح آخر لا مثيل له إلا في اليهودية، وهو اعتماد

مصداقيتها على أقوال الأنبياء والمعجزات، وكلها أقوال لا سند تاريخي لها. بل وأغلب نصوصها ثبت أنها كتبت بعد الأحداث، Post eventum، وهي العبارة المستخدمة حاليًا في كافة المراجع. أي أنها ليست نبوءات بمعنى الكلمة.

وقد نشأت العقائد الأساسية من تشبيه يسوع المصلوب، بعد وقوع الحدث فرضًا، بعبد الإله يهوا، وبالعادل المتألم الذي يأخذ على عاتقه خطايا العالم، كما هي واردة في المزامير وفي أشعياء، ثم أدى ذلك إلى العقائد البولسية للخطية والفداء. كما أدى تشبيه يسوع المبعوث بعد الموت فرضا بابن الإنسان الوارد في سفر دانيال وأخنوخ إلى تحويل يسوع الإنسان إلى إله متجسد. الأمر الذي استوجب اختلاق ميلاده العذري. وهذه العقائد لم تنجم عن يسوع الذي لم يقل شيئًا عن كل ذلك، وإنما نجمت عن المؤسسة الكنسية التي راحت تفسر أحداث حياته عن طريق النصوص. الأمر الذي نجم عنه تلك العبارة الشهيرة والتي تذكر بصيَغ مختلفة في نصوص العهد الجديد، وهي: أنه مكتوب، كما هو مكتوب، وفقًا للنصوص، لكي تتحقق النصوص، لكي يتم المكتوب - ذلك لأن سندها الوحيد هو «المكتوب» الذي كتبته وتستشهد به. وتكفي آية: «فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعًا شهود لذلك» (أع٢:٣٢) التي يقولها بولس والمعروف أنه لم ير يسوع في حياته.

وهذا التشبيه والاستناد إلى «النصوص» وتفسيرها على أنها تماثل يسوع بالرب المتألم في أشعياء، ثم بفعل بعثه وتشبيهه بابن الإنسان في سفر الرؤيا لدانيال وأخنوخ، هو الذي سمح للمسيحيين الأوائل بتحويل الهزيمة الواضحة إلى انتصار مدو، واضعين في المفهوم الشعبي لفكرة مسيح يحاول رفع استعباد الرومان لهم والتمرد عليهم إلى مسيح أخروي يأتي أو ينزل من السماء وسط السحاب ليحاكم الناس!

وكانت الاستشهادات الإنجيلية التي لجأ إليها المسيحيون الأوائل لتبرير آلام يسوع وموته وبعثه ومجده السماوي وخيمة العواقب اللاهوتية. ومحاولة التوفيق بين كل هذه السلسلة من المعطيات قد أدى إلى ضرورة اختلاق عقائد تدعمها، وأولها ما يتعلق بيسوع.

وإذا ما تتبعنا صورة يسوع كما تبدو في الأناجيل المتواترة والرسائل الأولى لبولس، يبدو فيها يسوع كإنسان من سلالة داود عن طريق يوسف النجار، وذلك ما يعرفه عنه المحيطون به. ثم أن الله يسانده بالمعجزات، وأن الله قد بعثه من بين الموتى ومجدّه وبأنه على يمينه، وأنه سوف يعود بين السحاب ليحاكم الأحياء والأموات.

والواضح من النصوص أن يسوع لم يعتقد أبدًا أنه إله أو أنه كائن إلهي، بل كثيرًا ما ردد أن الله أكبر منه. إلا أن بولس قد أعلنه ربًا ومسيحًا: «فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا» (أعمال الرسل ٢:٣٦). ثم نرى بولس في الإصحاح الخامس وأمام رئيس الكهنة يعلن: «إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة هذا رفعه الله بيمينه رئيساً **ومخلصاً** ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا. ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضًا الذي أعطاه الله أيضًا للذين يطيعونه» (أع ٥: ٣٠-٣٢).

وبعد عملية بعثه، كما يقولون، تتغير صورة يسوع ونراه قد تسلق رقيًا في العزة والمنصب ليتحول إلى كائن إلهي. وبدأت عملية التحويل هذه بإضفاء ألقاب لم يعرفها في حياته. فكلمة «كيريوس» اليونانية و«أدوناي» العبرية هي في نصوص العهد القديم ألقاب لا تطلق إلا على الله. وبإضفائها على يسوع، فقد أضفوا عليه بعد تمجيده كل الألقاب والخصائص والقوى التي كان العهد القديم يخصّها لله وحده. وبذلك تحولت عبارة «يوم يهوة» في النصوص إلى: «يوم ربنا يسوع المسيح» على حد قول بولس: «حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح الذي سيثبتكم أيضًا إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح. أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١:٧-٩). وبذلك انتقلت مهمة القضاء العليا من الله إلى يسوع!.

ولم تتوقف عملية التحولات التي تضفي على يسوع عند هذا الحد وإنما تواصلت في تصعيد واضح. فيسوع المجد قد تحول بعد تضحيته التكفيرية - التي لا يعرف هو عنها شيئًا. إلى المصالح الوحيد بين الإنسانية والله. ومرة أخرى نطالع كيفية نسج بولس للمسيحية وعقائدها حين يقول: «ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة. أي أن الله كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعًا فينا كلمة المصالحة» (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٥:١٨-١٩). وفي رسالته إلى أهل رومية يقول: «لأنه وإن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيرًا ونحن مصالحون نخلص بحياته وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضًا بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة» (٥: ١٠-١١).

ومع مواصلة عملية التصعيد وتشبيه يسوع بابن الإنسان الوارد في سفر الرؤيا لدانيال ولأخنوخ يتحول يسوع إلى كائن إلهي موجود قبل وجود العالم، وقد نزل من

ويورد جوزيف ويليس أن صيغة النبوءة بالعبرية في الماضي، أي أنها ليست «تحبل» وإنما «حبلت»، وقد تحققت النبوءة بالفعل إذ كانت خاصة بالملك آحاز (وارد في كتابه المعنون: «**هل هذا كلام الله؟** الفصل ١٢). كما أن الطفل عند مولده لم يدعوه عمانويل كالنبوءة التي تذرعوا بها وإنما أطلقوا عليه يسوع. ولم ينتبهوا إلى كلمة «عمانوئيل» إلا بعد صياغة الأناجيل والعقائد. فتمت إضافتها بعد ذلك على أن معناها: الله معنا..

وتطلبت عقيدة الميلاد بمعجزة إلى اختلاق عقيدة أخرى تساندها وتبررها وهي عقيدة الحمل العذري. ومع تلك الطفرة الشاسعة التي انتقلت إليها صورة يسوع الناصري عبر استشهادات متوالية من «النصوص»، أثيرت مسألة متعددة الأوجه: كيفية التوفيق بين ما تقوله الأناجيل المتواترة الثلاثة - رغم كل ما بها من متناقضات، مع فكرة «الكلمة» المتجسدة الواردة في إنجيل يوحنا، وفي هذه الحالة ما هي علاقة أو مدى التساوي أو التفاوت في الدرجة بين الأب والابن؟!

ودارت المعارك وصب اللعنات المتبادلة لمعرفة هل هما شخصيتان متميزتان أم شخصية واحدة؟ ثم هل هما طبيعتان أم طبيعة واحدة.. ولم تهدأ هذه المعارك الطاحنة التي تواصلت بعد تأليه يسوع سنة ٣٢٥ وفرض هذا القرار الكنسي مجمع نيقية الأول، الذي كان قد انعقد للتصدي لمن يعارضون هذا التحريف لعقيدة التوحيد، ومنهم الأسقف أريوس. ولعل أكثر من استطاع توليفها كما يقولون، هو القديس أغسطين (٣٥٤ - ٤٢٠) الذي اعتنق المسيحية وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، والذي استطاع بسفسطة الألفاظ أن يوضح أن الاب والابن إله واحد، الذي أضافوا إليه إله ثالث هو الروح القدس.

وما أكثر الذين تناولوا كيفية عمل وتدعيم هذا التحريف، في القرن العشرين، ومنهم لويس روجييه الذي قام بالتحليل الدقيق للوثائق وكشف كيفية تطورها في القرون الأولى خاصة وما تلاها، موضحًا في كل خطوة من أين استقوا مصادرها، مشيرًا حتى إلى كيفية تحريف معناها، وأنه كان لابد لهم من مجمع أفسوس سنة ٤٣١ ومجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١ للتوصل إلى تعريف عقيدة الاتحاد الأقنومي بين طبيعتي الأب والابن. ويوضح لويس روجييه كيف أدى عمل هذا الاتحاد إلى إيجاد «سر لا يمكن فهمه» خاصة وأن الأناجيل بها من النصوص أو الآيات التي لابد وأن تجعل القارئ يتساءل كيف يمكن ليسوع كإنسان (بما إنه إله) أن يخطئ حتى في نبوءاته وهو المفترض أن يكون يعرفها بالضرورة بحكم أنه إله؟! وهنا كان على مختلقي العقائد أن يدْخلوا شخصية إلهية ثالثة منفصلة تحت اسم الروح القدس.

مؤكدًا: «أنه لا يوجد في العهد الجديد ما يثبت أن الحواريين قد أورثوا الكنيسة أي عقيدة جديدة أو أي دليل على أنها من وحيّ إلهي» ويعلق ويليس على هذا الاستشهاد موضحًا: «أي أنه لا يوجد في هذه الأسفار السبعة والعشرين ما يشير إلى أنها تتضمن أي شيء حول أنها منزّلة أو أنها صادقة».

أما الباحث جي فو (Guy Fau) الرئيس السابق لجمعية إرنست رينان، فيؤكد أن «الأناجيل قد صيغت لإثبات ألوهية يسوع، بدليل أنها صيغت بعد سنة ١٥٠م، وأن الذين كتبوها لا علاقة لهم بالأحداث التي يروونها، وأن صياغتها تتوافق مع عمليات تطور المسيحية عندما اضطرت الكنيسة عند مقاطعتها لمارسيون والغنوصيين أن تفبرك نصوصًا تناقض ما كان يمتلكه أعداؤها، وفي عملية الفبركة هذه، تنكرت لأصولها المتواضعة وراحت تضفي على نفسها أمجادًا بارتباطها بالشخصية الإلهية التي ابتدعها بولس، وأن هذه النصوص للأناجيل المتواترة قد تعرضت للعديد من التغييرات اللاحقة» («**المسيحية بدون يسوع**» صفحة ٩٥).

ويقول الأب رودلف بولتمان (Rudolf Bultman) في كتابه المعنون: «**يسوع، الأسطورة وكشف الأسطورة**» (صفحة ٣٥): «لا يمكننا معرفة أي شيء عن حياة ولا عن شخصية يسوع لأن المصادر المسيحية التي في حوزتنا، شديدة التفتيت وغارقة في الأسطورة، وبالتالي فلا قيمة لها مطلقًا في هذا الموضوع ولأنه لا يوجد أي مصدر آخر سواها حول يسوع». هذا التحديد الذي آثارالدنيا عندما صدر سنة ١٩٢٦، عن رجل دين في مثل مكانته، لم يكن يمثل رأيه فحسب وإنما رأي العديد من العلماء الألمان الذين يعتبرون أن الأناجيل: «عبارة عن تراكمات من القصص والأحداث بعد وقوعها، ويختلط فيها العديد من الروايات التي تم تحريفها».

أما جان كلود بيكار (Jean- Claude Picard)، وكان أستاذًا للتاريخ في جامعة السوربون في باريس حينما قرر دراسة الديانة المسيحية عن قرب، فأمضى أربعة عشر عامًا لدراستها في قسم دراسة أصول المسيحية في كلية الدراسات العليا التابعة لها، منها سبع سنوات متتالية تابع خلالها دراسات الآباء وتاريخ تكوين العقائد، وبعد هذه السنوات الأربع عشرة خرج ليتساءل بوضوح: «هل يسوع قد وُجد تاريخيًا؟!» وفي كتابه المعنون: «**التاريخ النقدي للديانة الرومية المسماة كاثوليكية ورسولية**، راح يؤكد أن يسوع ليس إلا بطلاً روائيًا، وأن الشخصية الواردة في الأناجيل قد تم تأليفها تدريجيًا عبر طبقات متتالية ومتناقضة. تكدست على بعضها على مر التاريخ عبر صياغات مختلفة

اعتمادًا على الروايات الشفهية وحتى على نصوص من أزمنة العصور الوسطى، وقد قام تلامذته بنشر كتابه بعد وفاته.

وكان الأمر يتعلق بالنسبة له بمعرفة «ما إذا كانت الأناجيل المسيحية هي أعمال تاريخية أو مجرد قصص وسير القديسين اعتمادًا على خيال من كتبوها لتلبية حاجات نفسية - اجتماعية لجمهور معيّن. والرد وارد في مجلة «لاكروا» (أي الصليب) في العدد رقم ١٠٧ لشهر نوفمبر ١٩٩٥ حيث يرد تحديدًا: «في الكتاب المقدس لا يجب أن نبحث عن التاريخ، ولكن عن «التاريخ المقدس»، والمشكلة واحدة بالنسبة للعهد الجديد أو العهد القديم. إن الذين كتبوا الأناجيل، بعد عيد الفصح بسنين طويلة، أرادوا التعبير عن إيمانهم بيسوع ابن الله... والهدف الأول للأناجيل هو أن تجعلنا نكتشف ونتقاسم الإيمان مع الجماعات الأولى. أي أن الكتاب المقدس قد كتبه مؤمنون من أجل المؤمنين، أي أن الأناجيل، وفقًا لهذه المجلة الدينية الرسمية، هي عبارة عن كتب دعاية عليها نشر عقيدة ما، أو أيديولوجية ما، وليس نصًا تاريخيًا».

أما لويس روچييه فيوضح كيف كان يقوم بعض المفسرين أو الآباء بكتابة النصوص التي يسندونها إلى بطرس أو بولس، مشيرًا إلى «أنه من الممكن بالطبع خاصة في الحالات التي لا تتضمن أي شاهد على الحدث، فمن ذا الذي كان شاهدًا على ما قاله الملاك لزكريا، أو لمريم أو ليوسف، أو حتى ما قاله الشيطان ليسوع عندما كان «يختبره» وكانا وحدهم في الصحراء؟ ومن ذا الذي شاهد ما حدث في حديقة چيتثماني بينما كان الحواريون نيامًا؟ كيف أمكنهم معرفة صلاة يسوع لأبيه؟ لاشك في أننا في قمة قصص التخيل الأدبي. فما من حواري قد كان حاضرًا محاكمة يسوع سواء في المجلس الأعلى لليهود، أو في مقر الحاكم بما أن كل الحواريين قد فرّوا هربًا عندما تم القبض على يسوع. وأن يكون بطرس قد تسلل مع أحد التلاميذ في فناء القصر فذلك لا يعني شيئًا إذ أن عملية الاستجواب لم تتم هناك. فكيف أمكن لكتبة الأناجيل أن ينقلوا كلمات الكهنة الكبار وبيلاطس البنطي ويسوع؟» (صفحة ١٦٥ - ١٦٦).

ولاشك في أن عملية تأكيد أن نصوص الأناجيل منزّلة، والتمسك بها مرتبط بأمرين هما مصداقية من كتبها والمصداقية التاريخية للأحداث التي يروونها إضافة إلى تحقيق النبوءات التي يذكرونها. وفيما يتعلق بمصداقية من كتب هذه النصوص فقد رأينا من تلك الشذرات التي أوردناها ما يطلق عليه العلماء حاليًا من «**أن الكتبة اليهود والمسيحيين قد انجرفوا في فُجْرٍ لا معقول في عمليات التزييف**» (چوزيف ويلس).

وقد تزايد هذا التيار الكاشف لأكاذيب هؤلاء الكتبة منذ أن قام كل من ريشار سيمون وسبينوزا بإثبات أن موسى لا يمكن أن يكون مؤلف الأسفار الخمسة التي تسند إليه، وأن كل المفسرين الكاثوليك أصبحوا يفصلون الآن ما بين مسألة الإلهام ومسألة الأصالة التي تتناقض تمامًا مع ما توصف به هذه النصوص. فقد قام أبراهام كوينن (A.Kuenen) بإثبات أن كل نبوآت أنبياء العهد القديم قد فندها التاريخ، وذلك في كتاب بعنوان: «**التاريخ النقدي لكتب العهد القديم**».

أما العهد الجديد، فكل ما تحقق منه من نبوآت هي تلك التي كتبت بعد الأحداث (Post eventum) كما يقولون. ويكفي ألا نشير من تلك النبوآت التي لم تتحقق إلا إلى تلك المحن والمصائب الضخمة التي ستصاحب مجئ ابن الإنسان بين السحاب، وإقامة ملكوت الله على الأرض، وذلك «قبل أن ينقضي هذا الجيل» الذي كان معاصرًا ليسوع.. وكلها أحداث ينتظر الأتباع حدوثها منذ قرابة ألفي عام..

فما من إنسان يقرأ العهد الجديد بعين محايدة إلا ويُصدم من كمّ المتناقضات التي تغص بها. وكلها متناقضات تتعلق بمعطيات العقيدة في حد ذاتها. فوفقًا للنصوص يسوع قد «صُلب» في ثلاثة تواريخ: ٧ أبريل سنة ٣٠م، و٢٧ أبريل سنة ٣١م، و٣ أبريل سنة ٣٢م.. أو كيف استقبلته الجموع وهللت له وقد قام بمعجزات شفاء العديد من بينهم ولم يقف إنسان واحد يدافع عنه بل طالبوا جميعًا بصلبه وإطلاق سراح باراباس؟ باراباس، ذلك المجرم أو القاتل الذي لا يعرفه ولم يسمع عنه أحد قبل ذلك.

لم يعد بوسع أي إنسان أمين أو صادق مع نفسه أن ينكر ما بهذه الأناجيل من تناقضات فلم يعد من الممكن التعتيم عليها بأية بهلوانيات لفظية. بل إن هذه المتناقضات لا تتوقف عند حد ذاتها وإنما نراها تمتد بين المفسرين وبين كبار رجال الكنيسة وبابواتها. ونكتفي بما أورده البابا بولس السادس وكان بابا في الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٨، وأن يكتب في النص الذي أصدره بعنوان: «عقيدة إيمان شعب الله» حيث راح يؤكد أن يسوع قد بُعث «بمحض قدرته الذاتية» (Par son propre pouvoir) وهو ما يتناقض مع ما يرد في أعمال الرسل وفي رسائل بولس! فأيهما نصدق؟!

بل حتى مشارب الآباء الذين صاغوا التراث الكنسي تتناقض أو تختلف، وهو ما أطلق عليه الأب چان دانييلو (Jean Daniélou) عبارة «التعددية اللاهوتية»! فقد قام ترتوليان بصياغة لاهوت اعتمادًا على الرواقية – نسبة إلى فلسفة تقول بأن كل شيء في الطبيعة إنما يقع بالعقل الكلي ويقبل مفاعيل القدر طوعًا. أما أغسطين فقد اعتمد في

لاهوته على أساس الأفلاطونية الجديدة القائمة على مزج بعض الأفكار الصوفية ببعض أفكار أفلاطون. أما توما الاكويني فقد بنى لاهوته على أساس أرسطوطاليسي معدل، وقام مالبرانش باستخراج لاهوت من الديكارتية. بينما يعتمد لاهوت الكنيسة الشرقية على أوريجين، وهو ما يخالف لاهوت الكنيسة الرومية. وبعض الآباء يعتبر علم اللاهوت علم خاطئ كالأب فالنسين (Valensin) ويكتفي بالعقائد. وهو ما يعد تناقضًا صارخًا بين العبارات والمصطلحات.

ولم نذكر تلك الإطلالة الخاطفة إلا لنوضح مدى عمق التناقض في هذا البنيان أو في هذه المؤسسة الكنسية، وإن كان ما يعنينا هنا في هذه الجزئية هي قضية التفاوت والاختلاف والتناقض الرهيب في النصوص الإنجيلية والتي لم يعد هناك من يمكنه إنكارها. فكيف يمكن أن تكون منزّلة؟!

بل إن نفس قضية الوحي والتنزيل الخاصة بهذه النصوص تمثل مشكلة في حد ذاتها، بعد اكتشاف نصوص دينية وأخلاقية وقانونية من مصر القديمة وآشور وبابل، وأكثرها أقدم تاريخيًا من انتقال سيدنا إبراهيم من أور إلى حاران. وهنا يوضح لويس روجيه كيف: «أن سفر التكوين عبارة عن نسخة مطابقة لقصيدة شاعرية بعنوان: «عن الجنة، والطوفان، والسقوط». وهي من لوح نيبور، وقد نشر نصها الباحث لانجدم (S.Langdom) سنة ١٩١٩ بعنوان: «القصيدة السومرية عن الجنة والطوفان والسقوط». بل هناك العديد من النصوص السومرية والبابلية والمصرية القديمة التي يمكن عمل مقارنة متوازية بينها وبين بعض نصوص الأناجيل، ومنها مقارنة أناشيد الشمس لأخناتون وبعض مزامير داود، والتشريع الوارد في سفر التثنية وسفر اللاويين له ما يماثله في قانون حامورابي وهو أقدم منهما تاريخيًا، بل لقد أكد الباحث رينيه دوسو (René Dussaud) في بحثه المعنون: «**اكتشاف راس شمرا (أغاريت) والعهد القديم**» (١٩٤١)، أهمية ذلك قائلاً: «وبالتالي، ليس من المبالغة أن نقول إن اكتشاف ألواح راس شمرا هي أهم الاكتشافات التي تمت في مجال الدراسات الإنجيلية».

وإذا ما أضفنا إلى ذلك التشابه في الأساطير والقصص والعبادات والقوانين، ما أثبتته وثائق البحر الميت ونجع حمادي، لتغيّر الوضع تمامًا بالنسبة لمسألة التنزيل والوحي التي أصرّت الأيادي العابثة على أنها إلهية مقدسة، وهو ما سوف نتناوله في النقطة التالية.

كيفية فرض هذا الوحي

تعتمد الكنيسة في فرض مسألة وحي وتنزيل الأناجيل على آية من آيات بولس في رسالته الثانية إلى تيموثاوس، إذ يقول: «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم» (٢:١٦) وقد تناست الكثير من آياته التي يقول فيها إنه كاذب، وأنه بعدة أوجه وليس بوجهين فقط، بل وإنه سرق الكنائس، ونذكر منها على سبيل المثال: «إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ» (إلى أهل رومية). أما في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس فكتب قائلاً: «صرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع إني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس (...) وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكًا فيه» (٩: ٢٠-٢٣). أما في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس فقال: «سلبت كنائس أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم» (١١:٨) أي أنه سلب الكنائس التي يتحدث فيها وكنائس أخرى، وكذب، وتعددت الأوجه التي كذب بها.

ورغم هذه الأكاذيب وكل هذا التحايل وعدم الأمانة، بل ورغم اعتراف القديس چيروم بعمليات التحريف والتزوير التي قام بها ليكوّن نصًا تاريخيًا وأصلاً ثابتًا بأمر من البابا داماز، وعلى الرغم من المعارك الطاحنة التي اندلعت سواء بين الحواريين وبولس، أو بين القديس چيروم ومعاصريه، ففي القرن السادس عشر عندما انعقد مجمع ترانت سنة ١٥٤٦ ليحسم هذه المعارك من ضمن ما حسم، أعلن في دورته الرابعة المنعقدة في ٨ أبريل في قراره الأول المعنون: «استلام الكتب المقدسة والتراث من الحواريين» ومما جاء به أنه «انعقد للحفاظ على نقاء الإنجيل الذي وعد به الأنبياء في النصوص المقدسة وأنه تمت صياغته أولاً بفم ربنا يسوع المسيح، ابن الله، الذي أمر بعد ذلك أن يتم تبشيره إلى كل مخلوق عن طرق الحواريين كمنبع لكل حقيقة خلاص ولكل قاعدة أخلاقية (...) لذلك، وعملاً بمبدأ الآباء الأصوليين، فإن هذا المجمع المقدس يتسلم ويبجل بنفس شعور التقوى ونفس احترام كل الكتب سواء العهد القديم أو العهد الجديد، **بما أن الله هو المؤلف الوحيد للاثنين**، سواء أكان من فم المسيح أو تحت إملاء الروح القدس واحتفظت به الكنيسة الكاثوليكية في توارث متواصل».

ثم تليها عملية حصر لكتب العهد القديم والعهد الجديد التي تعتمدها الكنيسة الكاثوليكية، وينتهي القرار الأول لتلك الجلسة بما يلي: «إذا لم يتقبل أي شخص هذه

الكتب على أنها مقدسة وشرعية في مجملها، بكل أجزائها، مثلما اعتدنا قراءتها في الكنائس الكاثوليكية ونجدها ثابتة في طبعة «الفولجاتا» القديمة اللاتينية، وإذا ما ازدرأ عن عمد ويمحض إرادته التراث المشار إليه بعاليه يكون ملعونًا، وعلى الجميع أن يفهموا النظام والطريق الذي سيسلكه المجمع، بعد إرساء أسس عقيدة الإيمان، خاصة الشهادات والأدلة التي سيستخدمها لتأكيد العقائد وإصلاح العادات في الكنيسة» (**المجامع المسكونية**، المجلد الثاني مكرر صفحة ١٣٥١ و١٣٥٢).

ونخرج من هذا القرار الأول بإضفاء سند من الأنبياء القدامى، وإضفاء سند من يسوع الذي صاغه بفمه شخصيًا وطالب بنشره، وتناوله الحواريون من بعده، وأن المجمع يواصل الطريق «بما أن الله هو المؤلف الوحيد». وإذا لم يتقبل أي فرد هذه النصوص بكلها فيكون ملعونًا.. والنظام والطريق الذي سكله المجمع لتنفيذ هذه اللعنة معروف فمحاكم التفتيش قائمة والمحارق مزدهرة والشهادات والأدلة معروف كيفية استخراجها بأمر مقدس من البابا شخصيًا.

أما القرار الثاني وهو بعنوان: «طبع الفولجات» وطريقة تفسير النصوص المقدسة إلخ.. فينص على: «إضافة إلى ذلك، فإن نفس المجمع قد رأى أنه من الفائدة الكبرى لكنيسة الله معرفة أي طبعة يجب اعتبارها الطبعة الأصلية من بين كل الطبعات اللاتينية للكتب المقدسة التي يتم تداولها، لذلك فهو يبتّ ويعلن أن الطبعة القديمة «للفولجات»، والتي اعتمدتها الكنيسة من طول استخدامها عدة قرون، يجب اعتبارها الأصلية في الدروس العامة، والمناقشات، والتبشير، والتفسير، وألا يكون لأحد الجرأة أو شبهة رفضها بأي حجة من الحجج.»

«من ناحية أخرى، ولمحاصرة العقول المتمردة، فإن المجمع ينص، في مسائل الإيمان أو التقاليد المتعلقة ببنية العقيدة المسيحية، أنه لا يحق لأحد، واعتماداً على رأيه هو، أن يتجرأ على تفسير النصوص المقدسة بتحريفها عن معناها وفقًا لهواه وعلى عكس المعنى الذي تتمسك به الكنيسة أُمنا المقدسة، التي يتعيّن عليها وحدها اختيار المعنى والتفسير الحقيقي للكتابات المقدسة، أو أن يتجرأ (ذلك الشخص) على مخالفة موافقة الآباء بالإجماع، حتى وإن كان مثل هذا التفسير غير موجه للنشر، فإن المخالفين سوف تتم الوشاية بهم من قِبَلْ المسؤولين ويعاقبوا بالعقوبات التي ينص عليها القانون.»

«كما أن المجمع المقدس يريد أيضًا، ومن حقه ذلك أن يفرض قاعدة في هذا المجال على المطابع التي بلا أي ضابط وبلا أية موافقة من المسؤولين الكنسيين، ويطبعون كتبًا

للنصوص المقدسة، معتقدين أن كل شيء مباح لهم، وبهذه الكتب تعليقات وتفاسير ناجمة عشوائيًا ومن أي شخص، دون حتى أن يذكروا اسم المطبعة، أو حتى بتحريف ذلك الاسم، وهو أمر أكثر فداحة، وبلا اسم مؤلف، ويعرضون مثل هذه الكتب للبيع. لذلك يقرر المجمع ويبتّ أنه ابتداء من الآن لن تتم طباعة النص المقدس إلا للنص القديم للڤولجات، وأن يطبع بأكبر قدر من العناية الممكنة، وألا يُسمح لأي شخص بطباعة أي كتاب يتعلق بالشؤون المقدسة بلا اسم مؤلف، وألا يبيعه في المستقبل أو يحتفظ به لديه، إن لم يقم المسؤولون بمراجعتها، وإلا تعرض لعقوبة اللعنة والغرامة التي نص عليها مجمع لاتران. وإذا كان هؤلاء المؤلفون من رجال الإكليروس، فبخلاف هذا الفحص وهذه الموافقة، فهم ملزمون بالحصول على موافقة رؤسائهم الذين يتعين عليهم مراجعة هذه الكتب وفقًا لنظامها. والذين سيقومون بعرض هذه الكتب ونظرها وهي لا تزال مخطوطات قبل حتى أن تتم مراجعتها والموافقة عليها، يقعون تحت نفس طائلة قانون الناشرين. والذين سيمتلكونها أو يقرأونها إن لم يعلنوا عن مؤلفها سيقعون تحت طائلة قانون المؤلفين. وهذه الموافقة على الكتب ستتم كتابةً وعليها أن تتصدر الكتاب أو المخطوط أو تطبع. وكل ذلك، أي الموافقة والفحص سيتم مجانًا حتى تتم الموافقة على ما يجب عليه، ويتم رفت ما يجب رفته.»

«وبخلاف ذلك، ورغبة من المجمع في قمع جرأة الذين يبدّلون ويحرّفون كلام أو أجزاء من النصوص المقدسة لأية أغراض دنيوية أو من باب المزاح أو القصص المختلقة أو عديمة النفع، والتملق والتطاول والخرافات والشعوذة الشيطانية الكافرة والتنجيم أو حتى كتابة أهجية فاضحة، فإن المجلس المقدس يأمر وينص، لإلغاء مثل هذا الإخلال بالوقار ومثل هذا الاحتقار، وألا يتجرأ أحد في المستقبل على استخدام النصوص المقدسة بأي صورة من الصور لهذه الأغراض أو لغيرها. وعلى الأساقفة تطبيق العقوبات القانونية وتلك التي يرونها مناسبة على كل الأشخاص الذين يدنسون ويحرفون كلام الله»، ويا لها من عملية إسقاط بلا حدود.

وقد آثرنا ترجمة هذا القرار الثاني بكامله حتى يرى القارئ إلى أي مدى كانت المؤسسة الكنسية تفرض - ولا تزال - سلطانها بجبروت وتحكم ليس بحاجة إلى تفسير. وأنه من الأفضل الإشارة إلى أهم نقاطه وهي: فرض نص «الڤولجات» كنص أوحد منزّل بما «أن مؤلفه هو الله»، وهو نص مُلزم للجميع، وأنه لا يحق لأحد أيًا كان القيام بالتفسير أو بكتابة أي نص ديني مخالف لوجهة نظر الكنيسة والآباء، وعدم

تداول أية كتابات بدون اسم ناشر أو مؤلف وإلا وقع تحت طائلة القانون المنصوص عليه. وتبقى الإشارة هنا إلى أن السبب لإنعقاد هذا المجمع هو التصدي لحركة الإصلاح، خاصة للخمسة وتسعين بندًا التحريفية التي اتهموا الكنيسة الكاثوليكية باقترافها في نصوص العقيدة.

ومن الواضح أن الخلافات العقائدية والمعارك لم تهدأ حتى بهذه القرارات فتم انعقاد مجمع آخر وهو مجمع الفاتيكان الأول سنة ١٨٧٠، والذي قرر في دورته الثالثة المنعقدة في ٢٨ أبريل، بعنوان: «القانون العقائدي للإيمان الكاثوليكي.. الله الابن» حيث نص في الفصل الثاني الخاص بالتنزيل، على كل ما تم فرضه في مجمع ترانت: «إن هذه الكتب للعهد القديم والعهد الجديد وفقًا لما تم إقرارها في المجمع وكما نجدها في الطبعة اللاتينية القديمة «للڤوجات» يجب أن تُقبل بكاملها، على أنها مقدسة، وشرعية، في جميع أجزائها. والكنيسة تعتبرها كذلك لا لأنها من تأليف عمل إنسان واحد، وأنه قد تم اعتمادها فيما بعد فحسب، ولا لأنها تتضمن الوحيّ المنزّل بلا أية أخطاء فحسب، وإنما لأنها كتبت تحت وحيّ مباشر من الروح القدس، وأن الله هو مؤلفها وأنها وصلت الكنيسة بهذا الشكل» (صفحة ١٦٣٩).

وكالمعتاد بعد أي قرار مجمعي تم إعلان: «إذا لم يتقبل أي شخص هذه الكتب المقدسة على أنها نصوص مقدسة وشرعية بكلها وفي جميع أجزائها، مثلما أقرها مجمع ترانت المقدس، أو إذا أنكر أنها موحاة إلهيًا، **فيكون ملعونًا**» (صفحة ١٦٤٧).

ومع تقدم العلوم وبداية تكشف حقائق هذه النصوص، ومع تزايد عدم جدوى تلك القبضة الحديدية التي كانت تطبق على رقاب الأتباع، كان على الكنيسة أن تبدل من تقنياتها القمعية، وفي ١٨٩٣، أعلن البابا ليون الثالث عشر، في خطابه المعنون «تنبوه» الذي خصه أساساً لمشكلة النصوص المقدسة والكتاب المقدس برمته والدراسات الإنجيلية بعامة، كان بمثابة انفتاح – وإن كان محدودًا – على المفاهيم التي يفرضها العصر، ولأول مرة تثار رسميًا مصداقية الأناجيل، وهو ما يمكن أن يطلق عليه الوجه الآخر لمعصوميتها وألوهية وحيها، ودون أن يستخدم عبارة «أنها نصوص أدبية أو نوع من النصوص الأدبية» التي ستقال بعد ذلك بخمسين عامًا، قال: «إن المؤلفين كانوا يتناولون المسائل وفقًا للظروف سواء بأسلوب مجازي أو بالأسلوب الدارج في زمانهم». وعلى الرغم من الالتفاف والموارية، إلا أنه أرسى قواعد البحث على أنه يتعين على المفسرين أن يجدوا نوعًا من المواءمة بين عقيدة الوحي المنزّل والاكتشافات العصرية، بل

لقد تجرأ ليون الثالث على إعلان «أن الكتاب المقدس لا يقدم أي درس في التاريخ المعاش، وأن تعاليمه تهتم أساسًا بالحقائق أو بالأساليب التي تؤدي إلى خلاص البشر»، مبتعدًا عن عمليات اللعنة والحرمان التي كان يلجأ إليها رفاقه السابقين.

والمجازفة كانت جد كبيرة فالمساس بالأصل الإلهي للكتاب المقدس يعني المساس بالوحي وبنفس أساس العقيدة المسيحية. إلا أن تيار العلم والتقدم الممثل في الحداثة كان أقوى وكاد يأتي على أركان تلك المؤسسة. فقام مكتب عقيدة الإيمان وهو الاسم الأجدد لمحاكم التفتيش بعمل قوائم إدانة لعلماء الحداثة وهذه قضية أخرى.

وبدأ التعصب الأكمه يتراجع بصعوبة أمام الحقائق التي كانت تتزايد يومًا بعد يوم لتدين ألوهية هذه النصوص والكشف عن طبقات صياغتها الزمانية. فقام البابا بندكت الخامس عشر في ١٥ سبتمبر ١٩٢٠، في خطابه المعنون «روح الفراقليط» قائلاً: «إن هذه النصوص قد كتبت بوحي من الله» أي أن الله لم يعد «المؤلف الوحيد لها».

وفي ٣٠ سبتمبر ١٩٤٣، قام البابا بيوس الثاني عشر بمطالبة المفسرين الكنسيين بتحديد «أي نوع من النصوص الأدبية قصده مؤلفو تلك العصور القديمة». وكانت مثل هذه المهمة تتطلب تضافر جهود الموارد التاريخية والأثرية والإنسانية إلى جانب العلوم الأخرى. الأمر الذي أدى إلى ظهور تيارات جد كاسحة لهذه النصوص من رجال الكنيسة.

وفي السابع من ديسمبر ١٩٦٥، كان من ضمن قرارات مجمع الفاتيكان المسكوني الثاني استبعاد عبارة «أن الله هو المؤلف الوحيد» لهذه النصوص، وأن من كتبوها هم المؤلفون الحقيقيون (Veri auctores). وفيما يلي جزء من هذا القرار الصادر عن الدورة الثامنة في ١٨/١١/١٩٦٥ بعنوان «القانون العقائدي حول الوحي الإلهي» ونطالع في الفصل الثالث حول: الإلهام الإلهي للنصوص المقدسة وتفسيرها، البند رقم ١١: «إن الحقائق المنزلة إلهيًا والموجودة في النصوص المقدسة وواردة بها كتابة» قد تم إيداعها تحت نفحات الروح القدس. وبالفعل، إن الكتب بأسرها، العهد القديم والعهد الجديد بكل أجزائها، فإن الكنيسة الأم المقدسة تعتبرها مقدسة وشرعية لأنها كتبت تحت وحي الروح القدس (راجع يوحنا ٢٠: ٣١، و٢ تيموثاوس ٣:١٦) وأن الله هو مؤلفها وأنها قد نقلت هكذا إلى الكنيسة شخصيًا. لكن، من أجل تأليف الكتب المقدسة، فقد اختار الله رجالاً ولجأ إلى خدمتهم في أن يستخدم مهاراتهم وقوتهم الذاتية كاملة، بحيث أنه مؤثر فيهم وبهم، قد قاموا بالنقل كتابة كمؤلفين حقيقيين، كل ما أراده هو شخصيًا ولا أي شيء سوى ذلك. ومن هنا، فإن كل ما يؤكده المؤلفون الملهمون يجب أن نأخذه على أنه

مؤكد من الروح القدس، ويجب بالتالي أن نجاهر بأن الكتب المقدسة تعلّم بصرامة وبإخلاص وبلا أي خطأ الحقيقة التي أراد الله أن يضمنها في النصوص المقدسة من أجل خلاصنا. لذلك، فإن «كل نص مقدس هو ملهم من الله ومفيد للتعليم، والرفت، والتصويب، والتربية على العدل حتى يتم اكتمال إنسان الله مزوداً بكل عمل خيره».

وتتضمن قرارات هذا «القانون العقائدي» خمسة وعشرين بندًا، والمرء ليصاب بالغثيان من اللعب بالألفاظ والإلتفاف اللزج حتى لا يبدو التراجع تراجعًا ومثل هذا الأسلوب المعتمد على التحايل والالتفاف والمراوغة هو الذي يعتمد على جهل من يقرأه» («**البحث عن الحقيقة**» ١٨٨٥).

أما جوزيف ويليس فيقول في كتابه المعنون: «**هل هذا كلام الله**» صفحة ٢٥٦، تحت عنوان «درس طبخ في النبوءات» (A cooking lesson in profecy): «إذا ما تقدم أحد المحامين مدافعًا عن قضية أمام أي محكمة في أي بلد متحضر في العالم، وتذرّع بهذه البيانات المذكورة، وما سبقها، ويلجأ إلى حيلة تحقيق كسب غير مسبوق لقضيته، بالنصوص التي يعتد بها كتبة الأناجيل، ويكتشف نده هذه الإدعاءات، فلابد من أن يُعفى من مهام مهنته ويوصم بأنه دجّال ونصّاب ويطرد من المهنة التي يكون قد أخل بشرفها ويتعرض للاحتقار من كل شرفاء الجنس البشري. إلا أن كتبة الأناجيل مازالت تحيط بهم هالة على أنهم قديسون ملهمون، يبشرون «بكلمة الله» التي لا تزال تعد أنها «إلهية» مقدسة وتفوح منها وحولها البخور، ويُسمع إليها بانتباه وهم يعلّمون ويخطبون هذه «النبوءات» وتحقيقها إلى أولئك الناس الذين كان من المفترض أن يفكروا فيها، ولم يفكروا فيها أو يبحثوها بنفسهم أو يبحثوا عن أصل عجائب إيمانهم هذا. ولا يسعني إلا أن أردد مع يوحنا في جزيرة باتموس قائلاً: إنني حاولت: «وجرّبت القائلين أنهم رسل، وليسوا رسلا، فوجدتهم كاذبين» (رؤيا يوحنا ٢:٢).

ذلك هو ما يختم به أحد كبار رجال القضاء والقانون بأمريكا، الفصل الثالث عشر من كتابه المعنون: «**هل هذا كلام الله؟**» والفصل كله يتناول فيه تفنيد كل النبوءات الواردة بالأناجيل، ويضاهي النصوص المأخوذة عنها من العهد القديم، مشيرًا في أحيان كثيرة إلى كيفية استخدام هؤلاء الكتبة لجزء من الآية - وهو ما يخلّ بمعناها بعيداً عن إطارها العام، أو استخدام آيات نصها الأصلي بصيغة الماضي، أي أن النبوءة قد تمت وتحققت في الماضي، وأن الاستشهاد بها للحاضر أو للمستقبل يمثل غشاً لا ريب فيه وتلاعبًا بالألفاظ.

لذلك يؤكد في نهاية نفس هذا الكتاب قائلاً: «الكتاب المقدس ليس «كلام الله» الملهم المعصوم من الخطأ، أنه سجل إنساني عن الإنسان المجهد الخطّاء، وسعيه خلف المجهول في صورة إله - إنسان، ملحًا في تحقيقه في حياة الإنسان، ولا علاقة له بالدنيا الآخرة غير المعروفة.

«وما يخرج به المرء من الكتاب المقدس أنه كتاب بشري بحت، ولا أخلاقي بصورة مرعبة، كاذب وغير صحيح، قاس شديد الإيذاء في معظم أجزائه، ويحط من شأن البشرية الشاسع ككنز حقيقي لا «كتدفقات الله عبر موسى»، وإنما كتدفقات الإنسان في تقدمه الأخلاقي وسعيه إلى العدل والتقوى والصلاح. إنه كتاب مفعم بمخاطر الخرافات البدائية، اختلقه القساوسة ومراتب الكهنوتية المختلفة، من أساطيرها الفجة القاسية، ونظام لاهوتها الفاسد، من أجل السيطرة على عقول الناس وأرواحها، بمكائد رهبانية مكوّنة من المتاجرة بالنفوذ والتعظم، ومن التحكم والخراب. ومن سوء حظ البشرية أن كل هذا صحيح، بكل أسف، وهو ما تثبته آلاف من السنين، من التاريخ المعيوب والوقائع المرتجلة التي يثبتها هذا الكتاب. وعندما يصل ما عرضناه في بحثنا إلى كل الناس ويتدبرونه، فإن الخسارة ستنتهي إلى الأبد، إذ عند معرفتهم حقيقة ذلك الكتاب المقدس سيتحررون من سيطرة الأخطاء الواردة، وينتهي عصر القساوسة واحتلالهم، ينتهي كما انتهت الأشباح السابقة..» (صفحة ٤٢٦).

وقبل أن ننهي هذا الجزء عن الأناجيل وصياغتها نود الإشارة إلى أي مدى وصل التناقض لا بين نصوص ذلك الكتاب وبعضها فحسب، وإنما بين رجال تلك المؤسسة ونفس هذه النصوص التي صاغوها وفرضوها عبر الزمان. ففي أول يوليو ١٩٦٨ أصدر البابا بولس السادس رسالته المعنونة: «عقيدة شعب الله»، وذلك بمناسبة الاحتفال بانتهاء «عام الإيمان»، وراح يعيد فيه تأكيد النقاط الأساسية لعقيدة الكنيسة، وهي العقائد التي يتعين على المسيحي الإيمان بها من أجل خلاصه. وفي هذا البيان لعقيدة شعب الله يقول البابا بولس السادس عن يسوع المسيح: «أنه قد كُفن ودُفن، **وبمطلق سلطانه الذاتي**، قد بُعث في اليوم الثالث، وقد رفعنا ببعثه إلى تلك المشاركة للحياة الإلهية التي هي حياة العفو».

وهنا لابد من وقفة نتناول فيها عبارة البابا بولس السادس، الصادرة عنه رسميًا وفي وثيقة رسمية معلنة ومنشورة وملزمة للأتباع، وذلك في القرن العشرين، وفي سنة ١٩٦٨ تحديدًا، وهي عبارة أن يسوع قد بعث من الموت «بمطلق سلطانه الذاتي» وهو ما

يتناقض مع ما تقوله نصوص الأناجيل. فالمرء لابد وأن يتساءل أيهما يصدّق؟ سيادة البابا أم النصوص التي يفرضها على أنها إلهية منزّلة وأن «الله هو مؤلفها الوحيد»؟!

ونطالع في أعمال الرسل قول بطرس: «.. **يسوع الناصري رجل** قد تبرهن لكم من قبل الله.. هذا أخذتموه مسلّمًا بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي **أقامه الله** ناقضًا أوجاع الموت...» (٢:٢٢-٢٤).

ويواصل بطرس في نفس الإصحاح قائلاً: «فيسوع هذا **أقامه الله** ونحن جميعًا شهود لذلك» (آية ٣٢). وفي الإصحاح الرابع نطالع: «فليكن معلومًا عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات» (آية ١٠). وفي الإصحاح الخامس من نفس أعمال الرسل نطالع: «**إله آبائنا أقام يسوع** الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة» (آية ٣٠) وفي الإصحاح العاشر: «ونحن شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية وفي أورشليم الذي أيضًا قتلوه معلقين إياه على خشبة. هذا **أقامه الله** في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهرًا» (٣٩-٤٠).

أما بولس فيقول أمام يهود انطاقيا: «ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر ولكن **الله أقامه** من الأموات» (أعمال الرسل ١٣:٢٩-٣٠). ويكرر بولس بعد آيتين قائلاً: «إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم **إذ أقام يسوع** كما هو مكتوب...» (٣٢-٣٣) ويواصل بولس في الآية ٣٧ قائلاً: «وأما **الذي أقامه الله** فلم يرى فسادًا».

وعندما ذهب بولس إلى أثينا ووقف يخطب بين الإثنينين قال: «لأنه أقام يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدمًا للجميع إيمانًا **إذ أقامه من الأموات**» (أعمال الرسل ١٧:٣١).

وفي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول بولس، مؤسس المسيحية: «**والله قد أقام الرب** وسيقيمنا نحن أيضًا بقوته» (٦:١٦). وفي رسالته الثانية لهم يقول: «عالمين أن **الذي أقام الرب يسوع** سيقيمنا نحن أيضًا بيسوع ويحضرنا معكم» (٤:١٤).

ولم نضرب هذا المثال أو لم نتناول هذه النقطة تحديدًا إلا لنوضح بالنصوص كيف يمكن التغيير والتلاعب، فبالنسبة للحواريين، أن يسوع الناصري ليس إلا «رجلاً» قد أطاع ربه حتى الموت وأن الله قد أقامه. ومن المؤكد أن هذه العبارة واردة في آيات أكثر بكثير مما أوردنا. فكيف يقول البابا بولس السادس إن الله هو الذي مات وأنه قد بعث «بمطلق سلطانه الذاتي»!..

ومن ناحية أخرى يقول أهل اللاهوت في تعريفهم الله بأنه «الكائن الذي جوهره هو أن يوجد» ومن البديهي أنه إذا ما فقد هذا الوجود ومات فيصبح لا شيء فكيف يمكن لكائن لم يعد شيئًا أن يبعث نفسه بمطلق سلطانه الذاتي أو بمحض إرادته التي تكون قد تلاشت بموته؟!

حول ألوهية يسوع:

في السبعينيات من القرن العشرين، وفي سنة ١٩٧٧ تحديدًا اهتز الغرب المسيحي لظهور كتاب طبع في انجلترا بعنوان: «**أسطورة تجسد الله**»؟! ويدين هذا الكتاب وجهة النظر المسيحية التقليدية الخاصة بتأليه يسوع. والغريب، اللافت للنظر، أن هذا الكتاب لم يكتبه واحد من أتباع أي ديانة أخرى أو أحد الكنسيين الهامشيين، وإنما سبعة من كبار علماء اللاهوت في بريطانيا. منهم ستة إنجليكان والسابع أستاذ علم اللاهوت في برمنهجام، وقد عاون هذه المجموعة في عملها أستاذ اللاهوت في كلية كنيسة يسوع في أوكسفورد وشغل منصب رئيس اللجنة العقائدية البريطانية.

والمشاركون في هذا الكتاب هم: دون كوبيت (Don Cupitt) عميد كلية لاهوت عمانويل في كمبريدج، ومايكل جولدر (M.Goulder) أستاذ علم اللاهوت بقسم الدراسات الخارجية جامعة برمنجهام، وجون هيك (J.Hick) أستاذ علم اللاهوت في جامعة برمنجهام. وليسلي هولدن (Leslie Houlden) أستاذ بكلية ريبون في كادستون، ودنيس نانيهام (Denis Nineham) في كلية كيبل بأكسفورد. وموريس وايلز (M.Wiles) أستاذ الألوهية والقانون الكنسي في أكسفورد ورئيس لجنة العقيدة في كنيسة انجلترا، وفرانسس يونج (F.Young) متخصصه في دراسات العهد الجديد بجامعة برمنجهام.

وما يكشف عنه هؤلاء العلماء أن المعطيات الواردة عن يسوع في العهد الجديد على أنه ابن الله هي خيالية أو شاعرية المنبت ولا يجب بأي حال من الأحوال أن تؤخذ حرفيًا. وأن يسوع لم يزعم أبدًا أنه ذو طبيعة إلهية. وأن فكرة تأليهه قد تمت صياغتها في القرن الأول للمسيحية تحت تأثير من الأفكار الوثنية. وأن يسوع لم يقم أبدًا بتعليم نظرية الثالوث أو أنه ابن الله المرسل إلى الأرض ليفدي أخطاء الإنسانية بموته.كما يجمعون على أن يسوع لم يكن مسيحيًا. ولاشك في أن مثل هذه الحقائق قد أحدثت صدمة عنيفة لدى كثير من الأتباع الذين يعبدون يسوع منذ طفولتهم، على أنه الله! (ص ٩-١٠ من المقدمة).

ومن أهم النقاط التي يتناولها البحث الأول وهو بعنوان: «المسيحية بلا تجسد» ثلاث نقاط لها ما يماثلها في العديد من الديانات السابقة، وهي الافخارستيا، وتجسد الإله، والحمل العذري - إضافة إلى عدم مصداقية الأناجيل أو معصوميتها من الخطأ. ومما يوضحه موريس وايلز في هذا البحث أن هذه الموضوعات ليست واردة في الأناجيل، خاصة فكرة التجسد، التي يؤكد أنها بُنيت بحيث تبدو وكأنها واردة بها. أما فرانسس يونج فتوضح كيفية نسج ما أصبح يسمى «بعبادة يسوع» (Christology) التي طغت تدريجيًا في الكنيسة، أو بفضل تحايلها، على عبادة الله، مشيرتاً إلى كيفية تدرج استخدام الألقاب التي أضيفت على يسوع وكيف أنها كانت مستخدمة في ديانات وثنية وغيرها بمعانٍ أخرى.

أما مايكل جولدر فيبدأ بحثه بنكتة يقول فيها: «منذ عدة سنوات، سألني أستاذ الفلسفة بالكلية التي أعمل بها، وهو يحب مداعبة علماء اللاهوت، قائلاً: هل سمعت عن البابا الذي قال له أحد الكرادلة أنه قد تم العثور على رفات يسوع في فلسطين، وأن كل علماء الآثار الكاثوليك قد أيّدوا الكشف بلا أدنى شك؟ فقال البابا: آه.. ماذا نحن فاعلون الآن؟ فأجابه الكردينال قائلاً: مازال أمامنا أمل واحد: يوجد عالم لاهوت بروتستانتي يعيش في أمريكا اسمه تيللش (Tillich)، لماذا لا تتصل به هاتفيًا؟ وتم الاتصال وشرح الموقف، وبعد فترة صمت طويلة، قال الصوت بعدها: أتعني قول أنه عاش فعلاً؟» (You mean to say he really existed?) (صفحة ٤٨). وأهم النقاط التي تناولها هي بدعة الثالوث «وأن يسوع، من المؤكد، أنه لم يفكر أبداً في أنه الأقنوم الثاني من الثالوث» (صفحة ٤٩).

وفي البحث الثاني الذي ساهم به في نفس هذا الكتاب، والذي يتحدث فيه عن جذور أسطورة المسيحية، يتحدث عن شخص اسمه سمعان، أيام كلوديوس قيصر، يعيش في روما ويقوم بأعمال سحرية بارعة وكان الأهالي يعتبرونه إلهًا، ويتعبدون إليه، (صفحة ٧٢)، بينما تتناول فرانسس يونج العديد من الشخصيات التي كانت تقوم بمعجزات مماثلة لما قام بها يسوع، خاصة أبوللونيوس الطواني. وهي مجموعة تتناثر على فترة ٩٠٠ عام من أفلاطون وميلاده العذري - كما يقال، إلى القديس أغسطين. موضحًا أنه أيام الإسكندر الأكبر كان الملوك والأباطرة يبجلون كالآلهة وينظر إليهم كآلهة متجسدة، ويعتبرون أنفسهم الإله زيوس ويصكّون ذلك على عملاتهم. وكانت تماثيلهم تقام في المعابد بجوار تماثيل الآلهة. وهو ما نراه أيضًا في آثار مصر القديمة التي نهلت منها الحضارة اليونانية والرومانية العديد من الطقوس التي انتقلت بعد ذلك إلى المسيحية.

ثم جعلها الهللينيون عبادة ذات أسرار وأصبحت قاصرة على نخبة يتم اختيارها بعناية فائقة بعد اجتياز محن واختبارات قاسية. وتتضمن هذه العبادة سبعة أسرار منها، أو من أهمها: التعميد، وسر المريون، والعشاء السرّي.. وفكرة العشاء السري هذه ناجمة عن عملية إحلال أو تبديل للضحية، فالمفروض فيها ذبح ثور.. ومع ارتفاع ثمنه وصعوبة تنفيذ هذا الطقس، جعلوا الخبز والنبيذ بدلاً عنه. وهو تقليد يعتمد على أن يشرب الراهب بضعة نقاط من دم الضحية التي يمتزج بالإله – وهو ما كان سائدًا أيام هيرودت.

ويوضح ڤان آشي أن الكنيسة قد أعادت شرح عملية تحول الخبز والنبيذ إلى لحم ودم المسيح أثناء عملية تقديسهما في القداس، استنادًا إلى الفلسفة القديمة القائلة بأن الإنسان مكوّن من جوهر ومظهر ووجود. وفي سر عملية التحول فإن الخبز والنبيذ لا يتغيرا شكلاً وإنما يتغيرا في الجوهر بحيث لا يصبح الخبز خبزًا ولا النبيذ نبيذًا وإنما لحم ودم المسيح فعلاً، مع التأكيد على أنه ليس رمزًا وإنما حقيقة فعلية لابد من الإيمان بها إيمانًا صارمًا.

ويوضح المؤلف كيف «استشرى المسيحيون في هدم كل النصوص المتعلقة بخصمهم الكبير الذي استقوا منه هذا الطقس، كما تم هدم كل الآثار الدالة على وجود عبادة ميثرا في إيطاليا».

وفي واقع الأمر، لم تكن فكرة أكل لحم الإله وشرب دمه قاصرة على الإله ميثرا وحده، وإنما نجدها في العبادات السرية الخاصة بالإله ديونزيوس، حيث كان المفترض أكل قطعة من لحم الثور أو الماعز نيئًا. وكان يتم شرب دم الإله في عبادة أتيس في المنطقة الغربية لآسيا الصغرى.

واللافت للنظر أن هذا الطقس الذي تم غرسه في الأناجيل، أي فيما يفترض بأنه في قلب اليهود، فهو يتنافى تمامًا. بل يتنافى إلى درجة المستحيل مع الشرع اليهودي الذي يحرّم شرب الدم تحريمًا قاطعًا، لذلك يرى العديد من الباحثين أنه لا يمكن تصور هذا الطقس في وسط يهود فلسطين الذين لا ينفرون فحسب من شرب الدم لتحريمه شرعًا، وإنما لمعرفتهم أيضًا أنه من الطقوس الوثنية.

ونطالع في «القاموس النقدي للاهوت» أنه «منذ القرن الثاني بدأت تظهر المعطيات الأساسية للاحتفال بالإفخارستيا الذي يتم يوم الأحد ويجمع بين الأسقف والاتباع. وقد انفصل بذلك عن مفهوم «عشاء المحبة» السائد عند اليهود. ومثلما تم تكوين نصوص

العهد الجديد في القرن الثاني، فقد تم في نفس الفترة أو بعد ذلك بقليل عمل مجمل التفاصيل الخاصة بالممارسات الطقسية والتي يرجع أساسها إلى الأب هيبوليت الروماني في الثلث الأول من القرن الثالث، وهو النص الذي يعد بمثابة الشاهد على التراث الواصل من الحواريين» (صفحة ٤٣١).

ونفهم من هذا النص أن عقيدة الإفخارستيا لم يستتب لها الأمر في العقود الأولى، التي تعدت القرنين، في محاولات فرض ونفور متتالية إذ نطالع في إنجيل يوحنا ما يؤكد هذا النفور العام من فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه، حينما يرد اليهود باندهاش وخاصموا بعضهم بعضًا قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله» (٦:٥٢)؟!

«فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحيّ وأنا حيّ بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي» (٥٣-٥٧). وكل ما استطاع تلاميذه أن يقولوه حول هذا الكلام الصعب هو «من يقدر أن يسمعه»؟!.

أي أن السمع، مجرد سمع مثل هذه العبارات كان غير محتمل لليهود الذين «تذمروا» - وفقًا لإنجيل يوحنا. ثم نطالع أنه «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه» (آية ٦٦) وقد حدث هذا التراجع وهذا الابتعاد والتذمر منذ أيام يسوع وفي مواجهته فما بالنا بعد انتقاله بأجيال وأجيال..

ويقول جيزافرمس (Geza Vermés): «في المجتمع الشديد التعلق بتحريم الدم الذي عاش فيه يسوع، فإن مجرد فكرة شرب دم إنسان لجعلت أي شخص يسمعها يشعر بالغثيان، وأياً كان الأمر، فحتى المسيحيين القادمين من الوثنية فقد سمح لهم بالامتناع عن شرب الدم» (تحقيق حول شخصية يسوع، صفحة ٢٦). ثم يستشهد المؤلف بما قاله يعقوب شقيق يسوع ورئيس الكنيسة الأولى حينما حدد قائلاً: «لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم، بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم» (اع ١٥:١٩).

ويقول ميشيل كوكيه (M.Coquet): «إن الإصرار على فرض فكرة أن الإفخارستيا تتحول فعلاً إلى دم ولحم المسيح كانت من أهم المصاعب التي واجهت المبشرين الجدد في الهند، إذ أن الهنود الذين تم تبشيرهم حديثًا كانوا يرفضونها ويتهمون المسيحيين بأنهم أكلة لحوم بشر» (**إزالة الوهم عن حياة يسوع**، صفحة ٣٢١).

وتواصلت المعارك والخلافات منذ أيام يسوع، كما يوضحه إنجيل يوحنا، حتى يومنا هذا، في إصرار غريب من جانب المؤسسة الكنسية لفرض فكرة التحول الحقيقي والفعلي للخبز والنبيذ إلى لحم ودم المسيح. وتفاوتت هذه المعارك والخلافات على مر العصور بين كل الكنائس المختلفة المشرب. ومنها ذلك الخلاف الذي وقع في أرض الفرنج في القرن التاسع، في أول صراع لاهوتي علني بين رسكاز راديير (Raschase Radbert) والراهب الأغسطيني راترامّ (Ratramm)، وذلك الصراع الواسع الأصداء الذي وقع في القرن الحادي عشر الذي تزعمه العالم بيرانجيه دي تور (١٩٩٩ - ١٠٨٨) (Béranger de Tours)، وهو من رجال الدين الذين أثاوا الزوابع بمحاولته التصدي لما تفرضه الكنيسة وإصرارها على تحول الخبز والنبيذ تحولاً فعليًا، قائلاً إن وجود المسيح هو وجود رمزي فقط، مرجحًا كفّة العقل على كفة اللاهوت.

فقام البابا ليون التاسع بحرمانه في سينودس روما في مطلع عام ١٠٥٠، وتلاقفته المجامع في محاولات متتالية لقمع إصراره الصارم، ووصل عددها إلى أربعة عشر مجمعًا انتهت بقيام الملك هنري الأول بالحكم بسجنه. إلا أن الخلاف الشديد والمنطقي الذي أوجده بيرانجيه بكتاباته ومناقشاته قد فتح الباب لدخول تيار العقلانية والمنطق ليواجه المؤسسة الكنسية بعد أن ظلت تفرض التعتيم لأكثر من ألف عام. وفي سينودس ١٠٩٠ أجبره البابا جريجوار السابع على التنكر لأعماله - وبذلك انضم اسم بيرانجيه إلى تلك القائمة التي ضمت أسماء العديد من العلماء والمفكرين ومنهم جاليليو وغيره.

وتفاوتت حدة الصراعات الرافضة للإفخارستيا بالمعنى الكنسي، ومنها ذلك العدد من المفكرين اللاهوتيين الذين أدى موقفهم إلى انشقاق الكنيسة وابتعاد البروتستانت واستقلالهم. ومن أشهر هؤلاء جان ڤيكليف (Jean Wyclif) الذي أدانه مجمع كونستانس (١٤١٤ - ١٤١٨) لأنه نادى بأن الخبز والنبيذ لا يتبدلان في القربان ولا يتحولان وأن المسيح لا يتواجد فعلاً بلحمه ودمه في القربان. كما قام المجمع بإدانة كل مؤلفاته وأعلن أنه كان من الهراطقة ومات في الهرطقة وأصر على موقفه، لذلك أمر المجمع «بإدانته ولعنه ومحو اسمه من الذاكرة ونبش قبره لإلقاء عظامه بعيدًا عن المدافن الكنسية» (**المجامع المسكونية**، جـ٢ صفحة ٨٥٩).

وإضافة إلى قمع المعترضين بكافة الوسائل، فقد لجأ صانعوا المسيحية إلى العديد من المجالات لمحاولة إقناع الرافضين من الأتباع سواء أكانوا من رجال الدين أو من المدنيين، ومنها محاولة اللجوء إلى علم النفس واستخدام عبارات جديدة. مثال أعمال

ماريون (Marion) في عام ١٩٨٢، أو اللجوء إلى مجال فلسفة اللغة لشرح وتثبيت فكرتها كما نطالع في أعمال لادريير (Ladrière) في عام ١٩٨٤.

وكانت آخر المحاولات المبذولة لتثبيت فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه أكلاً وشربًا فعليًا وحقيقيًا، ذلك العام الذي كرسه البابا الراحل يوحنا بولس الثاني في أكتوبر ٢٠٠٤ والذي انتهى بانعقاد السينودس الذي أقيم من ٢ إلى ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٥، وحضره ٢٥٦ أسقفًا من ١٨ بلدًا حول موضوع: «الإفخارستيا في الحياة والرسالة الحالية للكنيسة»، وترأسه البابا الجديد بنديكت السادس عشر، وقد تم اختيار هذا التاريخ، ٢٣ أكتوبر لإنهاء المؤتمر، ليتفق مع «اليوم العالمي للتبشير» الذي يمثل جانبًا أساسيًا من تلك العقيدة الإفخارستية.

وقد كان مجمع لاتران المنعقد سنة ١٢١٥ من أهم المجامع التي تصدت لكل الرافضين بأن أدخل فكرة الإفخارستيا في نفس نص عقيدة الإيمان لذلك المجمع، إذ تقول هذه الجزئية من النص: «وتوجد كنيسة عالمية واحدة فقط للأتباع وخارجًا عنها لا يمكن لأي شخص أن يُنقذ، ويعد المسيح وفقًا لها هو في آن واحد القس والضحية، وهو الذي يعد جسده ودمه في القربان المقدس للمذبح، وهما موجودان فعلاً في أعراض الخبز والنبيذ، الخبز بكونه قد تحول إلى الجسد والنبيذ إلى الدم بالقدرة الإلهية، لكي يتم سر الاتحاد، ونتلقى نحن منه ما تلقاه هو منا. وبكل تأكيد فإن هذا السر لا يمكن لأحد أن يقوم به إلا القسيس نفسه الذي أمر شرعًا وفقًا لسلطة مفاتيح الكنيسة التي أعطاها يسوع المسيح شخصيًا للحواريين وخلفائهم». (**المجامع المسكونية**، جـ٢ صفحة ٤٩٥).

أما مجمع ترانت الذي انعقد من ١٥١٤ إلى ١٥٦٢، فقد خص دورته الثالثة عشرة المنعقدة في ١١ أكتوبر ١٥٥١، «لشرح العقيدة القديمة والحقيقة حول عقيدة الإيمان والأسرار ولمعالجة كل الهرطقات وكل الخسائر الشديدة الفادحة الأخرى التي تعكر اليوم صفاء كنيسة الله بكل أسف وتقسمها إلى أجزاء متعددة ومختلفة. ويرمي المجمع منذ البداية إلى إقتلاع الأخطاء التالفة من جذورها وكذلك الانقسامات الممقوتة التي بذرها العدو، في زماننا هذا، في عقيدة الإيمان في استخدام وطقس الإفخارستيا، تلك التي تركها لنا منقذنا في كنيسته كرمز لتلك الوحدة وذلك الحب الذي أراده أن يجمع بين المسيحيين فيما بينهم، لذلك فإن نفس هذا المجمع وهو ينقل العقيدة السليمة والأصلية المتعلقة بذلك الطقس المبجل والإلهي الذي هو الإفخارستيا، فإن الكنيسة الكاثوليكية التي علّمها يسوع المسيح شخصيًا كما علمها الحواريون وعلمها الروح

القدس وهو يذكرها يوم بيوم الحقيقة الكاملة، قد حافظت دومًا وسوف تحافظ إلى آخر الدهر عليها، وتمنع أي مسيحي من أنه يتجرأ على الاعتقاد أوتعليم أو قول أي شيء منذ الآن حول الإفخارستيا الشديدة القداسة، يكون مخالفًا لما هو مشروع ومحدد في هذا القرار».

وبعد دراسة امتدت على ثمانية فصول، وكل فصل منها يتناول جزئية معينة لهذه العقيدة، تقول الوثائق في الفصل الأول: «أولاً، أن المجمع المقدس يحيط علمًا ويجاهر علنًا وبلا أية موارية أنه في الطقس المبجل للإفخارستيا وبعد تكريس الخبز والنبيذ، فإن ربنا يسوع المسيح، الإله الحقيقي والإنسان الحقيقي، يوجد فعلاً وجوهريًا تحت شكل هذه الأشياء الملموسة (...) لذلك فمن الفضيحة الأكثر إهانة أن نرى بعض المشاغبين المنحرفين يقولون إنها وجود خيالي أو رمزي وينكرون بذلك حقيقة لحم المسيح ودمه»، وفي الفصل الثالث نطالع: «أن المسيح موجود بها كلية وبكامله داخل الخبز والنبيذ»، والكنيسة تطلق على هذه العملية «التحول الفعلي الحقيقي»، وبعد هذه الفصول الثمانية أصدرت أحد عشر قرارًا يدين ويحرم ويلعن كل من لا يؤمن إيمانًا قاطعًا بأنه يأكل لحم المسيح أكلاً ويشرب دمه شربًا» (**المجامع المسكونية**، جـ٢ صفحة ١٤١١ وما بعدها).

ومن الواضح أن الإصرار على فرض هذه العقيدة هي عملية تبرير لضرورة وجود طبقة القساوسة، التي هي وحدها تمتلك سر تحويل الخبز والنبيذ «بقدرتهم السرية» إلى لحم ودم المسيح الذي يتعيّن على الأتباع أكله وشربه وإلا لا يحصلون على الخلاص!.

وكانت الإفخارستيا أو القربان المقدس في بادئ الأمر عادة من العادات اليهودية قاصرة على تقاسم المآكل والمشرب في وليمة عيد الفصح للمباركة. وتحولت دلالتها في المسيحية لتعبر عن «العهد الجديد» الذي يمثله «فداء المسيح وتضحيته بدمه وجسمه من أجل مغفرة الخطايا». وتختلف الأناجيل كالمعتاد في توقيت هذا الاحتفال، إذ تضعه الأناجيل المتواترة في اليوم الأول من الفطير، أي عشية عيد الفصح، بينما يقول يوحنا أن يسوع قد ذُبح في اللحظة التي يُذبح فيها خروف الفصح، وبذلك تم العهد الجديد الذي يربط بينه وبين الأتباع بدمه ولحمه ووفاته وبعثه بذبحه بدلاً من الحَمَل.

ويقول إنجيل متى: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزًا وبارك وكسر وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي. ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم، وقال لهم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين» (١٤: ٢٢-٢٤).

ويقول لوقا: «ثم تناول كأسًا وشكر وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله، وأخذ خبزًا وشكر وكسّر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضًا بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» (٢٢: ١٧-٢٠). ومن الواضح من ذكر الكأس مرتين إنها إضافة تمت دون مراعاة اتساق الحديث.

أما يوحنا فقد أغفل هذا الركن الأساسي، وأورد واقعة غسل يسوع لأقدام الحواريين التي لا ترد في أي إنجيل آخر من الأناجيل المتواترة. الأمر الذي يثير عدة تساؤلات أولاً من حيث الإفخارستيا نفسها هل تكون بلحم ودم المسيح أم بغسل الأقدام؟! وأي الحواريين أصدق في قوله؟!.

وبغض الطرف عن أن قصة العشاء الأخير تذخر بالمتناقضات بين الأناجيل الأربعة، فإن الجزئية الخاصة باللحم والدم تتفاوت أيضًا. فإن كان الخبز لدى متى ومرقس يعني «هذا هو جسدي»، فإن لوقا يضيف قائلاً: «هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم» والكلام هنا موجه للحواريين فحسب. أما الدم فيقول متى: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» ونلاحظ هنا أن عبارة «كثيرين» تعني تحديداً لعدد معين من الناس، وليس «لكافة البشر» كما حرّفها المحرّفون. أما مرقس فقد حذف أو لم يذكر أنها «لمغفرة الخطايا» - وكأن كل واحد منهم يحدد معناها وفقًا لهواه.

أما لوقا فيتحدث عن دورتين لشرب الكأس، وفي المرة الثانية يقول: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» والكلام أساسًا يدور بين يسوع والحواريين، وطوال هذا الإصحاح تحديداً الكلام موجه لهم، للحواريين، وذلك يعني أن هذا العهد الجديد وهذا الدم الذي يسفك، يسفك من أجل الحواريين فقط، وليس من أجل «كثيرين» ومن باب أولى ليس من أجل البشرية - كما يزعمون لتنصير العالم - وذلك إن كان يسوع قد قاله حقًا، إذ أن العديد من العلماء حاليًا يرون أنها عبارات «وُضعت على لسان يسوع» والدليل على هذه الإضافات تلك الجملة المبتورة الأولى والواردة في فقرة لوقا، ومنهم العالم الفرنسي شارل جينيبير (Charles Guignebert) وكتابه عن «يسوع».

فوفقًا لما تقوله الأناجيل، فإن يسوع قد قال بعض العبارات استقى منها واضعو العقائد استنتاجات شديدة الأهمية، إذ أنهم لم يروا بها تأسيسًا لعقيدة الإفخارستيا

فحسب، وإنما استقوا منها تبريرًا لعقيدة الفداء بالتحوّل الحقيقي للخبز والنبيذ إلى لحم ودم المسيح ووجوده الفعلي بهما.

وأول ما يلاحظه شارل جينيوبير هو أن يسوع لم يكن يعلم أن ذلك العشاء هو العشاء الأخير في حياته. وأن نص لوقا، كما هو وارد فيما يعرف بالأصول القديمة، يقف عند «هذا جسدي»، أي أنه لا يوجد به ذكر الكأس الثاني ولا الإشارة إلى العهد الجديد الممثل في الدم (صفحة ٤٥٥). بل إن ترتيب الآيات به يختلف. لذلك يؤكد «أن كل النصوص التراثية القديمة لإنجيل لوقا ليست مؤكدة وأن المسيحيين القدامى الذين رتبوا هذه النصوص لأغراضهم الشخصية لم يتصوروا أنه نص مقدس، وأنه ببساطة يكمّل مرقس ومتى (...) وأن هذا العشاء يعتمد على تقاسم الخبز كتقليد يهودي ولا يوجد به أصلاً أي ذكر لكأس ولا لأي كلمة يشتم منها أية علاقة لهذا الطقس مع شخص أوحتى ذكرى يسوع» (صفحات ٤٥- ٤٥٧) أي أنها مجرد تقليد يهودي يشير إلى الأخوة في تقاسم الطعام لا أكثر ولا أقل.

لذلك تراه يؤكد أنه «لا يوجد أي سبب يجعلنا نرى أن العشاء الأخير يمثل أمرًا من يسوع أو أنه يرمز لوفاة الرب ولا أنه يقيم بين الندماء أية مشاركة مع الرب من خلال لحمه ودمه» (صفحة ٤٥٧). ثم يستشهد جينيوبير بالديدكة (Didachée) التي تعد بمثابة دليل بالنسبة للطقوس المسيحية فيقول: «لا توجد أي كلمة عن أن يسوع قد أقام تقليدًا ولا أية علاقة أقيمت بين الطقس والجسد والدم والوفاة أو شخص يسوع».

ويجمع العديد من العلماء اليوم على أن بولس هو الذي بدأ ووضع بدعة الكأس ودم المسيح. فالثابت تاريخيًا أن النصوص التي كتبها أو تلك التي تنسب إليه أقدم بكثير من نصوص الأناجيل، وأن وضعها - في الطباعة - بعد نصوص الأناجيل مقصود منه أن يتشرب الأتباع ما تمت صياغته من الأناجيل من معلومات أولاً. ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد» (١٠: ١٦-١٧). ومن يطالع باقي الآيات حتى الآية ٢٢ يرى كيف تم التحويل من الوثنية واليهودية إلى مسيحية بولس.

ثم يقول بولس في نفس الرسالة، في الإصحاح الحادي عشر: «لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضًا أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكرى كذلك الكأس

أيضًا بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (٢٣-٢٥) وما بعدها.. فكيف ومتى تسلم ذلك وهو لم ير يسوع؟.

لذلك يؤكد جينيوبير وغيره على أنه «لا يوجد أي شيء، لا يوجد أي شيء مطلقًا يجعلنا نتخيل أن الجيل الأول للأتباع المباشرين قد فسروا وفاة المعلم بهذا الشكل» (صفحة ٤٦٢). فالعهد الجديد بدم المسيح يقطع الصلة تمامًا باليهود وبالعهد القديم - وهو ما يتنافى مع فكر يسوع القائل بأنه لم يأت ليلغي الناموس وإنما ليكمل (متى ٥:١٧). وفي حقيقة الأمر لم يكن يسوع يرمي إلى عمل أي عهد جديد وإنما كان ينتظر ويبشر بملكوت الرب - ذلك الملكوت الذي كان وشيك الحدوث في حياة الجيل الذي كان يخاطبه..

ومن المنطقي أن ثمة تغييراً قد حدث في المجتمع آنذاك، وأن بولس قد استقى فكرة الإفخارستيا من الأوساط الهللينية التي عاش فيها، فهي أشبه ما تكون بعملية إدخال جزء من الوثنية في المسيحية الأولى. فتناول أكل وشرب لحم ودم الإله هي الفكرة السائدة آنذاك والمزدهرة في الديانات ذات الأسرار المنتشرة في العالم الهلليني، ومنها عقيدة الأم الكبرى،وأتيس، وميثرا، وبعل في سوريا، وآلهة مصر القديمة، وكلها تتضمن ولائم مقدسة بها فكرة ارتباط الأتباع بآلهتهم. ومن المؤكد أن بولس كان يعرف هذه الأساطير وعبادات الخلاص، خاصة عبادة أتيس التي يلعب فيها رمز الدم دورًا كبيرًا. بدليل أنه يحذر أهل كورنثوس في رسالته الأولى قائلاً: «إن الوثن شيء أو أن ما ذبح للوثن شيء. بل إن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء للشياطين» (١٠: ١٩-٢٠).

فلقد كانت من الأفكار السائدة في الحضارات القديمة أن الدم المشروب الذي تحول بعد ذلك إلى مجرد رش الدم، يمنح الأتباع نفس صفات صاحب الدم. ومن الواضح أن الدم يحتل مساحة بارزة في أقوال بولس ورسائله، علمًا بأن وفاة يسوع، كما يقولون، لم تكن دامية، وإنجيل يوحنا - وهو آخر ما كتب من الأناجيل، هو وحده الذي أضاف ضربة الحربة التي بفتحها جنب المصلوب «قد أسالت دم الإفخارستيا ومياه التعميد»..

ومن المعروف والسائد أيضًا أن كل الآلهة في العبادات ذات الأسرار كان لها شفيعها ومنقذها، وأن الأتباع كانت تحاول أن تتمثل بها لتصل إلى الخلود. وذلك هو ما أضفاه بولس على رسالة يسوع وطقس الإفخارستيا والتعميد.. لذلك يؤكد جينيوبير في كتابه

ويبدأ بول لافرج دراسته بتأكيد أن هذه الأسطورة لا توجد في ديانات أهم شعوب البحر الأبيض المتوسط فحسب، وإنما لدى معظم الشعوب. وبعد تقديم دقيق وعرض لكيفية تكوين الأسطورة اجتماعيًا وتاريخيًا في مختلف الحضارات، مستشهدًا بالمؤرخين القدامى من أمثال هيرودوت وبلوتارك، ينتقل في الفصل الثالث إلى المسيحية قائلاً: «إن الديانة الجديدة التي أصبحت تسمى المسيحية، تكونت بأساطير كل الشعوب المنهزمة والمختلطة أيام السيطرة الرومانية. مستعينة بكل رموزها. ولأن الديانة المسيحية كانت خليطًا مشوّهًا من الأساطير الشائعة آنذاك أمكنها أن تنفذ في شعوب مختلفة.

«ففي القرون الأولى كان من الصعب التمييز بين المسيحيين وأتباع العبادات الأخرى التي امتصت أساطيرها. لذلك كتب الإمبراطور هدريان إلى أحد الحكام التابعين له قائلاً: «في مصر، التي كنت تمتدحها لي، يقال إن من يعبدون الإله سيرابيس هم المسيحيون، وإن الأساقفة المسيحيين مخلصون لسيرابيس. وعند وصول أحد الأباطرة في مصر، قال البعض إنه يعبد سيرابيس، بينما قال البعض الآخر إنه يعبد المسيح (...) أن أسطورة الحمل بلا دنس إذن ليست اختراعًا للقرن الأول من المسيحية، وإنما أسطورة من أقدم الأساطير».

أما چاك دوكين، فيوضح في كتابه الصادر في أكتوبر ٢٠٠٥ بعنوان: «**الله رغم كل شيء**»، أن يسوع مجرد إنسان من لحم ودم، وإن الله شيء آخر، خالق الكون وكل ما به (...) وأن المؤسسة الكنسية قد قامت بفرض أفكار ساذجة وعادة ما تكون خطأ، ومازالت حتى يومنا هذا تتحدث عن التضحية والفداء في القداس، وأن ما تقوله يشوه الله (...) وقد اختلقت عقيدة الخطيئة الأولى التي أقرها وفرضها مجمع ترانت سنة ١٥٤٦ لتجعل البشر ونسله مسؤولين عن تلك الخطيئة.. أن المسيح ليس وسيطًا للبشر وإنما مجرد إنسان (...) إنني ألوم القيادة الكنسية لإصدار عقائد هي عبارة عن قرارات سلطوية إذ يقول: «إن البابا والأساقفة، الملهمون إلهيًا، قد قرروا كذا وكذا.. «إن ما أطلبه من هذه المؤسسة ألا تقول كل شيء وعكسه ففي سنة ١٩٨٠، بينما كان جوزيف راتزنجر ما يزال يرأس لجنة عقيدة الإيمان التي كانت تسمى محاكم التفتيش سابقًا، قد انتقد مسألة الخطيئة الأولى التي أضرّت بالكنيسة الكاثوليكية. ورغم ذلك فقد أصدر الكتاب الخاص بالتعليم الديني سنة ١٩٩٢ حيث يعيد تأكيد وترسيخ هذه العقيدة!.

الملاحظ أنه لم يظهر لأمه مريم أو إن اسمها غير وارد بين تلك النسوة. إضافة إلى بعض الحواريين، سواء فرادى أو جماعة.

كما لا نعلم شيئًا عن كيفية ظهوره، فهو يمنع مريم المجدلية من أن تمسه (يوحنا: ٢٠:١٧) بينما يطلب من توما أن يجسه. (يوحنا ٢٠:٢٧). وإن أمكن القول أنه دخل الغرفة المغلقة وسط حوارييه، متسللا كروح من خلال الجدران، وذلك لا يتمشى مع الطعام الذي راح يأكله معهم!

وما يثير الريبة في مصداقية هذه النصوص أن بولس، الذي لم ير يسوع أثناء حياته، والذي لم يقل له الحواريون شيئًا عنه، نراه يعرف أكثر منهم! ففي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول: «فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا ثم للإثنى عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين» (٣-٨).

والغريب هنا أن بولس لا يقول ممن تسلم ما يعرفه ويعيد قوله للغير ويذكر الإثنى عشر حواريًا غافلاً أو متناسيًا أو جاهلاً أنهم قد أصبحوا أحد عشر بعد موت يهوذا أو انتحاره! ويقول جي فو (Guy Fau)، الرئيس السابق لجمعية إرنست رينان، إن بولس لا يمكنه أن يقول مثل هذا الكلام، وإن اجتماعًا مكوّن من خمسمائة تابع ظهر لهم يسوع لا يمكن أن يكون كاتبو الأناجيل يجهلونه أو أن أي واحد منهم الأربعة لم يعلم بالواقعة ولم يشر إليها.

لذلك يؤكد جي فو أنه لا يمكن النظر إلى قيام يسوع كحدث تاريخي ثابت بالأدلة والمستندات مضيفًا: «إن مسألة قيامه لم تكن تمثل مشكلة عندما لم يكن يسوع سوى كائن سماوي غير متجسد - مثله مثل باقي الآلهة الأسطورية - فكونه روحًا غير فانية وغير متجسدة، لم يكن عليه أن يبعث.. إن المسيحيين الرومان هم الذين زوّدوا يسوع بميلاد جسدي، جاعلينه رجلاً حقيقيًا، وبذلك أقاموا المشكلة: إذ كان لابد من قتله لقيامه بين الأموات. لقد كانت لديهم الأساطير الهللينية السابقة أو الغنوصية، إلا أن ما من إله من تلك الآلهة قد تم تقديمه للناس على أنه إنسان، إن عملية أنسنة يسوع هي التي أدت إلى خرافة قيامه البعثية» (**المسيحية بلا يسوع**).

وينهي جي فو هذا الفصل موضحًا استحالة القيام بعد موت امتد ثلاثة أيام كما يقولون، إذ يقول: «**إذا أمكن الإيمان بقيام الأجساد وبعثها جسديًا، فإن بعث المخ سوف يمثل أكبر مشكلة، فالإنسان بلا عقل، وبلا ذاكرة، وبلا فكر يفتقد كل ما يمكنه أن يجذبنا إليه. كما أن بعث خلايا المخ مستحيل تمامًا لأن تلك الخلايا هي الخلايا الوحيدة التي لا تتجدد أثناء حياة الإنسان الأرضية، وتلفها يعد نهائيًا. ولا يوجد أي طبيب يمكنه أن يعتقد في بعث العقل، وإذا ما أكد ذلك فهو واقع تحت وهم مؤكد**» (صفحة ١٥١).

أما ميشيل كوكيه (M.Coquet)، وهو من رجال الكنيسة، فيقول بوضوح: «بالنسبة للبعث، الذي نضعه من ضمن الاختراعات الكنيسة المتعددة، فنذكر أنه حتى عام ٣٦٢ كان المسيحيون مازالوا يعبدون جسد يسوع بالقرب من سباسطة في السامرة. وهو ما يثبت أن الكنيسة لم تكن قد اخترعت بعد عقيدة البعث ولم تستتب هذه ا لعقيدة إلا عندما اخترعت الكنيسة قصة البعث والصعود بالجسد. فلم يرد أول ذكر لها إلا في مطلع القرن الخامس عندما قام كل من يوحنا كريزوستوم وأغسطين مدعين أن لها أصل رسولي» («**كشف أسطورة يسوع**» صفحة ٣٥٨).

وفي كتاب بعنوان «**عن الحقيقة في تاريخ المسيحية**» وبعنوان فرعي هو: «رسائل من علماني حول يسوع» صادر في باريس سنة ١٨٦٦، بقلم الباحث شارل رويل (Charles Ruelle)، أربعة أبحاث متفرقة الموضوعات وإن كان الخط المشترك بينها هو دراسات في المسيحية، يتناول الفصل الثالث موضوع: «بعث يسوع وفقًا للوثائق» والبعث يمثل ركنًا أساسيًا من المسيحية، بل لقد أوردنا ما قاله أحد أساتذة التاريخ في السوربون «لا يمكن محو بعث يسوع من الأناجيل دون أن يتهدم كل شيء»! ثم يستطرد شارل رويل قائلاً موضحًا أن هدفه ليس هدم المسيحية: «لكنني اكتفي بسؤال القارئ والأدلة بين يديه، إن كان بعث يسوع كما هو وارد في الأناجيل يمكن اعتباره حدثًا تاريخيًا؟» (صفحة ١٤٩).

ويبدأ هذا الفصل من الكتاب بنقل كل الأجزاء الواردة في الأناجيل، ثم يقوم باستخراج الوقائع، ثم يحللها تحليلاً علميًا «بعيدًا عن أي انفعال أو مبالغة»، وفيما يلي بيانات هذه الأجزاء، ويمكن للقارئ متابعتها في أي إنجيل، وإن كان رويل قد استعان بترجمة لومتر ساسي (Lemaistre Sacy)، وهي: متى (٢٨: ١-٢٠)، مرقس (١٦: ١-٢٠)، لوقا: (٢٤: ١-٥٣)، يوحنا (٢٠: ١-٣١)، و(٢١: ١-٢٥)أع (١: ١-١٢)١ كورنثوس (١٥: ١-٨)، أع (٩: ١-٩)،٢ كورنثوس (١٢: ١-٤) وقد حدد الترجمة التي استعان بها لعلمه بأن النص يتغير ويتبدّل من طبعة إلى أخرى.

يقال أن تم ظهوره ولم يذكر اسم أي حواري ولا يقال في ظهوره هذا للأحد عشر حواري أنه ظهر لغيرهم. والأحد عشر حواري لم يصدقوا ما قالته مريم المجدلية ولا التلميذان ولا يوجد ما يشير إلى أنهم ذهبوا إلى الجليل. ولا يقال أين كان يسوع بعد هذا الظهور الذي سيرتفع بعده إلى السماء. ولا يقال أين وقع هذا الحدث أو أن الحواريين قد خرجوا من غرفة الطعام ولا أن كان تلامذة آخرون قد شهدوا صعوده إلى السماء. أما عن التعليمات التي أعطاها يسوع في ظهوره الوحيد للأحد عشر حواري فكانت موجهة للجميع بلا استثناء».

وهنا لابد من وقفة إذ أن شارل رويل يقول في الهامش رقم ١ صفحة ٩٧ أن كلمة «ارتفع إلى السماء»: Ascension ترد في الفولجات (النص الرسمي للعهد الجديد الذي صاغه القديس چيروم) Assumptus est in coelum. ونفس العبارة ترد في أعمال الرسل (٢:١). أما في أعمال الرسل (١١:١) و(٢٢:١) فهي Assumptus est أي بدون كلمة «في السماء». أي أنه في آية «ارتفع إلى السماء» وفي الأخرى: «ارتفع» فقط. إلا أنه يشير إلى عملية تحريف كلمة وإحلال كلمة أخرى مكانها.

والفرق جد شديد بين العبارتين إذ أن Ascension لغة تعني صعود يسوع إلى السماء أو أي تعبير عن الطلوع. أما كلمة Assomption (والنطق متقارب) فهي تعني: اضطلع، تقلد، تحمل إلخ. لذلك يشير رويل قائلاً: «إن النص شديد الوضوح في «الفولجات» وتكرر أربع مرات والذي نخرج منه بفارق أساس بين العبارتين. كما أن إنجيل لوقا (٥١:٩) يقول "Dum complerentur dies assumptionis ejus" وتعني «وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم»! وما أكثر اللعب بالألفاظ.

تلخيص وقائع ظهور المسيح في إنجيل مرقس:

يقول إنجيل مرقس أن يسوع قد ظهر ثلاث مرات بعد بعثه: لسيدة بمفردها، ولإثنين من الحواريين، وللأحد عشر حواري. وظهوره لمريم المجدلية لا يتضمن أية إشارة إلى زمان أو مكان، ونفس الشيء بالنسبة للحواريَّيْن. وظهوره للحواريين الأحد عشر بينما كانوا حول المائدة بلا ذكر زمان أو مكان. وفي هذا الظهور الأخير لا يذكر اسم أي حواري ولا عن مشاعرهم وإن يقول يسوع نفس التعليمات التي يقال في إنجيل متى أنه أعطاها لهم على جبل في الجليل. وفي هذا الإنجيل هذه التعليمات تسبق صعود يسوع مباشرة. ولا يوجد في إنجيل متى ومرقس سوى الإشارة إلى أن

يسوع ظهر مرة واحدة للأحد عشر حواري مجتمعين وكان هذا آخر ظهور له. ولا يقال هنا في أي بلد كانت - على عكس متى. وبالتالي لا يقال في أي بلد أو مكان تم رفع يسوع: هل كان علي جبل في الجليل كما يبدو في متىّ، أو في القدس، أو بالقرب منها كما سنرى في لوقا (١٤: ٥٠-٥٣) وفي أعمال الرسل (١: ٩-١٢) التي يقال إنها لنفس الكاتب.

إنجيل لوقا (١٤: ١-٥٣)

تذهب السيدات إلى القبر في نفس اليوم ونفس الساعة، لا لرؤية القبر فحسب كما في متى، ويحضرن الحنوط ولا يتوقعن بعثه. وهن عدد من السيدات ومعهن أناس، وليست سيدة واحدة كما في متّى، أو سيدتان كما في مرقس. وقد ذكرت أسماء ثلاثة منهن لكنها أسماء تختلف عن تلك التي ذكرها مرقس إذ ذكر يونّا بدلاً من سالومي. ولم يذكرن أي زلزلة ولا نزول ملاك من السماء ووجدن الحجر مُزاحًا. ولم يرين - كما في مرقس - شابًا يرتدي ثيابًا بيضاء ويجلس على يمين القبر ولا - كما يقول متّى - ملاك جالس على الحجر المدحرج وإنما ظهور رجلان فجاة بثيابت بّراقة ولا يُذكر أين كانا ولا يذكر أن يسوع سيسبق الحواريين إلى الجليل، ولا أن التلاميذ سيرون يسوع، ولا ما هو مصيرهما بعد أن تحدثا إلى السيدات. ولا ذكر هنا لحرس ولا للكذبة المتفق عليها والتي قصها رؤساء الكهنة والشيوخ، ولا عن ظهور يسوع لمريم المجدلية، وقد قيل إنها أول ظهور ليسوع وفقًا لمرقس. كما لا يرد ذكر ظهوره للمريمتين كما في متّى. والسيدات لسن صامتات كمافي مرقس، وقد تم إخبار الحواريين بكل ما رأين وسمعن على عكس مرقس حيث لا يقلن شيئًا. تلميذ واحد فقط يذهب وحده إلى القبر. وهو ما لم يذكره متى ولا مرقس، وهذا التلميذ هو بطرس ولا يرى الرجلان اللذان يظهرا للسيدات، ويلحظ، من الخارج، أن يسوع اسم واحد من الحوارييّن: كليوباس، ولا يقال بماذا يتجه تلميذان إلى عمواس ولا أين كان يسوع قبل أن يلقاهما. وقد سار يسوع طويلاً دون أن يتعرفا عليه حتى اختفى. ولا يقال ما وقع له بعد هذا الاختفاء ولا وقع ذلك على الحواريين. وقد يبدو أن هذا الظهور هو ما أشار إليه مرقس قائلاً: «في هيئة أخرى» وإن كان باقي التلاميذ لا يصدقون ما رواه هذان التلميذان، ولا إشارة في إنجيل لوقا عن أن الحواريين لم يصدقوهما، بينما نراهم قد أقروا بعث يسوع قبل أن يسمعوا القصة!

بجوار القبر، ولا إشارة بأنها التقت ببطرس ويوحنا. بينما هي تحت نفس التأثير من أن جسم يسوع قد سرق. ولم نعد في الصباح الباكر ولم يظهر الملاكان إلا فيما بعد ويسألانها، ولا يكشفان لها عن شيء. وفي إنجيل يوحنا يسوع يظهر لامرأة واحدة وليس لاثنتين كما هو وارد في إنجيل متى. وعندما ظهر يسوع وفقًا لإنجيل متى للسيدتين وإحداهما مريم المجدلية، يكلفهما بتأكيد أن تبلغا التلاميذ للذهاب إلى الجليل حيث سيرونه. وفي إنجيل يوحنا يكتفي بأن يقول بأنه صاعد إلى أبيه وأبيهم، إلى ربه وربهم. وقبل ذلك بقليل عندما حاولت مريم المجدلية تقبيل أقدامه منعها قائلاً بأنه لم يصعد بعد إلى أبيه. وتذكّر هذه العبارات تلك التي توجد في الأناجيل تعبيرًا عن الترابط الروحي التي يزخر بها إنجيل يوحنا: التلاميذ في ترابط واحد مع يسوع، وهو واحد مع أبيه، أي «نفس الترابط مع الله ومع يسوع ومع إخوته» كما يوضح يسوع لمريم المجدلية. كما أن يوحنا لا يتحدث عن الملاكان بثيابهما البيضاء.

كما نعلم من إنجيل يوحنا أن الحواريين تلقوا أمر الذهاب إلى الجليل كما في متى ومرقس ونراهم مجتمعين في مكان ما وكل ما نعلمه عنه أن الأبواب مغلقة، ولا نعرف كيف دخل يسوع من الأبواب المغلقة ولا أين كان قبل ذلك، واليوم محدد بيوم البعث مساءً. وإذا ما رجعنا لإنجيل لوقا نجد أن يسوع في ذلك المساء: أولاً، موجود في ضاحية عماوس، ثانيًا: وبعد عودة التلميذين، في القدس، تراه وسط الحواريين وقد فزعوا لوجوده ويأكل معهم.

أما في إنجيل يوحنا فلا أحد يفزع من ظهوره وليس بحاجة إلى الأكل معهم ليقنعهم ويكتفي بأن يريهم يديه وجنبه. ولا نعرف من هذا الإنجيل إنهم تناقشوا حول بعث يسوع أو أنه قد ظهر لسمعان، أو أنه ظهر بعد عودة التلميذين من عماوس ولا أنه ظهر للتلميذين. وفي إنجيل لوقا لم يتم تحديد أن أبواب الغرفة التي التقوا فيها كانت مغلقة، أو عن خشية الحواريين من اليهود. والمهمة التي يضيفها يسوع على الحواريين عند أول ظهور له للحواريين، في إنجيل يوحنا، هي التي ينتهي بها اللقاء في الأناجيل الثلاثة الأخرى. وعلى عكس طلبه منهم بأن يظلوا في القدس ليحصلوا على بركاته كما في إنجيل لوقا، تراه في إنجيل يوحنا نفخ عليهم ليتلقوا الروح القدس فورًا. ولا نعرف شيئًا عن يسوع بعد أن جعلهم يقبلون الروح القدس.

وهناك ظهور ثان في إنجيل يوحنا بعد ثمانية أيام من الظهور الأول ولا يتحدث عنه أي إنجيل من الثلاثة الآخرين. وهو ظهور في نفس المكان، الأمر الذي يوضح أن

الحواريين لم يغادروا القدس. ولا نعلم شيئًا عن يسوع بين المرتين اللتين ظهر فيهما، ولا نعرف أيضًا كيف دخل هذه المرة والأبوب مغلقة. ولم يوجه أي لوم لتوما واكتفى بالرد على كلامه عندما قال له الحواريون إنهم رأوا يسوع. وبإعادة الكلام الذي قاله توما في غيابه ولم يجرؤ الحواريون إبلاغه ليسوع، صاح توما قائلاً: «ربي والهي» وقام يسوع بتهنئته! ولا نعرف ما الذي حدث ليسوع بعد أن هنأ توما ولا إن كان توما قد تلقى الروح القدس. وفي كل أعمال يسوع التي ذكرت بعد بعثه تتم أمام تلاميذه.

أما في الإصحاح ٢١، فيقول شارل رويل إنه يبدو وكأنه قد أضيف كتكملة للإصحاح السابق، ونرى اختيار بطرس كراع للغنم تبشيريًا. ونلاحظ أن هذه المهمة أسندت إلى أكثر من يحب يسوع، وكل التوجيهات التي قالها يسوع لراعي الغنم هي عبارة واحدة: اتبعني. وينقلنا هذا الإصحاح إلى الجليل على شاطئ بحيرة طبرية. ولا نعلم لماذا أتى الحواريون السبعة ولا كيف، كما لا نعلم شيئًا على الشاطئ ولا نعلم أين كان قبل ذلك. والحواريون السبعة يرونه ولا يتعرفوا عليه، ويحدثهم ولا يعرفونه إلا عندما تمتلئ الشباك بالأسماك، فيكون يوحنا أول من يتعرف عليه. وكثيرًا من ملابسات هذا الجزء شبيه بنفس القصة الواردة في إنجيل لوقا (٥: ١-١١) لكن في ملابسات أخرى. ثم نرى يسوع يترأس وجبة الحواريين السبعة دون أن نعلم إن كان قد أكل معهم، ولا ما الذي حدث له بعد إجابته على سؤال بطرس، ولا ما الذي ألمّ بالحواريين بعد ذلك. وغير وارد في الإصحاح ٢١ أن الحواريين الأحد عشر التقوا معًا في القدس ولا إن كانوا قد رأوا يسوع فيها ولا إن كان قد اصطحبهم خارجها على مقربة منها ليصعد إلى السماء أمامهم ويترك هذا الإصاح القارئ في الجليل، مثل إنجيل متى، لكن ليس على جبل من جبالها، ولكن على شاطئ البحيرة، مع سبعة من الحواريين وليس مع الأحد عشر. كما لا نعرف من يوحنا أين افترق يسوع عن تلاميذه ولا كيف، بل يحتفظ هذا الإنجيل بنفس الصمت الوارد في الإصحاح ٢٨ من إنجيل متى.

إن ظهور يسوع في الجليل، على شاطئ البحيرة، لسبعة من الحواريين كما هو منصوص في يوحنا (٢١: ١٤) على أنها ثالث مرة يظهر فيها يسوع لتلاميذه منذ البعث، لا علاقة له بظهور يسوع في الجليل على جبل حيث كان قد أمر الحواريين بالذهاب ليروه (متي ٢٨: ١٦-١٧) والحواريون السبعة الذين في الجليل لم يتلقوا أمرًا للذهاب إليها، وفقًا ليوحنا، فهم لم يذهبوا إلى هناك لرؤية يسوع الذي لم يكونوا ينتظرونه. ولا يقال إن كان هؤلاء التلاميذ السبعة قد عادوا من الجليل إلى القدس أو أنهم قد

شاهدوا صعوده. ما من إنجيل يشير إلى هذا الظهور الثالث ليسوع والذي تم، وفقًا ليوحنا، من أجل تلاميذ سبعة وعلى شاطئ بحيرة طبرية.

تلخيص وقائع ظهور المسيح في إنجيل يوحنا:

يورد إنجيل يوحنا أن يسوع قد ظهر أربع مرات: من جهة، واحدة لمريم المجدلية عند القبر يوم البعث ولكن ليس عند زيارتها الأولى للمقبرة. ومن جهة أخرى ثلاث مرات للحواريين: واحدة يوم البعث مساءً وصبيحة يوم السبت بينما كان الحواريون مجتمعين في القدس في مكان أبوابه مغلقة وتوما غائب. والثانية، بعد ذلك بثلاثة أيام من هذا الظهور أي ثمانية أيام بعد البعث وأيضًا صبيحة يوم السبت. والحواريون مجتمعون في القدس، في نفس المكان، والأبواب مغلقة، بينما توما موجود معهم. والثالثة، وبلا تحديد زمان، في الجليل، على شاطئ بحيرة طبرية حيث يوجد سبعة تلاميذ للصيد. ويقال تحديداً إن هذا الظهور هو الثالث بالنسبة للحواريين منذ البعث. ولا يذكر إنجيل يوحنا أي ظهور نرى فيه يسوع يفترق عن تلاميذه سواء في الجليل مثل إنجيل متى (٢٨:٢٠)، أو في القدس مثل إنجيل لوقا (٢٤: ٥٠ و٥١).

أعمال الرسل (١: ١-١٢)

يعيد هذا النص تقريبًا، حول صعود يسوع، ما هو وارد في إنجيل لوقا (٢٤: ٤٤-٥٢) ولا توضح أعمال الرسل، مثلها مثل إنجيل لوقا، في أي وقت من النهار ارتفع يسوع أمام حوارييه، كما لا تذكر وجود أي شاهد يكون قد رأى يسوع وحوارييه أو سمع كلامه أو يكون قد رآه وهو «يرتفع إلى السماء»! وأعمال الرسل تذكر بأن يسوع قد ظهر للحواريين بكثير من الأدلة وأنه حَي دون أن تذكر أي ظهور ليسوع. وهذه الأدلة الواردة في الآيتين الثالثة والرابعة من ثلاثة أنواع:

أولاً: تؤكد ظهور يسوع للحواريين دون تحديد أي مكان هل في الجليل كما في متى أم في القدس كما في لوقا أو على التوالي هنا وهناك وفقًا ليوحنا؟ كما أن الأعمال لا تذكر أي ظهور ليسوع إلى امرأة مثلها مثل إنجيل لوقا. أما تحديد فترة طوال الأربعين يومًا، فهي لا ترد لا في إنجيل لوقا ولا في أي نص آخر، ولا توضح إن كان وجود يسوع متواصلاً أو أنه عاش مع الحواريين أو بجوارهم مثلما كانت تتحدث عنه قبل الآلام، فلم

(متى ١٩:٢٨) ، والتي قالها في آخر إنجيل مرقس دون تحديد مكان (١٦:١٥) وتلك التي قالها في إنجيل يوحنا (٢٢:٢٣) في القدس مساء نفس يوم البعث.

وأن ارتفاع يسوع الوارد في إنجيل مرقس دون تحديد مكان (١٦: ١٩) غير وارد في الإصحاح الأخير من إنجيل متى ولا في الإصحاحين الأخيرين من إنجيل يوحنا، ونراه واردًا في أعمال الحواريين في ظروف تكمّل تلك الواردة بهذا الصدد في إنجيل لوقا. فوفقًا لأعمال الرسل «ارتفع يسوع إلى السماء» من على جبل الزيتون في الطريق إلى بيت عانيا، علمًا بأنها لا تحدد كيف وجد يسوع نفسه في ذلك المكان، ولا أن كان حضر من القدس مع تلاميذه، ولا تذكر أنه في اللحظات الأخيرة قد رفع يديه وبارك الحواريين.

ولا تذكر أعمال الرسل أي شيء عن الرجلين اللذين ظهرا أمام الحواريين ولا ما هو مصيرهما كما أن أنجيل لوقا ومرقس لم يشيرا إليهما.

تلخيص وقائع ظهور المسيح في أعمال الرسل:

قيل إن يسوع ظهر لحوارييه طوال مدة أربعين يومًا، ولم يحدد عددها أو نوعيتها، وإنما يتم ذكر كلمات قالها يوم صعوده. ولا تذكر أعمال الرسل أن هناك نسوة قد رأين يسوع، وقد تمت ملاحظة ذلك في إنجيل لوقا أيضًا.

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ١-٨):

تذكر أن يسوع بعث في اليوم الثالث وفقًا لما قالته الكتب، دون تحديد في أي مكان ولا متى ظهر لبطرس. أنها مجرد إشارة كما في إنجيل لوقا (٢٤:٣٤)، ولا يقال في أي مكان ظهر للأحد عشر حواريًا. وبذلك لا يمكن إرجاعها لأي ظهور سابق. أما ظهوره إلى أكثر من خمسمائة أخ فهي غير واردة في أي إنجيل من الأناجيل بل ولا في أي نص آخر - وفي إنجيل لوقا (٢٤: ٣٣) يظهر يسوع للأحد عشر حواريًا ومعهم التلاميذ. ولا يمكن لأحد أن يتصور أن تسع غرفة الحواري عدد الخمسمائة شخصًا! وفي الإشارة إلى أول اجتماع للإخوة بعد صعود يسوع التي تذكرها أعمال الرسل (١:١٥) يقال إنهم «حوالي مائة وعشرين»، ولا ترد في الأناجيل أو في الأعمال أنه قد ظهر ليعقوب، ولا تقول رسالة بولس هذه في أي مكان ولا في أي وقت حدث هذا الظهور. ولا يمكن معرفة إلى أي ظهور تشير هذه الرسالة بإبهام «إلى كل الحواريين» دون تحديد مكان أو زمان. وظهور يسوع لبطرس مذكور بنفس العبارات التي تصف ظهوره للأحد عشر

متى ومرقس فلا يذهب أي تلميذ إلى القبر. والملاحظة الواردة عن بطرس في إنجيل لوقا (٢٤: ١٢) أنه يجري إلى القبر وينحني لينظر من الخارج ولا يرى الكفن الموجود على الأرض ويعود مندهشًا. وفي إنجيل يوحنا (٢٠: ٣-١٠) يذهب كل من بطرس ويوحنا الذي ينحني لينظر من الخارج ولا يرى الكفن. فيدخل بطرس وحده، يرى الكفن وغطاء الوجه مطويًا ثم يدخل يوحنا فيرا ويؤمن. وقد ذكر بطرس كشاهد مرتين في الروايتين. وزيارة القبر في الروايتين تمت في نفس الوقت لكن الظروف والملابسات تختلف تمامًا. كما تتناقض عملية دخول السيدات، سواء من كانت منهن بمفردها أو إن كن جماعة. وهذا التناقض يدفع القارئ إلى التساؤل هل دخل بطرس القبر أم لم يدخله، وهل دخلت مريم المجدلية أم لا؟.

وإذا ما تأملنا الروايات الأربع كما تبدو في الأناجيل الأربعة لا يسع القارئ إلا أن يقر بأن الحدث الواحد لا يمكن أن يقع بعدة طرق مختلفة. وبخلاف هذه الأناجيل الأربعة فما من نص آخر يذكر واقعة زيارة القبر أو يذكر أي تفصيل من تفاصيلها. ويشير رويل إلى الاختلافات الواضحة للزيارة الأولى للقبر الواردة في الأناجيل الأربعة يوم السبت صباحًا في نفس المكان ونفس الساعة فرضًا فنص يقول في وضح النهار والآخر بينما بدأ يلوح والثالث عند شروق الشمس والرابع عند الظلام قبل الفجر.. وامرأة واحدة مذكور اسمها في الأناجيل الأربعة هي مريم المجدلية، لكنها لا ترى شيئًا وهي بمفردها وإنما حينما تكون بصحبة أخريات، وما تراه يختلف في كل نص عن الآخر، غير أن الثلاثة متى ومرقس ولوقا يقولون إنها دخلت القبر بينما يوحنا يؤكد أنها هي ولا أي امرأة دخلت القبر!..

النقطة الثانية:

ثانيًا: تأكيد أن يسوع، الذي اختفى جسمه من القبر، ودون أن يكون أي شخص قد رآه، حيّ، وأنه قد تمت رؤيته في عدة أماكن من بضعة أشخاص والنساء اللائي رأينه في إنجيل متى لسن من هن رأوه في الأناجيل الأخرى. ومن رأته في يوحنا تراه بمفردها وليس في نفس الوقت، أوكما في إنجيل متى بصحبة أخريات. ووفقًا لكل من متى ويوحنا الأحد عشر حواريًا أو عدد منهم قد رأوا يسوع في الجليل بينما يقول لوقا إنه لم يره أحد إلا في القدس وضواحيها. أما أعمال الرسل فتؤكد ظهوره طوال أربعين يومًا لكن متى ولوقا يحددان يومين أو ثلاثة، ويوحنا يورد أربع مرات ثلاث منها ظهر

الحواري الوحيد الذي لم يصدق فهو توما. أي أن أول رد فعل للحواريين هو عدم تصديق بعث يسوع – علمًا بأنه كان قد أخبرهم بآلامه وبعثه..

وإذا ما استجمعنا هذه النقاط الأربع التي يوردها شارل رويل لوجدناها تدور حول: إثبات عدم وجود جسم يسوع في القبر، وتأكيد أنه حيّ، وإثبات أنه ظهر وتحدث إلى الناس، ورد فعل الحواريين من عدم تصديق أو لا، مع توضيح التناقضات التي تحف بهذه الوقائع.

ثم يقوم شارل رويل بتوضيح أنه بخلاف ظهور يسوع، فإن نفس النصوص التي تناولها لدراسة جزئية «بعث يسوع» كما هي واردة في الأناجيل وبعض النصوص الأخرى، تتحدث عن أشخاص وعن ملائكة قد ظهرت في نفس الأحداث وملابساتها، مشيرًا إلى أن مثل هذه الأنواع المختلفة من الظهور لم يرَها سوى السيدات وأنه قد تم اتهامهن «بالهذيان».

ولتوضيح أن كل ما يتعلق بيسوع منقول تلفيقًا من العهد القديم ومستخدم وكأنها نبوءات لإضفاء مصداقية على شخصية يسوع كما تقدمها الكنيسة، يقوم شارل رويل بعمل مقارنة بين هذه الروايات وسفر طوبيا، حيث نرى رفيق الطريق الذي سار معه يخبرهم عند لحظة افتراقهما أنه ملاك مرسل من السماء. فيفزعوا ويرتعدوا. فقال لهم الملاك: «سلام لكم لاتفزعوا» (١٢:١٧). وعبارة «سلام لكم» هي نفس العبارة التي يكررها يسوع عندما يظهر لحوارييه ويفزعوا لرؤيته فيطمئنهم. وهي واردة أيضًا في رد الرب لطمأنة جدعون: «السلام لك. لا تخف» (قضاة ٦:٢٣). ويقول ملاك الرب في طوبيا: «عندما كنت معكم جئت بمشيئة الله» (١٢:١٨) وهو ما يردده يسوع: «لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يوحنا ٦:٣٨). ويواصل ملاك الرب في طوبيا «كنت أبدو وكأني آكل وأشرب معكم، لكن لي طعام وشراب لا ترونه» (١٢:١٩)، وكان يسوع قد قال نفس الشيء قبل آلامه: «فقال لهم أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم» (يوحنا ٤ : ٣٢)، و«وقال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتم عمله» (يوحنا ٤:٣٤). ويقول ملاك الرب في سفر طوبيا: «يجب أن أعود إلى الذي أرسلني» (١٢:٢٠)، وهو ما قاله يسوع «.. ثم أمضي إلى الذي أرسلني» (يوحنا ٧:٣٣). وبعد أن قال ملاك الرب عبارته السابقة اختفى عن رؤيتهم ولم يعد بوسعهم رؤيته (١٢:٢١)، ونفس العبارة يستخدمها يسوع عند رفعه سواء باختفائه فجأة بعد الظهور أو عند ارتفاعه ولم يعد أحد يراه..

وبخلاف قيام شارل رويل بإثبات أن مشاهد الظهور منقولة من العهد القديم فإن أخطر ما يشير إليه في هذا البحث هو كشف التحريف اللغوي الذي قامت به الأيادي العابثة لإثبات بعث يسوع ورفعه، وذلك بتغيير كلمة Assumptus الواردة في النص اللاتيني الذي كتبه القديس چيروم في أواخر القرن الرابع، وهي مشتقة من Assump-tio، وتعني: اضطلع بـ،تقلد، نهض بالأعباء، تبوأ، ووضعوا مكانها عبارة Ascensio وتعني: «صعود»، ارتقاء، ارتفاع، ويوضح الباحث كيف أنها في كافة الآيات المتعلقة بكلمة «صعود» الحالية كانت في النص القديم كلمة Assumptus أي اضطلع بـ،تقلّد، نهض إلخ، إذ لا يأتي أبدًا من معانيها معنى الصعود أو الارتفاع (صفحة ٩٧). كما يستشهد بالرسالة الثانية من بولس إلى تيموثاوس حيث يقول: «**اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي**» (٢: ٨)! أي أن يسوع قد قام من بين الأموات بناء على إنجيل بولس الذي لم يكتبه، فلا أحد يعلم أن بولس له إنجيلاً، ولا يمكن الاستشهاد بكلام شخص يقول هو عن نفسه «أنه يكذب» ليدعوا إلى الله فهل يمكن الاعتماد على قول كاذب لإثبات أن يسوع قد قام؟! أليس بولس القائل: «**إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ**» (رسالته إلى أهل روميه ٣: ٧).

وقد تم تعديل صياغة الآية الواردة بالرسالة الثانية من بولس إلى تيموثاوس كما هي واردة بعاليه، في طبعة ١٩٦٦، إلى: «اذكر يسوع المسيح الذي أقيم من الموت وهو من نسل داود، كما أعلنه في إنجيلي»، وأياً كان تصويب الصياغة في طبعة ١٩٨٨، فإن المعنى الأساسي واحد، وهو أن يسوع قد قام من بين الأموات بناء على إنجيل بولس، الذي لم يكتب، والمشهود لصاحبه بالكذب، بقوله هو. وإن كان هذا الإنجيل الذي لم يُكتب هو الدليل على قيام يسوع فلماذا تخفيه الكنيسة إن كان قد كتب؟!

وما نخرج به من تلك الشذرات التي عرضناها باقتضاب لبعض كتّاب عصر التنوير، وهي شذرات جد قليلة، فلا يسع المجال لتناولها جميعًا، هو ذلك الشرخ الذي أصاب الكيان الكنسي ولم يعد من الممكن رأبه بأي حال من الأحوال، وإن أمكن التعبير عنه في عبارة واحدة فهي: كشف كل ما تم من تحريف في أصول المسيحية.

فقد أثبت العلماء أنه حتى القرن الرابع لم يكن أحد يعترف بأن المسيح هو الله بل أنه كان نبيًا مقتدرًا من ضمن الأنبياء والرسل، وأنه تمت صياغة الأناجيل في القرن الثاني ومطلع القرن الثالث، فالأسماء التي هي معروفة بها ليست هي التي كتبتها. وأظهروا كيفية تحريف الكتب اليهودية القديمة ليأتوا بنبوءات حول يسوع، وكشف التناقضات

التي تغص بها الأناجيل والكتابات «المقدسة» وما تم فيها من تحريف وغش، وتوضيح تأثر هذه النصوص أو نقلها الواضح من الأساطير القديمة. وانتقاد العقائد ولا معقوليتها أو عدم تمشيها مع المنطق مثل بدعة الثالوث أوالبعث وغيرها وقيام الكنيسة بتلفيق نصوص تساند أو تبرز هذه البدع. خاصة قد أثبتوا أن يسوع لم يأت أو يكتب أو يقل أي شيء عن المسيحية وعقائدها، وأنها من صنع رجال الدين الذين فرضوها قهرًا بالسلاح والنار. وكيف أنها تطورت ولا تزال تتطور من مجمع لآخر، مع توضيح التلاعب والتحريف اللغوي لإثبات بعث يسوع وغيرها من البدع، مثال تحريف كلمة «تقلد» أو «نهض بالأعباء» بكلمة «صعود» لإثبات رفع يسوع بعد بعثه، وتحريف كلمة «امرأة شابة» بـ«عذراء» لاختلاق عقيدة العذرية الدائمة.

وتلك هي الركيزة التي اعتمد عليها علم نقد النصوص المقدسة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ولا يزال الشرخ يتسع في ذلك البنيان العتيد بعد أن ثبت أن النصوص المتاحة فقط هي ما كتبته الأيادي العابثة بعد أن قامت بحرق أو إبادة كل النصوص المعارضة أوالكاشفة لها أو التي أخذت عنها. فكل ما هو موجود حول أصول المسيحية ونشأتها من نصوص هو ما يكوّن العهد الجديد فقط لا غير وقد تمت إبادة كل ما عداها من نصوص تنتمي للقرن الأول ومنتصف الثاني وكل ما يتعارض مع الكنيسة بعد ذلك.

أما الأبحاث الحديثة فتوضح كيف تم التلاعب زعمًا وإدعاءً في نصوص الترجمة السبعينية واستخدامها كنبوة تدعم اختلاق بدعة البعث. فالسبعينية الحالية هي الترجمة الثالثة للأصل «المفقود» كما يقول القديس چيروم الذي كتب العهد الجديد الحالي في القرن الرابع. وهو ما يتناوله ب. بنوّا (P.Benoit) في كتابه المعنون «تفسير ولاهوت» (المجلد الأول صفحة ٦) ويقول بنوّا إن إحلال السبعينية محل الكتاب المقدس العبري قد سمح لاستخلاص تبريرًا للعقائد من النص اليوناني لا يتضمنها النص العبري!

ويوضح بنوّا أن القديس بطرس في خطابه التالي لعيد الفصح (أعمال الرسل ٢: ٢٥-٣١) والقديس بولس في خطابه في إنطاقيا (أعمال الرسل ١٣: ٢٥-٣٧) يستشهدان بالمزمور ١٦: ٨-١١ لإثبات بعث يسوع. لأن داود يعلن فيه أن الله لن يترك روحه في الجحيم ولن يترك قديّسه يرى فسادًا. والمعروف أن داود قد مات وأن جثمانه قد تحلل ورأى الفساد أي أن هذه الكلمات لا تخصه وإنما تخص خلفه التبشيري المسيح، الذي يكون بذلك قد تنبأ ببعثه!

ولا تدع صفيك يرى فساداً. قد عرفتني طريق الحياة. تملأني فرحًا مع وجهك ومن بهجة يمينك إلى التمام» (مزمور ١٥: ١٠-١١). أما في الطبعة الصادرة سنة ١٩٦٦ فنطالع: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فسادًا. تعرفني سبيل الحياة. أمامك شِبَعُ سرور. في يمينك نعم إلى الأبد» (١٦: ١٠-١١). ونلاحظ أن كلمة «الجحيم» كانت واردة في الترجمة القديمة وتحولت إلى «الهاوية».

وإذا ما رجعنا إلى النص الفرنسي للكتاب المقدس الصادر عن الفاتيكان لوجدنا نص الآية كما يلي:

car tu ne peux abondonner mon âme au shéol, tu ne peux laisser ton ami voir la fosse.(g)

ومعنى هذا النص: لأنه لا يمكنك ترك روحي في الجحيم (وقد احتفظ النص الفرنسي بكلمة «الجحيم» ولكن بكتابتها نطقًا بالعبرية «شي أول») ولا يمكنك ترك صديقك يرى حفرة القبر. أما حرف (g) الصغير الذي يشير إلى وجود هامش فنطالع فيه: «إن الترجمات القديمة تترجم «حفرة القبر» بـ«فسادًا». وكأنهم بذلك برأوا أنفسهم من التواطؤ بمجرد تلك الإشارة الساذجة! ويواصل الهامش قائلاً: «إن التطبيق المسيحي الذي أقرته اليهودية قد تحقق ببعث يسوع» (صفحة ٧٢٧)! واللهم لا تعليق على هذا التلفيق، فالمعروف أن اليهود لا يقروا المسيح أو المسيحية.

أما تضارب أقوال الأناجيل حول رفعه إلى السماء أو نزوله في الجحيم في نفس اليوم، الجمعة، فلا يقل بلبلة. فخطاب بولس إلى العبرانيين يقول إنه صعد إلى السماء ليقدم دمه بنفسه في قدس المعبد السماوي، أما بطرس، في رسالته الأولى فيقول إنه نزل إلى الجحيم ليبشر الأرواح السجينة. ويقول بولس في رسالته إلى أهل رومية (١٠:٧) أنه كان في «الهاوية» بمعنى «الجحيم»، أما لوقا (٢٣:٢٤) فيقول إنه رفع في الجنة، وكذلك يوحنا، ولاشك في أن الجمع بين وجود إنسان ما، أيًا كان، في الجنة وفي الجحيم في نفس الوقت من المحال، ومن الواضح أنه لم يكن هناك أي شاهد على الأحداث إلا النيّات المغرضة السياسية والدينية المتحكمة وفقًا لظروف الساعة.

وأيًا كان الأمر، فيكفي ما يؤكده العديد من العلماء إضافة إلى ما هو وارد بالنصوص «المقدسة» نفسها، وهو أنه لا يوجد أي وصف لعملية البعث نفسها، ولم يشاهدها أي مخلوق، والدليل الوحيد عليها هو «وجود القبر خاليًا» بناء على نصوص مشكوك في مصداقيتها.

والى من يؤثر رؤية التحريف بنفسه، إضافة إلى كل ما ورد بهذا الجزء، فليعد إلى إنجيل متى الإصحاح ٢٨ الذي يرد في آخره قصة الحرس والرشوة التي أخذوها ليقولوا إن اتباع يسوع قد سرقوا جسده، وهي الآيات من ١١ إلى ١٥، وإذا ما تم حذف هذه الآيات الخمس لاستمر النص بين الآية ١٠ و١٦ بلا أي خلل: «فقال لهما يسوع لا تخافا اذهبا قولا لأخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني» (١٠) «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع» (١٧). مع ملاحظة تغيير كلمة «أخوتي» وكتابة «الأحد عشر تلميذاً» بدلا عنها!.

ولا يسعنا في نهاية هذه الجزئية إلا تكرار السؤال الذي طرحه شارل رويل هل بعث يسوع كما هو وارد في الأناجيل يمكن اعتباره حدثًا تاريخيًا؟!

خلاصة القول:

وإذا نظرنا إلى عملية البعث بصورة نقدية موضوعية، لرأينا أن ما تقدمه النصوص يقول إجمالاً: أن يسوع قد مات ودُفن يوم الجمعة مساء وأنه قد بعث في فجر الأحد أو قبيله، وأنه ظهر لحوارييه عدة مرات ثم صعد إلى أبيه حيث يجلس عن يمينه، وقد تبدو هذه القصة الوردية معقولة إلى حد ما في هذا التسطيح الساذج للأحداث، إلا أن تأمل الوثائق عن قرب يكشف عن كم لا حصر له من الطبقات المتراكمة والتلاعب بالكلمات، إضافة إلى الملاحظات التالية:

- يقوم مرقس بوصف عملية دفن يسوع (١٥: ٤٢-٤٧) متناسيًا أنه الاستعداد لعيد الفصح الذي يفرض الراحة الإجبارية وعدم القيام بأي شيء طوال يوم السبت.
- وفقًا لأعمال الرسل (١٣: ٢٩) فإن اليهود هم الذين قتلوا يسوع، وهم الذين أنزلوه من على الصليب، وهم الذين وضعوه في القبر. وهنا لابد من الإشارة إلى يوسف من الرامة الذي دفنه، والرامة هي مدينة النبي صموئيل وفقًا للملوك الأول (١: ١)، والغريب أن يوسف هذا الذي ظهر فجأة ويختفي فجأة مقرّب إلى بيلاطس وواحد من أعضاء المحكمة العليا التي أدانت يسوع بكامل هيئتها. فكيف يهتم بيسوع ويستلم جسده ويدفنه بهذه البساطة؟! والأغرب من ذلك أن بيلاطس بعد ساعتين أو ثلاث لا يعرف بعد أن يسوع قد «مات»!
- كما تجب الإشارة إلى زميله نيقوديمس، وهو رئيس لليهود، الذي حضر مع يوسف من الرامة ومعه نحو مائة منًا من العطور - والمنّا تساوي نصف كيلوجرام تقريبًا،

شخص وفقًا لآخر! والأغرب من هذا وذاك تشكك الحواريين أنفسهم في عملية البعث، بينما يحاول يوحنا الإصرار على شهادة الجند بوفاة يسوع، وذلك لإخماد تعليق كان سائدًا منذ ذلك الوقت ويشرئب بانتظام حتى وقتنا هذا، من أن يسوع لم يمت فعلاً على الصليب وإنما كان حيًا وعاش بعد ذلك طويلاً.. واختصارًا من المحال العثور على الخطوات أو المراحل الحقيقية لهذا المعتقد الروحي الذي تدرج من اليأس المطلق والرفض الواضح المشوب بالشك إلى تأكيد مطلق لبعث يسوع» (صفحة ١٧٦).

أما ميشيل كوكيه فيقولها في إيجاز شديد: «**إن واقعة البعث لا يمكن إثباتها كواقعة تاريخية بوسائل البحث التاريخية**» (صفحة ١٠). بينما يعلن الأب ليون دوفور (Léon Dufour) فيعلق قائلاً في كتابه المعنون: «**قراءة في إنجيل يوحنا**»: «**إن المؤرخ اليوم يشعر بالحرج حيال مثل هذه الآيات، ومع ذلك فهو مرغم على إرتجال إجابة ما**»!

وما أكثر التعليقات الواردة في الأبحاث الحديثة، فما أوردناه يعد بمثابة شذرات. بل هناك من يؤكد أكثر من مرة «أن إنجيل مرقس لم يكن يتضمن في الأصل أي قصة عن بعث يسوع» (جيرار مورديا: «**يسوع ضد يسوع**» (صفحتا ٢٤٣ و٢٥٢) مؤكدًا أن «قصة آلامه وصلبه قد أضيفت أيضًا فيما بعد» (صفحة ٢٤٤). وكان قبل هذا وذاك قد كتب قائلاً في صفحة ٢٠٩ «إن قصة البعث ليست حدثًا تاريخيًا وإنما حدثًا لاهوتيًا».

- **إنجيل لوقا:** يقول الفاتيكان إنه تمت صياغته فيما بين ٨٠ و ٩٠م، إلا أن النص يرجع في صياغته الأولى إلى سنة ١٨٠، وأن كل أحداثه تدور في القدس ويغص بالمغالطات التاريخية.
- **إنجيل يوحنا:** يقول الفاتيكان إنه تمت صياغته حوالي سنة ٩٠م. وفي واقع الأمر قد بدأت صياغته حوالي ١٨٠م وانتهت في القرن الرابع! ومن الغريب أن هذا الإنجيل لا يتحدث أبدًا عن يوحنا المعمدان.

ويرجع العلماء هذا التحديد إلى أنه في أيام يسوع وبعد صلبه كما يقولون، كانت الجماهير تنتظر قدوم ملكوت الرب ومجيء يسوع على سحاب وما إلى ذلك. فلم تكن هناك حاجة ماسة إلى وجود نصوص. بينما كان بولس والحواريون يباشرون التبشير بقرب ذلك الملكوت وليس المجال هنا تناول تفاصيلها.

وفي حوالي سنة ٢٠٠ بدأت تتبلور فكرة عمل نصوص تكوّن العهد الجديد. ولم يهتم المسيحيون بتحديد هذه النصوص وتثبيتها إلا في أواخر القرن الرابع عندما تولى القديس جيروم القيام بهذه المهمة. وكان الأب أثانازيوس، أسقف الإسكندرية، قد قام بعمل كشف بالأناجيل التي يمكن أن تكوّن العهد الجديد، وذلك سنة ٣٦٧، من بين حوالي سبعين إنجيلاً متداولاً. ثم أقر مجمع هيبونا هذه القائمة سنة ٣٩٣ ثم أقرها مجمع كرتاجنة سنة ٣٩٧. وكل هذا اللغط في النصوص يكشف عن مدى «مصداقيتها» وعن مدى تطابق كلمة «التنزيل الإلهي» عليها، خاصة بعد ما كتب القديس جيروم في مقدمة العهد الجديد الذي صاغه وفقًا لهوى البابا داماز وكيف عدّل وبدّل وانتقى وغيّر ليكوّن ما فرضته الأيادي العابثة على أنها نصوص من تأليف «الله» عز وجل - كما رأينا.. والنص الكامل موجود في الملاحق.

وقد حاول كتبة الأناجيل تقديم فكرة أن يسوع هو المنقذ، المسيح الذي صلبه بيلاطس بحيث يبدو مقبولاً من سكان العالم اليوناني الروماني ولإثبات ضمنًا فكرة أن يكون المرء مسيحيًا فذلك لا يتعارض مع ولائه لقيصر والامبراطورية الرومانية. لذلك قاموا بتبرئة بيلاطس وروما وإلصاق التهمة على الزعماء اليهود والشعب اليهودي بأسره.

والمعروف عن حياة يسوع جد قليل إلى درجة مفزعة محبطة. وما يقال إنه قد بدأ كمعالج ومعلم في الجليل مع بداية نشاط يوحنا المعمدان تؤرخ سنة ٢٩م. وكانت مدتها جد قصيرة، وحيثما انتهت رسالة يوحنا بدأت رسالة يسوع. وتتضمن نصوص الأناجيل مدتان مختلفتان لفترة رسالة يسوع، إذ تقول الأناجيل المتواترة

أنها سنة واحدة تقريبًا أو أقل، بينما يمدها إنجيل يوحنا إلى ثلاث سنوات - وإن كان هناك من حصرها في ثلاثة أشهر أو أقل.

وعلى الرغم من شحّة المعلومات التي نعرفها عن حياة يسوع وتعرض على القارئ بصورة تجريدية الإبهام، لا تتعدى بضعة كليمات، فإن الروايات التي كتبوا بها المحاكمة المزعومة تمتلئ بالتفاصيل وتتصاعد في إيقاع محموم.

وتختلف الأناجيل الأربعة حول الملابسات الخاصة بمقتل يسوع - كما يقولون، وإن كانت تتفق في أن ذلك قد وقع عقب محاكمة أو محاكمتين، وقبل تناول أحداث هذه القضية بشيء من التفاصيل، لنلقي نظرة على حالة الوضع القانوني آنذاك.

عندما تم وضع منطقة اليهودية تحت حكم الإدارة الروماني سنة ٦م، كان كوبونيوس أول حاكم روماني يصل مدينة أورشليم، وقد خوّله الامبراطور أغسطس كل السلطات، بما في ذلك سلطة إصدار عقوبة الإعدام (راجع حرب اليهود لفلافيوس جوزيف). وذلك يعني أن بيلاطس البنطي الذي تسلم مهام منصبه بعد ذلك بعشرين عاماً، من ٢٦ إلى ٣٦م، كان مخولاً بكافة السلطات بما في ذلك استصدار الحكم بالموت. أي أنه كان من سلطته أن يتعامل مع يسوع بكل قوة القانون الروماني، خاصة بعد إدانته بعدم الولاء للقيصر وللدولة. وكانت العقوبة العادية في مثل هذه الحالة هي الصلب، وكان خاصًا بالأجانب وليس بالمواطنين الرومان. أي خاصًا باللصوص والعبيد. فإذا كان قد تم اتهام يسوع بممارسة نشاط ثوري معادي للدولة فكان من حق بيلاطس أن يصلبه، بل إن منصبه كان يقتضي ذلك ويحتمه عليه.

أما القضاء اليهودي، فكان يتضمن ثلاثة أنواع من المحاكم: المحكمة المحلية، وتتكون من ثلاثة قضاة، وكانت خاصة بالمنازعات اليومية؛ والمحكمة الوسطى، وتتكون من ٢٣ قاضيًا، وتختص بقضايا الإجرام؛ والمحكمة العليا، وتتكون من ٧١ قاضيًا ومقرها أورشليم. وكانت القضايا التي تنظر بها تتم في قاعة خاصة في منطقة المعبد. وكانت هذه المحكمة العليا بمثابة مجلس الشيوخ في أعلى تكويناته القانونية والإدارية. أي أنها كانت بمثابة ثلاث محاكم في هيئة واحدة.

وبالإضافة إلى النظر في القضايا الإجرامية العليا كان يمكنها إعلان الحرب وتغيير الحدود الجغرافية لمدينة أورشليم أو للمعبد، وقبل هذا وذاك تنفيذ شرع موسى بكل سلطان. وتضع الأناجيل المعتمدة يسوع أمام هذه المحكمة العليا، لكن، ليس في الساحة المألوفة بجوار المعبد، وإنما في منزل كبير الكهنة! وهي من أولى النقاط التي تؤخذ ضد مشروعية هذه المحاكمة.

وصدور الحكم بالإدانة ضد يسوع يعني أن كتبة هذه الأناجيل يعرفون تمامًا أنهم يشيرون إلى هذا المجمع على أنه يمثل المحكمة العليا وليس مجرد مجمع استشاري.

ووفقًا للشرع اليهودي، فإن العهد القديم ينص على الجرائم التي يعاقب عليها بالموت، وهي أثنى عشر حالة: القتل، واختطاف إنسان لبيعه كعبد، والوثنية، وتدنيس ابنة الكاهن بالزنا، والزنا، وزنا المحارم، واللواط، ومضاجعة البهائم.

وكان لابد من شاهدين يشهد كل منهما على حدة وتتطابق الشهادتان، وكان على كل قاضي أن يلقي بصوته للاقتراع، وهو عكس ما نطالعه في الأناجيل المتواترة إذ لا يمكن إصدار الحكم بالموت على شخص لمجرد طلب الجماهير!

كما أن المحكمة العليا لم يكن بإمكانها - وفقًا للشرع اليهودي، أن تنطق بالحكم في نفس يوم المحاكمة والاستماع إلى الشهود، إذ كان لابد من الانتظار لليوم التالي حتى يصدر منطوق الحكم. كما أن اجتماع المحكمة مساءً من المحرمات ومن المحال إقامة أية محاكمة قد تتضمن عقوبة الموت عشية السبت أو عشية يوم عيد، وخاصة أو وما بالنا بأكبر عيد يهودي؟! وكذلك فإن العمل يوم السبت من المحرمات المستوجبة لعقوبة الموت كما رأينا.

ويقول چيزاڤيرمس (G.Vermes) أن «وثيقة دمشق» من مخطوطات قمران تؤكد بشدة على نفس المحرمات، وأنه لا يجوز لأحد أن يصدر حكمًا يوم السبت (آلام المسيح صفحة ٢٤) ووثيقة دمشق تعد من أهم الوثائق التي تم العثور عليها بين مخطوطات البحر الميت في منطقة قمران، وتكشف عن الكثير مما أخذته المسيحية الحالية من تعاليمها.

وينص العهد القديم على أن هناك وسيلتان لعقوبة الموت: الرجم أو الحرق حيًا. وكانت هذه الميتة حرقًا خاصة لعقوبة زنا المحارم أو الزنا بابنة كاهن، أما المشناة فتضيف وسيلتين آخريين: قطع الرقبة بالسيف، والشنق. وكانت الوسائل الأربع تمارس أيام يسوع.

أما عملية الصلب فكانت خاصة بالرومان وحدهم. وهم فقط الذين كانوا يمارسونها، وما أكثر الثوار والعبيد الذين تم صلبهم أيام الرومان، حتى ليقال إنه لم تكن هناك أماكن لرشق مزيد من الصلبان، ولا عدد كاف من الصلبان لعدد الضحايا.. ويصف المؤرخ الإيطالي تشيشرون بأنها «أبشع وأفظع وسائل القتل».

وإذا ما تأملنا الوقائع الثلاث عشرة التي تتخلل آخر يوم في حياة يسوع وموته ودفنه - وفقًا لما يقولون، لخرجنا بتحديد أوضح للاختلافات الجوهرية. وهذه الوقائع المختلفة بين الأناجيل هي:

١ - العشاء الأخير.

٢ - القبض على يسوع.

٣ - استجواب يسوع وفقًا لإنجيل يوحنا.

٤ - محاكمة يسوع ليلا أمام المحكمة اليهودية العليا.

٥ - الاجتماع الصباحي للمحكمة العليا اليهودية.

٦ - انتحار يهوذه.

٧ - مثول يسوع أمام بيلاطس.

٨ - إرسال يسوع إلى هيرودس انتيباس وإعادته إلى بيلاطس.

٩ - عشية العيد والعفو عن بارباس.

١٠ - الحكم بالموت.

١١ - الصلب.

١٢ - موت يسوع.

١٣ - دفن يسوع.

وسوف نتناول هذه النقاط تباعًا.

١ - العشاء الأخير:

ونبدأ بتوضيح أن اليوم وفقًا للتوقيت اليهودي يبدأ عند الغسق وظهور أول نجمة في السماء أي في السادسة مساءً تقريبًا. وتورد الأناجيل الأربعة قصة العشاء الأخير، إلا أن ما نخرج به من الأناجيل المتواترة يختلف تمامًا عما نخرج به من إنجيل يوحنا وإسهابه في شرح وصية المحبة الجديدة - وهي ليست بوصية جديدة لورودها في العهد القديم في سفر اللاويين (١٩:١٨). وكل ما فعله يسوع هو تعميق مفهومها أو التأكيد عليه ولم يبتكرها كما يزعم الكنسيون.

كما أن يوحنا يضع العشاء قبل عشية الفصح بيوم، وهو ما يخالف الأناجيل المتواترة ولا يتضمن أي شيء عن طقس الإفخارستيا الوارد بصور مختلفة لدى كل منهم. وإن كان لوقا ينص على لسان يسوع أن يقام ذلك لذكراه: «اصنعوا هذا لذكرى» (٢٢:١٩)!

٧ - مثول يسوع أمام بيلاطس:

أشرنا إلى أنه لم يرد أي شيء عن اجتماع المحكمة العليا في الصباح الباكر لا في إنجيل مرقس ولا في إنجيل متى. ويمكن استنتاج التهمة من سؤال بيلاطس إن كان يسوع قد قال إنه ملك اليهود، أو أنه الملك - المسيح. بينما نرى حدوته مختلفة تمامًا حين يؤكد لوقا عن طريق المحكمة العليا أن يسوع يزعم أنه المسيح ويحرّض الأمة ويمنع مواطنيه من دفع الضرائب للقيصر. وهو ما يتعارض مع قول يسوع «أعطي لقيصر ما لقيصر» التي أوردتها كافة الأناجيل من قبل. بينما يوضح إنجيل يوحنا أن التهمة دينية في نظر بيلاطس وأنه لا يجد بالمجني عليه أي جرم سياسي. وفجأة ودون سابق إنذار تنبثق مسرحية «باراباس» وذلك العرف المزعوم الذي لا يوجد له أي سند تاريخي على الإطلاق في أي مصدر من المصادر.

٨ - إرسال يسوع إلى هيرودس وإعادته إلى بيلاطس:

مع تواصل الأحداث يلاحظ القارئ لتلك الفقرات أن كل شيء يتزايد الإيقاع خاصة تلك الحشود دون أن نعرف لذلك سببًا، حتى ذلك الجمع المحيط يتحول إلى «جموع» - دون أن ننسى أننا عشية عيد الفصح وأن الناس منشغلين به وبالإعداد لطقوسه.. كما تطورت صورة يسوع خلال تلك الفقرات ليتحول إلى صانع القلاقل من الجليل إلى أورشليم، أي من شمال البلاد إلى جنوبها.. ثم يتم إرساله إلى هيرودس حاكم الجليل علّه يتصرف في أمره.

وهو موقف أشبه ما يكون بما تعرض له بولس الرسول حينما طلب فستوس من الملك أغريباس أن يبت في شأنه بينما «كل جمهور اليهود في أورشليم وهنا (في قيصرية) صارخين أنه لا ينبغي أن يعيش» (أع ٢٥: ٢٤)! والمسافة بين أورشليم والقيصرية حوالي ٩٠ كيلومتراً..

وهنا لابد من توضيح أنه «ألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد لأنه قد صار مساء» (أع ٤: ٣). أي أن العرف المتبع هو ألا تتم أية محاكمات في المساء. ثم نطالع في الآية التالية أو ما بعدها: «وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنّان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة» (أع: ٤-٥).

أي أنه قد تم القبض على بطرس وبولس ووضعوهما في الحبس إلى الغد لأنه كان «قد صار مساء». ونفهم من هذا القول إنه لا تجرى محاكمة أثناء الليل. فما بالنا

ومحاكمة يسوع كانت مساء، وليلة عيد، ويوم سبت! أي أنها تضم ثلاث محرمات شرعية. والغريب أنهم نفس الشخصيات التي أدانت يسوع وامتنعت عن محاكمة بولس وبطرس مساء التزامًا بالشرع؟!

ولا ينطق يسوع بكلمة أمام هيرودس الذي فرح جدًا بلقاء يسوع. لكن، ما هي إلا مسافة سطر ونصف حتى نرى ذلك الإعجاب الشديد يتحول إلى احتقار ويأمر بإعادته إلى بيلاطس بعد أن سخر منه وأهانه!

٩ - عشية العيد والعفو عن باراباس:

إن المفاجأة البعيدة تمامًا عن أي توقع، والتي تمثل تغييرًا جذريًا في هذه القضية المسرحية، هي قصة العفو عن باراباس التي توردها الأناجيل الأربعة. ويقول جيزا ڤيرمس (G.Vermés) الذي كتبت عنه جريدة «كاثوليك هيرالد» عند صدور كتابه المعنون «**آلام المسيح**» قائلة: «لا يوجد إنسان منذ القرن الميلادي الأول يمكن أن يزعم معرفة يسوع المسيح الإنسان أكثر من جيزا فيرمس»! والتعليق وارد على غلاف الكتاب الخلفي.

والإنسان الذي يحمل مثل هذه الشهادة الكاثوليكية يؤكد أنه: «باستثناء الأناجيل، فإن أحدًا لم يسمع عن باراباس وعن مثل هذا القول، بل إن الأناجيل نفسها تقدم مشهده بروايات مختلفة» (صفحة ٦٠)! أي أن فقرة باراباس هذا وبدعة إطلاق سراح أحد المحكوم عليهم عشية عيد الفصح كما يقول بيلاطس هي بدعة تزوير من تلك البدع التي تزخر بها هذه النصوص التي لا سند تاريخي لها على الإطلاق.

ولا تخلو هذه الفقرة أيضًا من التناقض. فبينما يفهم من إنجيل مرقس وإنجيل متى أن عملية العفو هذه تقع على الحاكم، نرى الأمر يُطرح على الجمهور ليقوم بالاختيار، وهي بدعة لا وجود لها في التاريخ. وتتعالى الصياح، لا للاختيار فحسب للإفراج عن يسوع أو باراباس، وإنما تطالب الجماهير والجموع بصلب يسوع والإفراج عن مجرم أو قاتل وفقًا لأيّ من الأناجيل!.

وبعد كل ما جاهدت هذه الأناجيل في عرضه طوال إصحاحاتها لتوضح الإعجاب والحب والحماس الذي كانت تلك الجماهير تحيط بها يسوع، من الصعب أن نتصور ذلك الانقلاب المفاجئ السريع الإيقاع، بل والأصعب منه رؤية تلك الجموع اليهودية تطلب بإصرار من المستعمر الروماني أن يصلب لها يهوديًا من بني جلدتها في عشية أكبر عيد ديني، لشعب شديد التمسك بشرعه؟!.

ذلك الكم الذي لا يمكن لآدمي أن يتحمله من السياط كما رأينا في فيلم «آلام المسيح» للمخرج ميل جيبسون، والذي علق عليه البابا يوحنا بولس الثاني بعد أن شاهده في عرض خاص قائلاً: «هذا هو ما حدث فعلاً»!

وكان الجلد يتم بكرابيج من السلاسل الحديدية التي تنتهي أطرافها بقطع من العظام وكريات من الرصاص التي تنهش اللحم في كل ضربة سوط، وعادة ما كان المتهم يموت من قسوة الآلام. وبعد عملية الجلد الوحشية التي تساقطت خلالها أجزاء من اللحم وسط الدماء المنبثقة، من المفترض أن يسوع قام وهو بهذه الحالة المهلهلة من الإعياء وحمل صليبه على كتفه أو حمل العارضة وحدها والمعروف أنها تتعدى الخمسين كيلوجرامًا.. وبينما هو في هذه الحالة اللامعقولة في حد ذاتها، إذا به يسمع - وفقًا للوقا - نحيب النسوة ولطمهن: «فالتفت إليهن يسوع وقال: يا بنات أورشليم لا تبكين عليَّ بل إبكين على أنفسكن وعلى أولادكن. لأنه هو ذا أيام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم ترضع. حينئذ يبتدئون يقولون للجبال أسقطي علينا وللآكام غطينا لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس» (٢٣: ٢٨-٣١)!

هل معقول أو من المكن تصديق أن إنسان تم جلده أربعون جلدة بالسلاسل الحديدية حتى فقد صوابه مع لحمه ودمه، ثم يحمل ما يعجز الشخص السليم عن حمله، وتكون فيه بقية من عقل أو من قوة ليقول كل هذا الكلام الذي يصعب على الإنسان العادي أن يتفوه به وهو يعاني من مجرد صداع في رأسه؟! بل إن الإنسان ليلهث وهو يحاول أن يقرأ هذه الجملة دفعة واحدة.

أما المأخذ الذي يتوقف عنده العديد من العلماء، فهي الجملة التي يضعها لوقا على لسان يسوع بعد ذلك المشهد بسطر ونصف، إذ قال يسوع مصلويًا: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون».. فهذه الجملة التي تعبّر بوضوح عن فلسفة التسامح لدى يسوع لا توجد في أكثر من نصف الأصول المحفوظة من هذا الإنجيل ومن باقي الأناجيل المعتمدة والتي يطلق عليها «الأصول».. ولا نملك إلا أن نتساءل ترى هل تم حذفها لأنها تشير ضمنًا إلى جنود الرومان، فهم الذين صلبوا أو دقوا يسوع على الصليب - والمفترض أن الأناجيل قد برأتهم حينما غسل بيلاطس يديه لكي لا يتحمل وزر مقتله سوى اليهود؟

- شخصية النساء المحيطة بالصليب هن نساء من الجليل تبعن يسوع حتى أورشليم وهي مسافة أكبر من مائة وخمسين كيلومترًا! أما يوحنا فيقول إنهم أم يسوع وتلميذه المحبوب يوحنا إضافة إلى نساء من الجليل. والأغرب من هذا وذاك أن يقوم يسوع بعد أن تهتك لحمه من عملية الجلد ثم تعليقه على الصليب دقًا بالمسامير في جسده الحي، أن يكون في ذهن مثل هذه الحالة من المعاناة اللاإنسانية أن يقوم يسوع بتوصية يوحنا للاعتناء بأمه! وهو ضرب من اللامعقول واللامنطق خاصة وأنه موقف يتنافى تمامًا مع موقف يسوع من أمه التي ألفَ على نهرها وإهانتها واتهامها بأنها لا تتبع كلام الله، أو مخاطبتها قائلاً: «ما بيني وبينك يا امرأة».
- من غير المعقول ألا يتم دفن يسوع في أحد الكمائن المخصصين من المحكمة العليا لدفن المحكوم عليهم بالموت، ورأينا الأناجيل تقول إنه دفن في قبر جديد منحوت في الجبل أو محفور في البستان، وهو ما لا يمكن حدوثه.
- وهناك مجرد ملاحظة بين الأحداث: تُرى من ذا الذي شاهده وسمع ثم حكي عما دار في حديقة جتثماني قبل القبض على يسوع بينما كان هو يصلي وتصبب عرقه قطرات من الدم - ولم يكن هناك من شاهد الموقف لأن الحواريين كانوا نيامًا وكلما أيقظهم يسوع غطوا في النوم؟ بل وكان الظلام سائدًا!.
- كيف يطلب يسوع من حوارييه شراء سيوف تحسبًا لأية معركة، أي للدفاع عن النفس، ثم يقال إنه ضحى بنفسه وذهب إلى الموت طواعية من أجل خلاص البشر؟!
- الاختلاف في شخصية من دفن يسوع، هل هو يوسف من الرامة وحده أم يوسف ونيقوديمس؟ وهل دفن في قبر منحوت في الصخر أم محفور في أرض البستان وكيف لم يتم دفنه في المقابر المخصصة قانونًا للمجرمين المحكوم عليهم بالموت - خاصة وأن الأناجيل تقول إنه صلب وسط اثنين من المجرمين؟!
- أما عن الاختلاف حول آخر ما نطق به يسوع فيدعو إلى السخرية خاصة قوله إنه عطشان! فكيف له أن يعبر عن عطشه وهو الذي أمضى أربعين يومًا في الصحراء بلا طعام أو شراب عندما كان الشيطان يمتحنه ويغريه؟!

في محكمة يترأسها الحاكم الروماني صباح يوم السبت، ويمضون بقية اليوم في متابعة جلد المتهم ونقله وصلبه ثم يترقبون موته بناء على تهمة لم ينطق بها!

ولا تقل شخصية بيلاطس البنطي تناقضًا أو تحريفًا وما نطالعه من تردد واضح في الحكم على يسوع ومحاولة تبرأته، فهي صورة تخالف ما تورده الوثائق التاريخية عنه. فالمعروف أو ما يذكر له شراسته في كبح جماح الجماهير، بل ونطالع ذلك في إنجيل لوقا أيضًا حين يصفه قائلاً: «وكان حاضرًا في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم» (١:١٣). فكيف ينقلب مثل هذا الشخص الدموي التصرف بلا رحمة، لدرجة خلطه دم أهالي الجليل بدماء الذبائح، كيف يتحول ذلك الشخص، في نفس الأناجيل، إلى ذلك المتردد، الذي يتعذب ويتألم ويُحار من مجرد أذية إنسان؟! بل كيف نراه فزعًا مرعوبًا من صمت يسوع، وهو الممثل الشرس لأعلى سلطة عسكرية في الدنيا آنذاك؟!

لذلك يقول العالم أندريه ڤوتييه (A.Wautier): «إنه من المحال، بناء على الملابسات الواردة بالأناجيل، أن يكون قد تم صلب يسوع الناصري. فلم يكن من الممكن أن يقع عليه هذا العقاب الروماني المشين إلا لو كان الحاكم بيلاطس شخصيًا هو الذي حكم عليه بالموت» («كيف نشأت المسيحية»).

وإذا ما كان قد صدر الحكم على يسوع بالموت، فذلك لا يمكن إلا أن يكون بناء على قرار صدر ضده من المحكمة العليا اليهودية. لكن، في هذه الحالة لا يمكن أن تكون وسيلة الموت هي الصلب: إذ لا يمكن لحاكم روماني أن يسمح بتطبيق عقوبة رومانية تنفيذًا لإدانة نطقت بها إدارة قضائية محلية بسبب أحداث لا تمس الأمن العام الروماني والتي لم يتورط فيها أي مواطن روماني. إذن، لماذا أدانت المحكمة العليا اليهودية يسوع؟ هل لأنه لم يحترم يوم السبت، أو لأنه قال إنه يمكنه هدم المعبد وإعادة بنائه في ثلاثة أيام، أو لأنه قال إنه ابن الإنسان أو ابن الله؟

لا يوجد في كل هذا ما يهدد الأمن الروماني.

والملاحظ – وفقًا للأناجيل، أن السلطات الدينية قد أحضرت يسوع أمام بيلاطس، ولا تذكر بعد ذلك الأسباب التي تمت إدانته بسببها، وإنما راحت تتهمه بشيء آخر: أنه أقلق النظام وأنه قال إنه ملك اليهود، وهي اتهامات قام بيلاطس باستبعاد الثانية منها. ومن الواضح أن الأناجيل المتواترة تخلط بين شيئين على الأقل: قضية أو قضيتين سياسيتين، وطلب بتنفيذ حكم الموت السابق وأصدرته هيئة قضائية دينية.

كانت تتناقض مع ما تبتدعه الكنيسة من سيادة لبطرس - زعمًا بأن يسوع قد قال أنه صخرة وفوق هذه الصخرة سوف يشيد كنسيته!

وتوضح الأبحاث اللغوية التلاعب الذي تم في تحريف اسم سمعان كيفاس باريونا إلى سمعان بطرس ابن يونا وهو تحريف مزدوج قد وقع في كلمة باريونا وكلمة بطرس، وذلك لتغيير معنى الأولى من «مقاوم» إلى «ابن يونا»:

(barjiona= bar iona= bar Jona= filus Jonae)

ويؤكد لويجي كاتشيولي (Cascioli) إن هذا التغيير لإقحام كلمة ابن bar (بالأرامية) لا توجد بالنص اليوناني إلا في الأسماء التي تم تحريفها. بينما ابن كانت تترجم باليونانية «أويوس» (uios). كما أن كلمة بطرس وهي اليونانية Petra تحولت إلى اللاتينية Petrus وتعني أصلاً حجرة أو صخرة. كما تؤكد كل الأبحاث أن عبارة أو آية تشييد الكنيسة على بطرس هي إضافة لاحقة على الأناجيل، خاصة أن يسوع كان قد قال لبطرس: «اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (متى ١٦:٢٣)، وكررها في مرقس (٨:٣٣).

لكن من الواضح أن المؤسسة الكنسية كالمعتاد تأخذ من النصوص ما يروقها أو ما يتمشى مع ما ترمي إليه وتسقط أو تغض الطرف عما لا يخدم مآربها. إذ كانت الأيادي تقوم بتأسيس ما يكفل شرعية ووثائقية تبرر وجودها كطبقة حاكمة باسم الدين، في الوقت الذي تعلم فيه أنه لا شرعية لوجودهم إلا بالتزوير والفريات وإبادة الوثائق الأخرى.

وإذا ما رجعنا إلى أسماء أشقاء يسوع، وهي يعقوب، ويوسى، وسمعان، ويهوذا، نجد أنها نفس أسماء بعض الحواريين، وأن يهوذا تحديداً كان شديد الشبه بيسوع لأنه كان شقيقه وتقول بعض الأبحاث أنه شقيقه التوأم. وإذا ما تذكرنا أسماءه في الأناجيل سنجد يهوذا/ توما/ ديديموس. وتوما بالعبرية عني توأم وديديموس باليونانية تعني توأم.

ومن الطبيعي في كل الأسرات المتعددة الأبناء أن يتشابه منهم إثنان، ومن الطبيعي أكثر أن يتشابه التوأم. ونفس الشيء يلاحظ في نوعية التقارب بين الأخوة وأنه يتفاوت أيضًا، فقد يتقارب اثنان منهم في المفاهيم والميول، وقد تدب الغيرة أو الحقد من جانب أحد الإخوة تجاه الآخر. وهو ما حدث بين يهوذا ويسوع.

وما يؤكد قرابة يهوذا بيسوع الأناجيل وأنه شقيقه، نطالع - إضافة إلى ما هو وارد

بوضوح تام في الأناجيل، ما كتبه أسيبيوس من القيصرية قائلاً: «من أسرة الرب كان مازال هناك أحفاد يهوذا، وهو شقيقه وفقًا للجسد، وتم الإبلاغ عنهم لأنهم ينتمون إلى نسب داوود» (**التاريخ الكنسي**، م. ث، ف٢٠ ص١) ويقول النص بالفرنسية:

"De la famille du Seigneur restaient encore les petits enfants de Judas dit son frére selon la chaire, qui furent dénoncés car appartenant á la lignée de David" (Eus. De Cés. III,20,1)

ومن ناحية أخرى فإن قراءة بعض الآيات الواردة في الأناجيل على لسان يسوع واضحة المغزى عند قراءتها بعد معرفة هذه المعلومة، ومنها: «وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت» (متى ١٠:٢١)، «وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده» (مرقس ١٣:١٢)، أو «وسوف تسلّمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء» (لوقا ٢١:١٦) – وكلها آيات تكشف أو تعلن عن تسليم الأخ أخاه للموت.

وهناك مجموعة أخرى من الآيات تتضمن الإشارة إلى خطأ الأخ في حق أخيه، ومنها متّى ١٨:٢١ ولوقا ١٧:٣.

ومن الواضح أن التعتيم على يهوذا شقيق يسوع مرجعه لكي لا يقال إن شقيق «الرب» يسوع هو الذي خانه وأسلمه. كما أن إدانة فرد لن تجبّ كل اليهود كما جاهدوا ليتبنوها.

وهناك العديد من الآيات المتناثرة والتي تكشف عن أن أخوة يسوع كانوا من الحواريين. ففي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول بولس في ثورة انفعال وهو يحتج عند الذين يفحصوه أو يرتابوا في أمره،قائلاً: «ألعلّنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وأخوة الرب وصفا» (٩:٥). ونخرج من هذه الآية بمعلومتين: أن أخوة يسوع كانوا من بين الرسل وأعضاء عاملين في المجموعة، وأنهم كانوا جميعًا متزوجون، وأن بولس يطالب بأن يكون له هو أيضًا حق أن يتجول في تحركاته بزوجته مثله مثل باقي الجماعة ومنهم أخوة يسوع. وهو ما يؤكد أن يهوذا كان شقيق يسوع الذي أسلمه وفقًا للنصوص.

وإذا أخذنا برواية يوحنا وأن من أتوا للقبض عليه قد تراجعوا وسقطوا على الأرض عندما قال لهم يسوع أنه من يطلبونه، وقد أفزعهم شدة الشبه بينه وبين يهوذا، وقد كان يسوع خرج من البستان للقائهم، وعتمة الظلام تسمح له بالهروب مع حوارييه. فما أكثر المواقف التي تورد فيها الأناجيل أن اليهود كانوا دائمًا يحاولون الإمساك بيسوع، وهو دائم الإفلات أو الهرب منهم، وبذلك يكون قد تم القبض على يهوذا وتم صلبه بدلاً من يسوع.

وإذا ما أخذنا بما تورده الأناجيل المتواترة من أنه تم القبض على يسوع، رغم ما بها من اختلافات في التفاصيل، وكلها اختلافات لها مغزاها في تحليل النصوص، فإن ما لاشك فيه أنه عند قراءة هذه النصوص بتأن فإننا نشعر أنه ليس نفس الشخص الذي مثل أمام المحكمة العليا وأمام بيلاطس. وهو ما يبدو شديد الوضوح خاصة في إنجيل متى الذي يظهر فيه عدم الترابط بين الأحداث بصورة لافتة للانتباه، وخاصة زجه بمشهد انتحار يهوذا في موقع ليس مناسبًا لسياق الأحداث وكأنه يود التخلص من وجود الشخصية بأي وسيلة.

ويورد الباحث أندريه فوتيبه نقلاً عن المؤرخ فلافيوس جوزيف من كتاب «**حرب اليهود ضد الرومان**» ما يلي حول تدخل بيلاطس في القضية قائلاً: «لقد تحرى عنه وعلم أنه كان يقوم بأعمال خيّرة، ولا يفعل الشر، وأنه لم يكن ثوريًا ولا طامعًا في السلطة. لذلك أفرج عنه. لأنه كان قد شفى زوجته وكانت على شفى الموت. وعند عودته إلى المكان المعتاد، راح يمارس نشاطه كالمعتاد. ومرة ثانية تزايد عدد الناس الذين كانوا يلتفون حوله وازدادت شهرته بأفعاله أكثر من أي شخص آخر. وأكلت الغيرة رجال الشرع فأعطوا لبيلاطس ٣٠ تالنت ليقتله، فأخذها منهم وسمح لهم بتنفيذ رغبتهم بنفسهم».

وأول ما نخرج به من هذا النص الموجود في إحدى الترجمات السلافية لكتاب «**حرب اليهود ضد الرومان**» هو أن بيلاطس هو الذي تسلم مبلغ المال لتسليم يسوع وليس يهوذا. كما نخرج بأن يسوع قد مثل مرتين أمام بيلاطس وأنه في أول مرة قد تم الإفراج عنه - بينما لا يورد إنجيل كل من مرقس ومتى إلا مثوله مرة واحدة أمام بيلاطس. إلا أن لوقا يذكر أنه مثل مرتين ويفصل بينهما بمثوله أمام هيرودس وهو ما لا أثر له في أي نص من نصوص الأناجيل المعتمدة. ويورد إنجيل يوحنا مثولان أحدهما في دار الولاية، والثاني «يقال له البلاط وبالعبرانية جباثا» (١٩: ١٣-١٥)! أما النصوص الحالية لهذا الإنجيل فتضع المثولين تباعًا - فمن غير المعقول أن يتم التحقيق مع يسوع في مكان ويتم الإفراج عنه، ثم يدخلوه مكانًا آخرًا لتتم إدانته؟!

وتكشف جزئية مثول يسوع أمام هيردوس عن تبديل الشخص المتهم. فالإعجاب الشديد الذي كان يكنه ليسوع ويتطلع إلى مقابلته «من زمان طويل فسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء». فاحتقره هيردوس وأعاده إلى حيث أتى! يدل على أن من مثل أمام هيردوس شخص آخر شبيه بيسوع وإلا ما تحول الإعجاب إلى احتقار بمثل هذه السهولة.

وما أكثر الذين كتبوا أن يسوع قد امتد به العمر وتزوج مريم المجدلية، خاصة جيرار ميساديه (G.Méssadié) في كتابه المعنون «**الرجل الذي أصبح الله**» (١٩٨٩). وكذلك إنجيل فيليب الذي طبع حديثًا. ويورد أندرياس فابركايزر (A.Faber-Kaiser) في كتابه المعنون: «يسوع عاش في كشمير» (١٩٧٨) أن يسوع قد ذهب مع أمه وتوما إلى دمشق، ثم ذهب إلى ما بين النهرين ومنها إلى باكستان حيث توفيت أمه، إذ أن مقبرتها لا تزال قائمة في بلدة موري (Murree) على بعد عشرة كيلومترات من روالبندي، ومنها انتقل إلى كشمير وتوفي في سن متقدم، وهو ما يتفق وإشارة الآية بأنه لم يتم الخمسين من العمر بعد..

ومن المؤكد أن عملية الصلب غير متواترة لأن الذين كتبوا الأناجيل لم يشاهدوا الوقائع. بل لقد أنكر مسألة الصلب العديد من فرق النصارى منهم السيرنثيين والتاتيانوسيين - أتباع «تاتيانوس» تلميذ يوستينوس الشهيد (Justin) وقال فوتيوس أنه قرأ في كتاب «**رحلة الرسل**» أن المسيح لم يصلب وصلبوا غيره، وكان هو يضحك من ذلك. وهناك العديد من الأناجيل المستبعدة تنكر عملية الصلب، ومنها إنجيل بطرس، وإنجيل توما، وخاصة إنجيل برنابا الذي اختاره الروح القدس ورغمها استبعدته الأيادي العابثة.. بل تنص الموسوعة الكاثوليكية في مجلدها الخامس صفحة ١٤ على أنه «لا يمكننا الوثوق تمامًا في المؤرخين الأساسيين لفترة آباء الكنيسة»، وهو ما يعني أن نصوص القرون الأولى برمتها مشكوك في مصداقيتها.

لذلك تظل هناك العديد من الأسئلة التي تبحث عن إجابات منطقية بعد كل هذا التقدم في الدراسات التحليلية للنصوص الكنسية والإنجيلية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: كيف جرت المحاكمات خاصة تلك الجزئيات التي جرت مع يسوع ولم يكن هناك أي شاهد ولم ترد أية إشارة إلى وجود مترجم، لأن بيلاطس كان يتحدث اللاتينية ويسوع الأرامية؟ ماذا عن هروب الحواريين وغيابهم يوم الصلب، فمن غير المعقول أن تنفض المسألة وكأن يسوع لم يكن!

وماذا عن مقبرة يسوع؟ فإن كان قد دفن فعلاً في قبر منحوت في الصخر لظل حتى يومنا هذا - إن كان الأتباع حريصين على تخليد ذكراه. بل حتى وإن كان قد دفن في ذلك القبر المحفور في الأرض لظلت معالمه قائمة بزيارات الأتباع! وماذا عن تلك الأبحاث التي كشفت بالقطع أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة أيام يسوع وأنه قد تم إنشاؤها في القرن الرابع؟ وبالتالي ننتقل إلى العقيدة الكاثوليكية التي تربط بأي وسيلة اسم يسوع باسم

وجزئية: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾، والظن لغة شك ويقين إلا أنه ليس بيقين عيان، وإنما هو يقين تدبر. فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم، وأن الظن أكذب الحديث. وذلك يعني أن ما يقوله كتبة الأناجيل لا يعرفون عنه شيئًا وأنهم لا يتبعون إلا أكذب الحديث. ويعيد الله سبحانه وتعالى أنهم ما قتلوه يقيناً. واليقين من الله عز وجل لا يعلو عليه ولا خلاف فيه.

أما العبارة التالية والتي تقول: ﴿بل رفعه الله إليه﴾، فهي أيضًا تحتمل التفاسير السابقة من حدوث معجزة الرفع في نفس لحظة القبض عليه، كما تحتمل أنه امتد به العمر ومات ميتة طبيعية، وأن الله هو الذي توفاه ولم يقتله أحد. ويزداد هذا المعنى وضوحًا وتأكيداً إذا ما رجعنا إلى الآيتين الآخريين الواردتين في سورة آل عمران، ونصها: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين • إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ (آل عمران: ٥٤-٥٥).

وتبدأ بالإشارة إلى مكر الذين دبّروا اغتياله إلا أن قدرة الله على إنقاذه أقوى من قدرة المتآمرين. ثم قول الله تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ ومع التأكيد على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي سيتوفاه، فإن الصيغة تحمل معنى المستقبل أيضًا. أي أنه في الآيتين الله هو الذي سيتوفاه وسيرفعه إلى العالم الآخر حيث يطهره من الذين كفروا ويجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا..

لذلك لا يسعنا إلا أن نشير إلى تلك الآيات الواردة بالعهد القديم وهي واردة بنفس النصوص التي استعان بها كتبة الأناجيل لتنسج قصة قتله وصلبه.

«طلبت إلى الرب فاستجاب لي ومن كل مخاوفي أنقذني. نظروا إليه واستناروا ووجوهم لم تخجل. هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلّصه» (المزمور ٣٤: ٤-٦)، «مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعي، الرب عزّي وترسي عليه اتكل قلبي فانتصرت، ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده. الرب عزّلهم وحصن خلاص مسيحه هو» (المزمور: ٢٨: ٦-٨)، و«دربني في حقلك وعلمني لأنك أنت إله خلاصي» (مزمور ٢٥ :٥)، «يارب خلّص، ليستجب لنا الملك في يوم دعائنا» (المزمور: ٢٠ :٩)، وفي الآية ٦ يقول: «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه، يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه»! بل ونطالع في سفر حبقوق: «**خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك**» (٣ :١٣).

ولا نملك إلا أن نعجب لماذا لم «يلحظ» هؤلاء الكتبة كل هذه الآيات التي تؤكد أن الله سبحانه وتعالى قد خلّص مسيحه من الصلب؟! لماذا أصروا على صلبه خاصة وأن بولس يؤكد في رسالته إلى العبرانيين إصحاح ٥ آية ٧ قائلاً عن يسوع: «الذي في أيام جسده، إذ قدّم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه»؟! أي أن الله عز وجل استمع إلى تضرعاته واستجاب له وخلصه من الصلب.

ونوجز هذه القصة بإعادة تأمل الآية الكريمه في إيجازها البليغ **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾** (النساء: ١٥٧-١٥٨).

فقد شُبه لهم، واختلفوا فيه، وهم في شك منه، ولا علم لهم إلا إتباع الظن وأكذب الحديث - فما قتلوه يقيناً؛ لأن الله قد خلّص مسيحه..

متاهة مخطوطات قمران

يمثل اكتشاف مخطوطات قمران، التي تم العثور عليها سنة ١٩٤٧ قرب البحر الميت، نقطة فارقة في تاريخ المسيحية، بل يعتبرها البعض أهم وأخطر اكتشافات القرن العشرين.

ولا أدل على تلك الأهمية من أنه بعد مرور عشر سنوات على هذا الكشف، قام العالم الألماني شارل بورخارد، في برلين، بعمل سجل للإصدارات التي توالت طوال ذلك العقد ونشره سنة ١٩٥٧. ويتضمن هذا السجل أو هذه الفهرسة ١٥٣٨ عنوانًا لكتاب أو لبحث علمي أو مقال. وفي شهر يوليو ١٩٥٨ صدر العدد الأول لمجلة علمية بعنوان: «مجلة قمران» باللغة الفرنسية، وبعد عام تقريبًا صدرت مجلة أخرى بالإنجليزية بعنوان: «اكتشاف البحر الميت» ومن البديهي أن الرقم الوارد في الفهرسة قد تضاعف عدة مرات حتى يومنا هذا.

وإن دل هذا الكم المتواصل من الإصدارات في العالم عن شيء، فهو يؤكد على ما لأهمية هذه المخطوطات من أثر فيما يتعلق بتاريخ اليهودية والمسيحية بعامة، وبتاريخ المؤسسة الكنسية بصفة خاصة.

وتعد هذه المخطوطات أقدم مجموعة وثائق تتعلق بالكتاب المقدس بعهديه، وبتاريخ جماعاتها المتعددة. وتزداد أهميتها بالنسبة للجمهور وفقًا لما تتناوله وسائل الإعلام. فمن أهم ما راحت الصحافة تتناوله بالتعليق ما شاع آنذاك من أن هناك تأخير متعمد وعملية تعتيم مفروضة بيد من حديد لعدم نشر أية معلومات جادة حول هذه النصوص وترجمتها.. خاصة وأن المتحكمين فيها أساسًا من رجال الدين المسيحي العاملين في المعهد الإنجيلي بالقدس، أي أن الموضوع في نهاية المطاف خاضع لإشراف القيادات العليا في الفاتيكان ولجانه المتخصصة في مصادرة كل ما يخالف الخط الرسمي الذي تفرضه.

وفي شهر مايو ١٩٥٠، وقبل حتى أن يتم اكتشاف باقي الكهوف، تقدم العالم أندريه دوبون - سومير (André Dupont - Sommer)، أستاذ اللغة والحضارة السامية بجامعة السوربون، ببحث كان بمثابة قنبلة ناسفة لأركان المسيحية وعقائدها، عندما أعلن: «أن سيد العدالة»، رئيس طائفة الأسينيين، يبدو وكأنه النموذج الأصلي ليسوع. وذلك استناداً إلى النصوص التي تمت ترجمتها مبدئيًا، ومنها مخطوطة «قانون الجماعة»، و«تعليق حبقوق»، و«وثيقة دمشق».

فاونديشن» بالقدس، تحت مسؤولية قسم الآثار بالأردن، والمدرسة الإنجيلية الفرنسية، ومتحف آثار فلسطين. وتم تكوين فريق عمل دولي برئاسة الأب رولاند دي فو (Roland de Vaux)، القس المشهود له بالتعصب الشديد لكاثولكيته والذي قام باستبعاد كل الذين لا ينتمون إلى المجال الكنسي، خاصة دوبون - سومير، الأستاذ بجامعة السوربون، وجميع العاملين معه بسبب ما أعلنه سنة ١٩٥٠.

وبذلك أصبحت هذه الوثائق موضوعة في منطقتين على جانبي خط تقسيم مدينة القدس، والذي كان يشقها نصفان من ١٩٤٩ وحتى حرب ١٩٦٧ عندما وضع الصهاينة أيديهم على كل المخطوطات - إلا أنه يقال أنهم كانوا قد تركوا وضع اللجنة الدولية كما هو عليه: أي أن كل أعضائها من رجال الدين المسيحي ولم يكن بينهم يهوديًا واحدًا.

وإجمالي هذه المخطوطات يمثل قرابة مائة ألف جزء من النصوص العبرية القديمة والآرامية، موزعة على حوالي ٨٧٠ مخطوطة مختلفة، منها حوالي ٢٢٠ متعلقة بأسفار العهد القديم، التي توجد بكاملها ما عدا سفر إستر، وهو السفر الوحيد في العهد القديم الذي لا يرد فيه اسم الله.. ويقول بارت إيرمان (Bart Ehrman): «لا يمكن التقليل من أهمية مخطوطات البحر الميت بالنسبة للمسيحية الأولى، إلا أن أهميتها غير مباشرة، بمعنى أنها على الرغم من عدم وجود أية إشارة بها إلى يوحنا المعمدان أو يسوع أو أي أحد من أتباعه، أي أنها لا تتضمن أية إشارة إلى المسيحية، لكنها مهمة بالنسبة لدراسة المسيحية الأولى لأنها تعطينا لمحة نادرة عن المجتمع والثقافة والدين في المكان الذي وُلدت فيه المسيحية «المسيحيات المفقودة، صفحة ٤٨.

وهو ما يؤكده إدمون ويلصن (Edmon Wilson) الباحث الأمريكي في كتابه عن «مخطوطات البحر الميت»، من «أن المخطوطات مرتبطة باليهودية الحاخامية مثلما كانت عليه في القرن الأول الميلادي هي والمسيحية الأولى إلا أنه من الملاحظ تكتم الباحثين اليهود والمسيحيين في إظهار هذه الروابط بوضوح».

وهو نفس ما يؤكده نورمان جولب (Norman Golb) في كتابه المعنون: «من كتب مخطوطات البحر الميت؟» مشيرًا إلى التنويعة الواسعة في الموضوعات التي تتناقض أحيانًا مع بعضها البعض: «الأمر الذي يوضح تزايد عدد الباحثين الذين يتحدثون لا عن أفكار طائفة قمران، وإنما عن التيارات اليهودية القديمة المنعكسة في هذه الوثائق. وهو ما سوف يؤدي إلى توضيح العلاقة بين هذه النصوص واليهودية الحاخامية وبدايات المسيحية في القرنين الأول والثاني الميلاديين».

البعثات للبحث عن مخطوطات أخرى في الكهوف المحيطة بالبحر الميت بينما كان يشغل منصب رئيس قسم الآثار ثم معهد الآثار التابع للجامعة العبرية في القدس.

ومن أهم أبحاثه العلمية نشر مخطوطة «حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام» (١٩٦٢)، و«تفللين» من قمران (١٩٦٩)، و«مخطوطة المعبد» (١٩٨٣) وهي أكمل وأطول مخطوطة في المجموعة، كما كان قد أصدر كتابًا بعنوان «رسالة المخطوطات» (١٩٧٥)، وعدد من الكتب الأخرى للتعريف بمنطقة مسادة وحاستور، والأسفار المكمورة، وباركوخبا.

وقد كان من الأطراف الرئيسية في لعبة شراء المخطوطات المهربة إلى أمريكا. ففي ١٩٥٤/٦/١١ قام اليهود بشرائها في فندق والدورف أستوريا بمبلغ ربع مليون دولار، وفي ١٩٥٤/٧/٢ انتقلت المخطوطات من ذلك الفندق إلى قنصلية إسرائيل في نيويورك، وتم إرسالها إلى الكيان الصهيوني على مراحل. وظلت تفاصيل هذه العملية طي الكتمان إلى أن أعلنت الصحف «شراء إسرائيل للمخطوطات من رئيس الأساقفة صمويل» وارد في كتاب ج. تريفر «J.Trever»، **«قصة قمران التي لم تحكى»** (١٩٦٦).

ويقول كل من مايكل بيجنت ورتشاردلي في كتابهما الذي أخفت السلطات الكنسية ترجمته الفرنسية، والغريب أن عنوانه كان: **«الكتاب المقدس المصادر»** فقد تمت مصادرة نفس الكتاب فعلاً! يقول الكاتبان أن الحكومة الأردنية كانت قد اتهمت رسميًا رئيس الأساقفة المدعو صمويل بالتهريب والخيانة وأنه لم يكن من حقه تهريب المخطوطات خارج الأردن. واعتبرت الأمريكان مسؤولين عن نشر نصوص وصلتهم عن طريق التهريب وبالتالي فهم متهمون بالتواطؤ الإجرامي (صفحة ٤٢).

لذلك يوضح الكاتبان أنه منذ ١٩٥٤ كانت هناك مجموعتان متميزتان من النصوص وفريقان من الباحثين يعملان دون أية صلة بينهما. ففي القدس الغربية ينكب اليهود على المخطوطات التي استولى عليها كل من سوكنيك وإيجال يادين، وفي القدس الشرقية، يعمل الفريق الدولي في متحف روكفلر تحت إدارة الأب دي فو. ولم يكن أي فريق منهما يعرف ما يقوم به الفريق الآخر إلا من خلال ما يتم نشره في المجلات المتخصصة.

وبدأت معارك النشر والتعتيم.. وهنا يقول العالم هرشل شانكس: «هناك عُرف متبع بين العلماء، فهو غير مدون في أي قانون، أن الباحث المسؤول عن نشر نص من النصوص تصبح له أحقية كاملة عليه، وبالتالي يمكنه أخذ الوقت الذي يراه لازمًا لعمله، ولا يحق لأي باحث آخر حتى أن يّطلع على النص إلا بإذنه، كما لا يحق لأي أحد سواه أن يقوم بنشره» (صفحة ١٧).

وتمثل عملية نشر المخطوطات متاهة أخرى من الصعب تتبع حقيقتها بالتفاصيل المطلوبة أو على الأقل بالأمانة المرجوة. فاللافت للنظر هو التباطؤ الشديد والتحكم المطلق سواء في عملية النشر أو في إمكانية الإطلاع عليها، وأن أمكن اختصار متاهة عمليات النشر هذه لوجدنا أن محتويات الكهوف من ١ إلى ٣، ومن ٥ إلى ١٠ قد تم نشرها في غضون عام ١٩٦٠، وأن كثيرًا من مخطوطات الكهف رقم ١١ كان يمكن الإطلاع عليها في منتصف عام ١٩٨٠، وأن أغلب محتويات الكهف رقم ٤ وهو يعد من أهم الكهوف نظرًا لما حواه من وثائق، فقد امتد منع تسرب أي معلومة عنها قرابة ثلاثين عامًا! ولم يتم نشر بعض مخطوطاتها إلا سنة ١٩٩٠ وهناك إجماع بين العلماء الذين يعملون في هذا المجال أنه لا يزال هناك العديد من المخطوطات المحظور الإطلاع عليها أو التي لا تزال قابعة تحت «القفل والمفتاح» كما يقولون، حتى يومنا هذا..

ويعد كلا من بيجنت ولي من أهم من كشفا عن غموض مجريات الأمور، واتهما الفاتيكان صراحة بالتعتيم على مخطوطات البحر الميت وحجبها عن الجمهور لأنها تزلزل أركان العقيدة المسيحية الأساسية.

وبخلاف انتقادهما التأخير المبالغ فيه في عملية النشر، فإن الزمرة المتحكمة من الناشرين الذين يسيطرون ويتحكمون في حوالي أربعمائة من النصوص التي لم تنشر من الكهف الرابع، يمنعون أي باحث آخر من الوصول إليها. ثانيًا: أن تلك الزمرة المتحكمة معظمها من الكاثوليك العاملين في المعهد الفرنسي الإنجيلي والآثار، الذي يديره والدومنيكان. ويقع هذا المعهد في القدس الشرقية التي كانت تحت السلطة الأردنية حتى عام ١٩٦٧.

وكان أندريه كاكو (André Caquot) الأستاذ بالكوليج دي فرانس وعضو أكاديمية العلوم والآداب من الذين انتقدوا التأخير الشديد في نشر هذه المخطوطات قائلاً: «أنه موقف بشع من الناحية العلمية إذ أن جيل من الباحثين قد حرم من هذه الوثائق الأساسية ولا يمكن أن يستمر هذا الوضع» (مجلة إكسبريس ١٩٩١/٤/٢٥) وكان قد سبق لكل من إدمون ويلسن وجون الليجرو وجيزافرمس أن انتقدوا الفريق الدولي وزبانه في تحايله على النشر وفرض احتكار علمي على الوثائق. وكان الليجرو قد انتقد المحاولات المستميتة للفريق لفصل المسيح عن المخطوطات مؤكدًا على الروابط الأكيدة بينهما بل أنها أكثر قربًا مما يمكن لأي أحد أن يتخيله.. أما جيزا فرمس فقد أعلن «أن أهم الاكتشافات من مخطوطات عبرية وآرامية في سبيلها إلى أن تكون الفضيحة العلمية القصوة في القرن العشرين».

وقبل أن ننهي هذه الجزئية الخاصة بالتشابه بين نصوص قمران ونصوص الأناجيل، نتناول اسم «سيد العدالة» بشيء من التوضيح لما له من أهمية.. في الكتاب الذي أصدره لاپروساز عام ١٩٦١ بعنوان «**مخطوطات البحر الميت**» يقول: «لقد ورد اسم سيد العدالة ثلاث مرات في مخطوطة «وثيقة دمشق»، وثلاث مرات أخرى بالكناية ومرتان في التعليق على المزمور ٣٧، ومرة في سفر ميخا، وثمان مرات في سفر حبقوق»، ثم يوضح لاپروساز في كتابه الصادر عام ١٩٦١ عدم ورود الاسم في المخطوطات الأخرى لاحتمال أنه هو الذي كتبها شخصيًا فقد «كان عضوًا من رجال الدين، وكان هو المنظم للجماعة التي نجمت عنها مخطوطات قمران، وقد تم اضطهاده ونفيه وتخلى عنه أغلب تلاميذه، واعتبره أتباعه المخلصين بعد وفاته كأنه المسيح المنتظر عند آخر الزمان» (صفحة ٨٢).

أما في الكتاب الصادر سنة ٢٠٠٠ بمناسبة مرور خمسين عامًا على اكتشافات قمران، فيقول نفس إرنست - ماري لاپروساز: «إن اسم «سيد العدالة» غير معروف في النصوص المسيحية باستثناء وروده في الفولجات (Vulgate) التي كتبها القديس چيروم في أواخر القرن الرابع، والتي تعد الصيغة الرسمية للإنجيل بالنسبة للكنيسة اللاتينية، أي الرومية». والمعروف أن هذه الفولجات التي تمثل النص الرسمي للكنيسة كان القديس چيروم قد كونها اعتمادًا على الترجمة السبعينية للعهد القديم واختيارًا من بين الأناجيل المتداولة في عهده ويقال إن عددها كان قد وصل إلى سبعين إنجيلاً.

ثم يورد لاپروساز نصًا من أخبار الأيام الثاني (٣:١٥) يقول: «ولاسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق وبلا كاهن معلم وبلا شريعة» ثم يضيف قائلاً: «الفولجات مثلها مثل الترجمة السبعينية، تتضمن آخر مقطع لهذه الآية بسبب المعنى المتشابه سمعًا لكلمة «معلم» و«مطر الخريف» أي أنه راح يبرر التحريف الوارد في الطبعات الحديثة، مشيرًا إلى مقطع من المزامير (٧:٨٤) ويقول النص الفرنسي:

On passant par la plaine du Baumier, ils boivent á la source et même la pluie d'automne donne ses bénédictions

(صفحة ٢٨٦ من نص إنجيل الفاتيكان) وترجمة هذا النص تعني: «عابرين في وادي البلسان، يشربون من الينبوع، وحتى مطر الخريف يعطي بركاته».

والنص العربي في ترجمة الكتاب طبعة ١٩٦٦ يقول: «عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعًا أيضًا ببركات يُغَطّون مورة»، والمعني غير مفهوم بوضوح في المقطع

وترجم معناها بصورة سليمة قائلاً: «لأن قد أعطاكم سيد العدالة» أم أنه يحاول اثبات أن الترجمتين صحيحتان ويمكن استخدام «مطر الخريف» في مكان «سيد العدالة» بلا حرج أو بلا خطأ، أم أنه يشير إلى التلاعب والتحريف والله أعلم!

وفي خاتمة الكتاب الجماعي الذي أشرف عليه وكتب حوالي ثلث مقالاته يقول لابروساز: «ومنذ هذا الاكتشاف، نرى بعض الإخصائيين في الآداب التلمودية أو حتى اليهودية الوسطى، يرفضون نسب مخطوطات البحر الميت إلى الأسينيين - المنافسون اليهود لأجدادهم الفاريسيين، مدعين استبعاد تواريخ أصل جماعة سيد العدالة وأصل تأليف كل هذه الوثائق، ناسبين الجماعة والوثائق إلى المسيحيين، مسيحيين من مختلف المراحل الزمانية وفقًا لمؤلفيها، بما في ذلك مسيحيين ينتمون إلى الجماعة الأولى من اليهود - المسيحيين. وعلى العكس من ذلك نرى بعض المسيحيين، خاصة الكاثوليك، محاولين استبعاد تاريخ تأليف مخطوطات البحر الميت - ربما كرد فعل متعمد أحيانًا، حيال مواقف سابقة، من الوقت الذي تكونت فيه المسيحية، وأرجعوا هذا التأليف بلا سبب علمي جاد بل وعلى عكس المعلومات الدقيقة الناجمة عن علم الآثار والتاريخ، إلى القرن الثاني قبل الميلاد» (صفحة ٤٢٠).

من الواضح جليًا أن التلاعب قائم بين المجموعتين، اليهود والمسيحيين، وأن هناك سلطات عليا تدير خيوط اللعبة. وهنا يؤكد كل من مايكل بيجنت وريتشارد لي أن رئيس اللجنة المسيحية، وأيًا كان من ترأسها بعد وفاة الأب دي فو، كان عليه أن يرفع التقارير إلى عميد المعهد الإنجيلي المقدس، الذي كان بدوره يرفعها إلى السلطات المعنية في الفاتيكان.

والمعروف أن رجال الدين يؤدون قسم الولاء للفاتيكان عند تعيينهم، وذلك يعني بالتبعية أن المعهد الإنجيلي كان على صلة مباشرة بالفاتيكان - إن لم يكن بالبابا شخصيًا. وبالتالي، على حد وصف الباحثان: «فإن المعهد الإنجيلي عبارة عن ملحق إضافي لترسانة اللجنة الإنجيلية البابوية - وهي أداة نشر عقيدة الإيمان الكاثوليكي تحت مسمى الأبحاث التاريخية والأثرية».

ثم يوضحان كيف كان الكاردينال راتزنجر، البابا الحالي والمسمى بنيديكت السادس عشر منذ ٢٠٠٥/٤/١٩، مديرًا للجنة، ويدير جهازًا كاثوليكيًا آخر هو لجنة عقيدة الإيمان. وهو المسمى الحالي (منذ ١٩٦٥) لما كان عليه من قبل وكان اسمه المكتب المقدس (منذ ١٩٠٨)، وقبلها كان اسمه الرسمي: محاكم التفتيش.. وكان اسم من يترأس هذه

بل لقد زاد الأب سكيهان (Skehan) الطين بلة عندما أعلن بصراحة قائلاً: «وفي نهاية المطاف، فإن عمل كل باحث متخصص في الكتاب المقدس يجب أن يعمل وفقًا لما تحدده لجنة عقيدة الإيمان من منهج عمل، وأن يخضع دومًا للحق السيادي للكنيسة الأم، المقدسة، التي تحكم وترى ما يتفق فعلاً مع التعاليم التي تلقتها من يسوع» (شانكس، صفحة ٢٢٠).

وما العمل إذن عندما يجد الباحث نفسه أمام معطيات لا تتفق مع ما يفرضه ذلك الخط الكنسي وتعاليمه الصارمة؟ إن الرد واضح من توجيهات الأب سكيهان: «إن كل ما لا يمكن اخضاعه للعقيدة القائمة للكنيسة يجب بالضرورة أن يستبعد».

وهو ما يؤكد مدى التلاعب بهذه المخطوطات كما يؤكد بوضوح لماذا كان الأب دي فو، رئيس اللجنة الدولية لدراسة المخطوطات يجاهد بقدر الإمكان لكي لا يسبب أية مضايقات للسلطة الكنسية. ومما لاشك فيه أن بعض هذه الوثائق يمكنها عمل ذلك.. الأمر الذي أدى إلى فرض خطوط حمراء في التفسير والترجمة، خطوط لا يمكن الخروج عنها وإلا..

ونطالع في كتاب شانكس أن أخطر ما قامت به اللجنة الدولية من محاولات تعتيم هو التلاعب في نتائج تحليل الكربون ١٤ لترحيل تاريخ المخطوطات إلى الوراء على الأقل مائة عام لفصلها عن بدايات المسيحية تمامًا. وأن أية محاولة لتغيير هذا التلاعب أو كشف الحقائق كان يتم تكميمها فورًا. وما أن يتم ترحيل تاريخها لمدة قرن أو أكثر إلى عصر ما قبل المسيحية، تجهض المخطوطات من مضمونها وتفقد أية فاعلية للمساس بالمسيحية وبذلك فقد قام الفريق الدولي بإبطال مفعول أية إمكانية ناسفة للمسيحية الحالية.

وكان الناقد الأمريكي إدمون ويلصن (Edmon Wilson) أول من أعلن أن هناك شكوكاً حول موقف اللجنة الدولية من نتائج تحليل كاربون ١٤ قائلاً: «ما أن نبدأ في دراسة المنازعات الناجمة عن دراسة المخطوطات نلحظ توترًا غريبًا.. إلا أن هذا التوتر لا ينجم عن مشكلات تحديد التاريخ والتي أثارت معارك ضارية، لكن معارك تحديد التاريخ تخفي اهتمامات أخرى ليست علمية» (**مخطوطات البحر الميت**).

وقال العالم فيليب ديفز (Philip Davies) استاذ الدراسات الإنجيلية بجامعة شفيلد ومؤلف كتابان حول المخطوطات، بتأييد تأكيدات ويلصن مشيرًا إلى أن أغلب العاملين على المخطوطات مسيحيون تكونوا على العهد الجديد وتعاليمه ويذكروننا بالخلط الأزلي بين التاريخ واللاهوت».

الكنسي - ولو شكلاً - بعد أن حصلوا على موافقة ضم بعض علماء اليهود إلى الفريق الدولي، إلى ذلك الفريق الذي يجاهد للتعتيم على وثائق معاصرة يقينا للفترة التي من المفترض أن يكون قد عاش فيها يسوع.

وماحدث للعالم چون الليجرو، عضو اللجنة العلماني الوحيد، يوضح إلى أي مدى يصل تحكم الكنيسة. فلقد استطاع الليجرو أن يتخطى الموانع الديناصورية الطابع ونشر أبحاثه التي ما كادت تصدر حتى انهالت عليه حربًا شعواء بدأت بتفنيد أعماله وتكذيبه بأسلوب عبارة عن عملية هدم لمصداقيته كعالم، ومُنع من الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية وتم استبعاده من الجامعة ونفى ومات قهرًا لأنه تجرأ وأكد في أبحاثه أوجه الشبه الكثيرة الواردة في المخطوطات وما سمح له بتأكيد «عدم وجود أي سند تاريخي للسيد المسيح كما تقدمه الكنيسة».

ولم يكن الليجرو الوحيد الذي دفع مكانته العلمية وحياته ثمنًا لتمسكه بأمانة البحث العلمي. فما أكثر الذين تمت إدانتهم وفصلهم من وظائفهم أو حرمانهم أو تكميم أفواههم من قِبَلْ لجنة محاكم التفتيش التي كان يترأسها الكاردينال راتزنجر، وكثير منهم كانوا من رجال الدين ومبشرين ومعلمين أو من الباحثين العلمانيين. وتتضمن قائمة أسماء الضحايا عددًا من كبار العلماء من أمثال الأب إدوارد شيلبيكس (E. Schil-lebeeckx) من جامعة نيجمنجن في هولندا. ففي عام ١٩٧٤ أصد كتابًا بعنوان: «**يسوع: تجربة في المسيحية**» يناقش فيه بعض مسلمات العقيدة من خلال الاكتشافات الجديدة، وذلك مثل قيام يسوع أو الميلاد العذري. وفي ديسمبر ١٩٧٩ تم استدعاؤه أمام محكمة عقيدة الإيمان (محكمة التفتيش سابقًا)، ثم أعيدت محاكمته سنة ١٩٨٢ بسبب كتابه عن رجال الدين وتحكمهم..

وهناك عالم اللاهوت السويسري القس الدكتور هانز كونج (Hans Küng) رئيس قسم اللاهوت بجامعة توبنجن بألمانيا. فقد أصدر سنة ١٩٧٠ كتابًا بعنوان: «**معصوم من الخطأ؟**» ينتقد فيه فرض معصومية البابا من الخطأ كعقيدة إيمان - وهو ما لم يكن وارداً في تاريخ الكنيسة حتى فرضه مجمع الفاتيكان المسكوني الأول في أواخر القرن التاسع عشر.. وكان كونج قد أعلن صراحة أنه «ما من إنسان معصوم من الخطأ، والله وحده هو المعصوم، وهذه العقيدة المفروضة من الكنيسة قائمة على غير أساس». وفي ١٨ ديسمبر ١٩٧٩ قام البابا يوحنا بولس الثاني بفصل هانزكونج من منصبه بناء على توصية من لجنة عقيدة الإيمان وحرمانه من تدريس العقيدة الكاثوليكية الرومية ومنع كتبه من النشر.

وفي تعليق له صدر في جريدة الصن داي تايمز (١٩٨٤/١٢/٢) قال هانزكونج: «لقد أدانني البابا الذي رفض أبحاثي في اللاهوت دون حتى أن يقرأ حرفًا مما كتبت وظل رافضاً مقابلتي. والحقيقة هي أن روما لا تبحث عن الحوار وإنما عن الخضوع لسلطانها»..

وما لا يعرفه العديد من الناس أنه منذ عصر التنوير قد زودت المؤسسة الكنسية نفسها بفريق عمل من «العلماء» الذين يطلق عليهم «فريق المصدات» وكل مهتهم هي التصدي لأعداء الكاثوليكية على نفس أرض مجالهم العلمي. وهكذا بدأت الحركة الكاثوليكية الحديثة. إلا أنه ولخيبة أمل المؤسسة، قد أنقلب هذا الفريق عليها وباء بالفشل. فكلما كانت تبحث عن تزويد هؤلاء القساوسة الشبان بالأسلحة الضرورية لتزج بهم في ساحة الصراع، كلما أيقن نفس هؤلاء الباحثين الحقائق وراحوا يهجرون السبب الذي من أجله قد تم تجنيدهم..

إن التحليل النقدي للكتاب المقدس قد كشف عن عدد لا حصر له من التناقض وعدم التوافق بما يمس أركان العقيدة، وراح العديد من هؤلاء العلماء يتحول إلى مهاجمة ما كان من المفترض أن يدافع عنه. لذلك كان البابا ليون الثالث عشر قد أنشأ اللجنة البابوية لإرشاد ومراقبة عمل تحليل النصوص. وفي نفس ذلك العام قام خليفته، بيوس العاشر بإدانة كل أعمال الأب لوازي وتحويلها إلى لجنة محكمة التفتيش. وقام البابا بإصدار خطابين رسوليين لإدانة أي تفكير أو أي بحث علمي يدين أصول المسيحية وتاريخ الكنيسة الأولى. وكان على كل طالب علم في اللاهوت له ميول تتفق والتيارات المخالفة أن ينسحب أو يتم رفته.

وفي كتابه المعنون: «القديس» يقول الأب أنطونيو فوجاتسارو (A.Fogazzaro) «إن الكنيسة الكاثوليكية، التي تطلق على نفسها ينبوع الحقيقة، تعترض اليوم على كل من يقوم بالبحث عن الحقيقة بما أن أساسها وكتبها المقدسة وصياغة عقائدها ومعصوميتها من الخطأ المزعومة كلها أصبحت اليوم تمثل مجال أبحاث نقدية. وذلك يعني أنها لا تثق في نفسها» (القديس، صفحة ٢٤٢).

ومنذ ١٩٨١/١١/٢٩ تم ضم اللجنة الإنجيلية البابوية ولجنة عقيدة الإيمان (محاكم التفتيش السابقة) تحت رئاسة الكاردينال راتزنجر. وتحتل اللجنتان نفس المبنى في نفس العنوان، ولا حصر لعدد الذين تم تكميمهم أو طردهم من وظائفهم. ولاشك أن مستوى أو درجة تداخل اللجنتين في أبحاث مخطوطات قمران يثير الكثير من الشكوك

وفي نفس ذلك اليوم، ولنتأمل التاريخ، في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٤٧، قام السيد أ. ل. سوكنيك (E.L. Sukenik)، أخصائي علم قراءة النصوص القديمة، في مدينة القدس، بالإعلان عن القيمة المتفردة لكشف أثري هو: «مخطوطات البحر الميت» التي تم العثور عليها «صدفة» قبل ذلك بعدة أسابيع..

ولا نملك إلا أن نتساءل عن السبب الحقيقي في تأخير الإعلان عن تلك الاكتشافات رسميًا ودوليًا، عدة أسابيع.. كما لا نملك إلا أن نتساءل عن السبب الحقيقي الذي يكمن في الربط بين الحدثين في يوم واحد رغم الفارق الزمني والموضوعي بينهما حتى بات المشهد يبدو وكأن هناك عملية مقايضة ما: اعط، نعطي.. الأرض، والمخطوطات.. الأرض، أو الفضيحة.. وهو ما سوف نحاول استشفافه فيما بعد.

وقد أشار الصحفيان مايكل بيجنت وريتشاردلي إلى نقطتين لهما أهميتهما. الأولى عندما أكدا «أن الأب دي ثو وفريق العمل الخاضع له قد استبعدوا ودمروا بعض المخطوطات المورطة للكنيسة»، ويطرحان، هنا، سؤالاً له مغزاه: «ماذا لو اتخذت الحكومة الإسرائيلية إجراءات سلطوية وتأمر بالإفراج الفوري عن وثائق قمران؟».. وسؤال آخر: «كيف يمكن التأكد من أن بعض المعطيات التي يمكنها أن تضع الكنيسة في خطر لن ترى النور حقًا؟».

وأيًا كان المغزى الكامن خلف السؤالين، فالأمر الواضح هو أن هناك ثمة علاقة خبيثة بين الكيان الصهيوني – فهو المتحكم في المخطوطات حاليًا، وبين أمن واستمرارية وجود المؤسسة الكنسية برمتها. فاحتكار النصوص والتعتيم على نشر محتوياتها، وفرض القيادات الكنسية أن تتم الترجمة والتفسير بما يتفق وماتفرضه الكنيسة منذ نشأتها، وقيامها بعمليات ترويع واغتيال ولو أدبي لمن يعارض تعليماتها، مثلما حدث مع الأب دانيلو وجون الليجرو وغيرهما، إضافة إلى خشية أن تقوم الحكومة الإسرائيلية بالإفراج عن الجزء المخفي من الوثائق والذي قد يطيح بالكيان الكنسي برمته.. كلها دلالات تشير بالقطع إلى وجود حقائق أكبر وأخطر مما يتم الإفصاح عنه – وإلا لماذا الإصرار الضاري على إزاحة تاريخ هذه المخطوطات وتحريف نتائج تحليلها بكربون ١٤، ومحاولة فرض أنها سابقة بقرن على الأقل على أيام يسوع وليست مواكبة لحياته ولما بعدها؟

على هامش مخطوطات قمران

وعلى هامش متاهة مخطوطات قمران، ظهرت بضعة روايات مبنية على بعض المعطيات العلمية في إطار قصصي، تتفاوت فيها الحبكة الروائية بالأسلوب وربط هذه المعلومات التاريخية. ومنها رواية إيلييت أبيكاسيا (Eliette Abecassia) التي توضح، بعد استعراض الفقرة التقليدية من كيفية العثور عليها: «إن بعض هذه المخطوطات قد ضاعت، أو بمعنى أدق: قد تمت سرقتها.. وخاصة تلك المخطوطة المسماه «مخطوطة المسيح»، التي تعلم أنها تتحدث عن يسوع بصورة واضحة وخطرة بالنسبة للمسيحية(..) لأن كل من يهتم من قريب أو بعيد بمخطوطات البحر الميت عادة ما يتم العثور عليهم مصلوبين».

وهناك چاك داروت (J.Darotte) وروايته عن «**يسوع الناصري**» التي تناولها - وفقاً لقوله بصدق وبلا أية أفكار مسبقة وبطريقة عقلانية موثقة بأقصى درجات ممكنة حول موضوع شائك». وهو يتناول هذا الموضوع المتنازع فيه منذ قرون بعيدة، وكأنه مؤرخ. ويحاول المؤلف التوصل إلى السر المهول الذي يغلف حياة يسوع المسيح، الذي يعده أكثر الشخصيات أسطورية بصورة متناقضة، وأكثرها مجهولية.

وقد اعتمد تمامًا على التحليل الدقيق لمخطوطات البحر الميت، موضحًا بصورة يصعب وصفها، تأثير مخطوطة «قانون العدالة» على رسالة يسوع: «فمن الواضح أن يسوع لم يكن يمكنه أن يصل إلى هذه الدرجة من التشبّع بهذه القوانين، لو لم يكن قد عاشها لمدة سنوات طويلة (...) ولاشك في أن شخصية «يسوع الناصري» قد ازدادت وضوحًا بكل هذه الإيضاحات التي تجلت من المخطوطات».

ولعل أكثر الروايات التي أثارت زوبعة عاصفة هي رواية دان براون (Dan Brown) المعروفة باسم «شفرة دافنشي» التي بيعت منها عدة ملايين من النسخ وتمت ترجمتها إلى خمس وأربعين لغة!. والأدهى من ذلك أن الفاتيكان لم يتمكن من مصادرتها - وهنا ترتفع علامة استفهام حائرة بلهاء!. إلا أنه ألحقها بتكليف كاتبين بتكذيبها وتفنيد ما بها من معلومات، هما: «فك شفرة كود دافنشي»، و«تحقيق حول كود دافنشي». وارتفع عدد الكتب إلى سبعة عشر كتابًا لتكذيبها وكلها من كنسيين أو مدنيين تابعين للمؤسسة الكنسية أو بإيعاز منها.. إضافة إلى محاصرة متفردة في كافة صحف ومجلات العالم، العلمية والدارجة. ولا نذكر على سبيل المثال إلا مجلة «هيستوريا» (Historia) الفرنسية المشهود لها بوقارها وثقلها العلمي.. ولا نقول شيئًا عن كم البرامج التليفزيونية

والإذاعية في محاولة يائسة للنيل من هذه الرواية. واللافت للنظر في مجلة «هيستوريا» التاريخية العلمية إنها جاهدت للحفاظ على مستواها العلمي لذلك أتى العدد الصادر في مارس ٢٠٠٥ عبارة عن جزئين، ثلاثة أرباع العدد يهاجم الرواية، والربع الأخير يؤيدها، بدليل يصعب دحضه، إذ أنه يستند إلى أنجيل فيليب، الحواري الذي عاصر يسوع، ويقول إنه كان متزوجًا من مريم المجدلية إضافة إلى وثائق أخرى.

والرواية تقع في ٥٧٤ صفحة في الترجمة الفرنسية، والمعلومات التاريخية التي استند إليها في حدود خمسين صفحة على الأكثر، ننقل منه ما يلي:

- انتقاد البابا (ولا يذكر اسمه) الذي أعد المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني وأنه كان «قد شجّع التيار الليبرالي المقلق الذي كاد يعصف بمجمع الكرادلة، معلنا أن مهمته قائمة على إضفاء الشبابية على عقيدة الفاتيكان وتحديث الكاثوليكية عند مدخل الألفية التالية» (...) وهذه العبارات تعني أن سيادة البابا من الوقاحة بحيث يتصور أنه يمكنه إعادة صياغة العقائد الإلهية لإستعادة الأتباع الذين ولّوا من الكاثوليكية التي لم تعد تتواءم والعصر الحديث» (صفحة ١٨٦).
- «إن الحرب الصليبية الفظة التي قادها الفاتيكان لاقتلاع الديانات الوثنية وعبادات الألهة والتي امتدت ثلاثة قرون استعانت بوسائل مقنّعة بقدر ما هي مرعبة. فمحاكم التفتيش هي التي أدت إلى استصدار الخطاب الرسولي الذي يمكن وصفه بأنه أكثر الخطب إثارة للدماء في تاريخ البشرية. فالخطاب المعنون «مطرقة الساحرات» كان يرمي إلى غرس المسيحية وتجنيد المسيحيين دفاعًا عن أخطار «اللادينيات» بتعليم رجال الدين كيفية التعرف على هذه النساء، وكيفية تعذيبهم لتحطيمهن. وكانت الكنيسة تطلق اسم ساحرة على كل من المثقفات والمتدينات والبوهيميات ومحبات الطبيعة وعالمات النبات وكل «من كان يبدو عليها اهتمام ما بالحياة الطبيعة». وكانت الدايات (القابلات) مضطهدات لدرجة الموت لاستخدامهن «المجنون» لبعض الأعشاب التي تخفف من آلام الوضع. لأن هذه الألام في رأي الفاتيكان لم تكن إلا العقاب العادل لحواء التي أكلت تفاحة المعرفة بين الخير والشر التي أدت إلى الخطيئة الأولى. وخلال ثلاثمائة عام من التصدي «للساحرات» تم إحراق خمسة ملايين امرأة على المحرقة بأمر من الكنيسة» (صفحة ٢٥٢).
- «إن الكتاب المقدس عمل بشري كتبه العديد من البشر المختلفين، في فترات مختلفة وكثيراً ما كانت مضللة. وتطور باستمرار من خلال العديد من الترجمات، والإضافات والتعديلات، ولم يعرف أبدًا على مدى التاريخ صيغة نهائية» (صفحة ٢٨٩).

للتعتيم قد عاني الأمرين لمنع نشر هذه النصوص ونحن نتفهم بكل بساطة لماذا: لأن هذه النصوص تسلط الضوء على كل التناقض والاختلافات البحتة الواردة في إنجيل قسطنطين، وتؤكد أنها عبارة عن نصوص متراكمة وتمت صياغتها من أجل برنامج سياسي: تعميم عملية تأليه يسوع واستخدام نفوذها لتدعيم السلطة القائمة» (صفحة ٢٩٣ - ٢٩٤).

- «ما أود قوله هو أن جزءًا كبيرًا جدًا مما علّمته لنا الكنيسة - ولا تزال تعلّمه - حول يسوع عبارة عن زيف خاطئ بكل بساطة. وكذلك ما تقوله عن الكأس» (صفحة ٢٩٤).
- «كانت روما تريد إقناع العالم بأن النبي يسوع كان إلهًا. لذلك استبعدت كل القصص التي تثير ملامح إنسانية من حياته وللأسف كان هناك موضوعًا يتواتر في كل الأناجيل، وهو زواج يسوع من مريم المجدلية» (صفحة ٣٠٦).
- «يسوع كان يهوديًا، وفي أيامه كانت العذوبية مدانة في الواقع وكان على كل أب يهودي أن يبحث عن الزوجة الصالحة لابنه، وإذا لم يتزوج يسوع، كان لابد من الإشارة إلى ذلك على الأقل في أحد الأناجيل الأربعة ومعه تبرير لهذا الوضع غير المألوف» (صفحة ٣٠٧).
- «إن البرديات القبطية لنجع حمادي والمخطوطات الأرامية للبحر الميت تتضمن تناقضات مقلقة مع الأناجيل المتواترة التي نعرفها. ولنبدأ بإنجيل فيليب: «والمنقذ كان له رفيقة، مريم المجدلية. وكانت المفضلة لدى المسيح وكان يقبلها على فمها. الأمر الذي كان يحرج مشاعر باقي الحواريين الذين كانوا يعبرون عن عدم رضاهم. ويقولون ليسوع: لماذا تحبها أكثر منا؟» ثم يوضح الكاتب أن كلمة «رفيقة» بالأرامية كانت تعني «زوجة» (صفحة ٣٠٨).

والآية ليست وحدها التي تحمل هذا المعنى، ففي صفحة ٨٩ اللوحة ١٠٧ بند ٣٢ (من إنجيل فيليب) نطالع: «كانوا ثلاثة يمشون دائماً مع الرب: مريم أمه، وأخت أمه، ومريم المجدلية المعروف أنها كانت رفيقته (Koinonos) لأن مريم بالنسبة له كانت أختًا وأمًا وزوجةً (Koinonos).

وفي صفحة ١٠٧ اللوحة ١١١ بند ٥٥ نطالع: «... رفيقة (Koinonos) الإبن هي مريم المجدلية والرب كان يحب مريم أكثر من كل التلاميذ وكثيرًا ما كان يقبلها على فمها» («إنجيل فيليب» ترجمة چان إيف ليلو).

وتواصل الاستشهادات من الرواية:

- «ولقد قامت السلطات الفرنسية بمنع عرض فيلم مارتن سكورسيز: «الإغراء الأخير للمسيح» الذي كان يتناول فيه العلاقات الجنسية بين يسوع ومريم المجدلية. واتهم الحكومة بأنها خضعت لضغوط الأسقفية الفرنسية» التي وصفها بأنها وقحة وتواصل التعتيم بغباء (صفحة ٣٠٨ - ٣٠٩).
- «وأحد أسباب الحروب الصليبية كان البحث عن أية وثائق تتضمن هذه المعلومات لأن مريم المجدلية كانت تمثل خطرًا داهمًا للكنيسة آنذاك. فقد كان يسوع قد أسند إليها هي تكملة الرسالة (وليس إلى بطرس)، بل والأدهى من ذلك كانت تمثل الدليل المادي أن ابن الله الذي اخترعته الكنيسة قد أنجب خلفًا بشريًا! ولكي تحمي نفسها من نفوذ مريم المجدلية قامت الكنيسة بفرض صورتها كعاهرة ومحت اي أثر لزواجها بيسوع (...) وكان من المحال للكنيسة أن تستمر بعد نشر خبر إنجابه طفلاً. ولكي يمكن للمؤسسة الكنيسية إعلان أنها وحدها هي طريق الخلاص والحياة الأبدية، فكان لابد لها من تأكيد ألوهية المسيح» (صفحة ٣١٨).

وإذا ما حاولنا تلخيص تلك النقاط أو تلك الحقائق التاريخية التي أوردها دان براون في روايته، لرأينا أن الفاتيكان يستعين دائماً بمن يستكتبهم ليكذب من يتناول أية حقائق في أبحاثه، وانتقاد الفاتيكان لقيامه بعمل المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، وهو في الواقع يمثل نقطة فارقة في تاريخ الفاتيكان وخروجه عن المسيحية كما أوضح دان براون أن المسيحية قد انتشرت في القرون الأولى بفضل اقتلاعها للديانات الوثنية القائمة آنذاك، واستخدامها كافة وسائل الترويع وحرق المعارضين أو من يسببون أو يشكلون خطرًا، كما انتقد عقيدة الخطيئة الأولى، وقال إن الكتاب المقدس عمل بشري، وأن الكنيسة قد امتصت الديانات الوثنية ورموزها وعاداتها العبادية وضمتها للمسيحية، وقيام الكنيسة بفرض أن يسوع هو المسيح الذي أعلن الأنبياء عن قدومه وأن الفاتيكان قد استخدم مختلف الوسائل والأساليب للتعتيم على فحوى مخطوطات قمران ونجع حمادي، وأن كل ما تعلّمه الكنيسة عن يسوع عبارة زيف لا علاقة له بالواقع، وأنه كانت هناك حقيقة تتوافر في العديد من الأنجيل وهي: زواج يسوع من مريم المجدلية، وأن اكتشاف الأتباع لهذه الحقيقة كفيل بهدم الكيان الكنسي برمته.

وإذا ما تأملنا كل هذه النقاط لوجدنا أنها حقائق واردة في كافة الأبحاث التي بدأت تظهر منذ عصر التنوير، بشق طريقها بصعوبة فائقة، وتواصلت حتى يومنا هذا، بحيث

باتت مثل هذه المعلومات في الإصدارات التي طبعت في العقود القليلة الماضية وكأنها عبارة عن معلومات دارجة من كثرة ما صاحبها من دراسات تاريخية متعمقة قائمة على الوثائق والتحليلات اللغوية.

أي إن ما قام به دان براون هو إدماج بعض المعلومات أو المعطيات التاريخية في قصة روائية رائعة الحبكة، من خلال حوار مختصر، بسيط، بين أبطالها. ولعل السبب الأساسي في أن هذه الرواية لم تصادر فور ظهورها، مثلما حدث لكتب أخرى ولا يزال، هو عنوانها الذي أفلت من أيدي أعضاء لجان محاكم التفتيش التي تتابع كل الإصدارات الدينية أو المتعلقة بالدين المسيحي من أي زاوية من زواياه، حتى تتخذ الإجراءات المناسبة ضدها وفقاً لمدى خطورتها على ذلك البنيان العتيد.

وفي نبأ صادر عن وكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٢ أبريل ٢٠٠٥، بقلم باري جيمس، والموضوع أساسًا عن منظمة «أوبس داي» (Opus Dei) (عمل الرب) التبشرية السياسية الشديدة السلطة والنفوذ، ومقرها إسبانيا وينتهي المقال بعبارة: «إن الفاتيكان قد أسند حديثًا إلى كبير الأساقفة تارتشيزيو برتوني (Tarcisio Bertone) مهمة محاربة الهرطقات الواردة في رواية «دافنشي كود» (شفرة دافنشي) أكثر الروايات تحقيقًا لأرقام قياسية، لدان بروان التي يقول فيها إن أحد الأساقفة من منظمة «أوبس داي» أمر أحد الرهبان من المنظمة بالقيام بعملية اغتيالات.

وفي ١٥ أبريل ٢٠٠٥، وبينما مجمع الكرادلة مجتمعًا لانتخاب البابا الجديد خليفة الراحل يوحنا بولس الثاني، نشرت مجلة «نوفل أوبسرفاتير» الفرنسية (Nouvel Observateur) مقالاً حول اجتماع المجمع بقلم دانيل ولز يبدأ بالفقرة التالية: «بينما الكرادلة يعدون لاجتماع المجمع في أكبر سرية ممكنة، توجد منظمة كاثوليكية تلعب دورًا ضخمًا في انتخاب البابا الجديد: إنها المنظمة الشديدة التأثير والشديدة التعصب: «أوبس داي»، التي صورها دان براون الكاتب الأمريكي في أحسن الروايات تحقيقًا للمبيعات: «شفرة دافنشي». وبعد أن أوضح دانيل ولز أن اثنان من الكرادلة المجتمعين لاختيار البابا الجديد ينتميان إلى هذه المنظمة، يقول: «إن هذه المنظمة قد وضعت هدفاً لها هو إسناد دور أكثر فعالية للعلمانيين في عملية التبشير، وقد ساندها البابا يوحنا بولس الثاني بشدة طوال مدة بابويته، وقد انعكست هذه المساندة في سرعة إضفاء القدسية على مؤسسها خوزيه ماريا اسكريفادي بلاجير J.E.de Balaguer عام ٢٠٠٢، وبتعيينه أحد أعضائها خواكيم

نفارو فالس (J.Navarro - Valls) في المنصب الشديد الحساسية كمتحدث رسمي باسم الفاتيكان. فقد كان البابا يرى في هذه المنظمة وسيلة رائعة للتصدي للعلمانية المتزايدة في المجتمع ولتدعيم المواقف العقائدية المحافظة في العديد من المجالات». أما سوزان موتان (Suzanne Moutin) الراهبة بإحدى المجمعات الدينية فقد خرجت عن انتمائها وصمتها بكتاب عنوانه: «**المقاومة في كنيسة اليوم**» (أبريل ٢٠٠٥) لتوضح كيف أن منظمة «عمل الرب» هذه قد تم إنشاؤها رسميًا عام ١٩٢٤ أيام الجمهورية الإسبانية لمحاربة هذه الجمهورية وإعادة ملكية إلهية الحق، أثناء الحرب الأهلية الإسبانية.

وإن مؤسسها دي بلاجير قد هرب أولاً في فرنسا ثم عاد لينضم إلى منظمي الانقلاب في بورجوس وأصبح الرئيس الروحي لفرانكو وزوجته، أي الذي يتولى اعترافهما الديني كل أسبوع، واستقر معهما في مدريد وكانت المكاتب الأولى لهذه المنظمة في البداية بوزارة الداخلية في مدريد وتقول سوزان موتان، «إن طموح المنظمة آنذاك كان يرمي إلى القيام في رجيم فرانكو بنفس الدور الذي لعبته محاكم التفتيش أيام فيليب الثاني في القرن السادس عشر»، وهنا لابد من توضيح أن ما فعله فيليب الثاني هذا هو قمع المسلمين في غرناطة فيما بين ١٥٦٨ و١٥٧١ وهزم الأتراك في معركة ليپانت عند مدخل خليج كورنثيا باليونان. وهو ما يكشف عن ملمح أساسي وغير معلن لهذه المنظمة وهو: محاربة الإسلام.

إلا أن معرفة ازدهارها عند اختيار أحد أعضائها في منصب البابا، يوضح الكثير من الأمور المغيبة، وهو كارول ڤويتيلا، أسقف كراكوف، الذي عيّن في منصبه الجديد باسم البابا يوحنا بولس الثاني صاحب الحرب الشعواء على الإسلام والمسلمين بمسماها المهذب: «تنصير العالم» أو كما وصفه أحد صحفييّ جريدة «لوموند ديبلوماتيك» بإنه يسير على الإسلام بوابور زلط!

وتوضح الكاتبة، الراهبة السابقة «أنه عند اختياره بابا آنذاك، لم يكن أحد يعلم أنه ينتمي إلى هذه المنظمة. ولم يتم اكتشاف ذلك إلا عند طباعة أحد كتبه التبشيرية في مطابعها». وابتداء من ذلك الوقت تغير كل شيء بالنسبة لمنظمة «عمل الرب» إذ وضعها يوحنا بولس الثاني تحت إشرافه الوحيد والمباشر، بعيدًا عن سيطرة أي شخص آخر في التدرج الوظيفي للفاتيكان.

وبعد عشرين عامًا من البحث والدراسة والتنقيب ها هو رجل اللاهوت والصحفي الألماني بيتر هرتل (Peter Hertel) ينجح في اختراق جدار الصمت الذي يحيط بمؤسسة «أوبس داي»، رغم أنف رؤسائها ليصدر كتابًا بعنوان «المافيا المقدسة» وهو الأسم الشائع لهذه المنظمة في إسبانيا.

ويقدم بيتر هرتل العديد من الوثائق الخاصة التي تضفي أضواء جديدة على كتيبة الصدمات هذه التي تمثل الحاشية الحقيقية للبابا يوحنا بولس الثاني وهذه الوثائق الحديثة تكشف الكثير عن عمليات الرقابة، والجلد الذاتي، وفصل الرجال عن النساء في هذا التنظيم، وكيفية تجنيد الشباب منذ سن الرابعة عشرة كما يكشف المؤلف عن وجود خلايا سياسية واقتصادية ومالية في باريس وطوكيو، وزيورخ ومانيلا، ولندن وينما. وبفضل العديد من الخدمات الجماعية ومختلف المؤسسات التي تتخفى خلفها، استطاعت «المافيا المقدسة» من اختراق العديد من المنظمات الدولية ومنها الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة.

كما يصف بيتر هرتل بالأدلة والأسانيد كيف استطاعت هذه المنظمة أن تتسلق الدرجات العليا في الفاتيكان حيث أصبحت تحتل العديد من المناصب الحساسة. ولا يخفى على أحد وطأة وتأثيرها على الحكومة المركزية للكنيسة الكاثوليكية ولا الظلال التي تلقيها على اختيار البابا الجديد خليفة يوحنا بولس الثاني الذي جعل منها رأس الحربة الذي يستعين بها منذ انتخابه من عشرين عامًا.

ويبقى رد أحد أساتذة الجامعة العبرية وتعليقه على رواية «شفرة دافنشي» هو أفياد كلاينبرج (Aviad Kleinberg) وما كتبه في جريدة «هآرتس» اليومية. واللافت للنظر أن هذا المقال منشور، بعد حذف أجزاء منه، في موقع منظمة «أوبس داي» الإلكتروني. والغريب هنا أن تستعين منظمة كاثوليكية متعصبة بيهودي للدفاع عنها أو عن كيانها الكنسي، وعلى الرغم من محاولة كاتب المقال التقليل من قيمة المعلومات التاريخية التي يستشهد بها دان براون في روايته، والاستخفاف بها، ويبدأ بتفنيد قصة مريم المجدلية بأنها «يصعب تصديقها»، رغم وجود إنجيل فيليب في المكتبات وقد استشهدنا به. ويفند الوثائق التي اعتمد عليها دان براون ثم يقول: «إن المكتبة القومية في باريس، مثلها مثل المكتبة الجامعية والقومية اليهودية ومكتبة الكونجرس مليئة بمثل هذه الوثائق وهي ليست مسؤولة عنها»! ويتمادى في محاولة دفاعه الغريب عن هذه المؤسسة أو عن الكنيسة قائلاً: «إن الكنيسة أعربت عن احترام حقيقي للمرأة»، والمعروف أن الكنيسة كانت تعتبر المرأة «كائن بلا روح» لأكثر من ألف عام!

ودفن، ثم بُعث في اليوم الثالث وفقًا للنصوص وصعد إلى السماوات، ويجلس عن يمين الأب وسيعود ممجدًا ليحكم الأحياء والأموات، ولا نهاية لحكمه، و(نؤمن) بالروح القدس، الذي هو رب ويمنح الحياة، ومنبثق من الأب والذي تتم عبادته مشاركة مع الأب والابن، ويتم تمجيده مشاركة، وقد تحدث عن طريق الأنبياء، و(نؤمن) بكنيسة واحدة، كاثوليكية ورسولية واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وانتظر بعث الأموات وحياة العالم الآتي. آمين» (**المجامع المسكونية**، المجلد الثاني صفحة ٧٢)، وهذه هي عقيدة الإيمان الثانية. .

ونخرج من عقيدة الإيمان الأولى سنة ٣٢٥ بأن يسوع المسيح رب واحد وإله من إله، إله حقيقي من إله حقيقي، ونخرج من عقيدة الإيمان الثانية سنة ٣٨١ بأنه تجسد بشرًا عن طريق الروح القدس ومريم العذراء، وفي نفس هذه العقيدة الثانية تمت مساواة الروح القدس، الذي «يمنح الحياة» وعبادته مع الأب والابن - أي تكوين الثالوث المتساوي الأقانيم!

وفي مجمع أفسوس المنعقد سن ٤٣١ نطالع في البند التاسع: «إذا قال أحد أن الرب الوحيد يسوع المسيح قد تم تمجيده بالروح، وكأنه استخدم قوة خارجية تأتيه من الروح وأنه استلم قدرة العمل ضد الأرواح غير النقية وأن يقوم بعلامات إلهية بين الناس، **ولا يقول بالأحرى أن هذا الروح، الذي عمل من خلاله هذه المعجزات الإلهية، هو روحه الحقيقي**، ليكون ملعونًا» (**تاريخ المجامع** المجلد الثاني صفحة ١٤٥).

ونخرج من مجمع إفسوس المنعقد سنة ٤٣١ بأن الروح القدس هو روح يسوع. وإذا ما رجعنا إلى عقيدة الإيمان الثانية الصادرة سنة ٣٨١، نجد أن مريم العذراء قد حملت فيه عن طريق الروح القدس، وبما أن الروح القدس هو «الروح الحقيقي» ليسوع بناء على مجمع ٤٣١، فذلك يعني أن مريم العذراء قد حملت في ابنها يسوع عن طريقه، بما أنه الروح الذي حبلها!.

ونحن لا ندّعي أو نفتري أو نتلاعب بالنصوص بما أن مجمع القسطنطينية الثالث المنعقد سنة ٦٨٠ - ٦٨١م، يؤكد في عرضه لعقيدة الإيمان، التي وصل طولها إلى أكثر من ثلاث صفحات، بدلاً من عدة أسطر كما رأينا، ويعيد تأكيد «**أن يسوع المسيح قد ولده الأب قبل الأزمنة وفقًا للألوهية، وأنه في الأونة الأخيرة، ومن أجلنا ومن أجل خلاصنا، قد ولد عن طريق الروح القدس ومريم العذراء التي هي بكامل حقها حقيقة أم الله وفقًا للإنسانية**» (**تاريخ المجامع** المجلد الثاني صفحة ٢٨٥).

ولم نتناول هذه النصوص إلا لنوضح كيف نسجت المسيحية عبر المجامع على مر العصور، وكيف أن المتابع لتفاصيلها يرى يقينا كيف تم هذا النسيج بناء على الخلافات العقائدية السائدة وبناء على الأغراض السياسية المتحكمة. وكيف لا تزال المؤسسة الكنسية تجاهد للحفاظ على أساس أقل ما يقال عنه إنه يفتقد المصداقية التي تجاهد لإضفائها على كيانها.. فلولا كل هذا التلاعب الممتد وكل ما تختلقه هذه المؤسسة لتبرر ضرورة وجودها اعتمادًا على الأسرار التي لا يمكن لعقل أن يقبلها لما كان هناك ما يسمح لها بالاستمرار.

لذلك كتب إميل زولا، وهو من أهم من تعمقوا في الكشف عن خبايا ذلك المجتمع الكنسي، قائلاً في القرن التاسع عشر «لن تصل الحضارة إلى درجة كمالها إلا عندما يسقط آخر حجر من آخر كنيسة على رأس آخر قسيس»!

وعودة إلى رواية «شفرة دافنشي»، فقد تم الاتفاق بين شركة سوني - كولومبيا (Sony Columbia) والمؤلف على تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي وقد تقرر عرضه على الجمهور في ٦ يونية ٢٠٠٦ في مختلف بلدان العالم. والطريف في الموضوع هو موقف الكنيسة، وخاصة موقف مؤسسة «أويس داي» أو «عمل الرب» التي عهد إليها البابا بالرد على الرواية.

ففي ٢٠٠٦/٢/٤ أصدر المكتب الإعلامي لهذه المؤسسة بيانًا صحافيًا بشأن هذا الفيلم جاء فيه:

«لقد تعرضنا في الآونة الأخيرة إلى العديد من الأسئلة بشأن فيلم شفرة دافنشي، ونحن مصرون على إعادة ما سبق وأعلناه يوم ١٢ يناير الماضي: نحن لسنا على استعداد للمجادلة، ولن نلجأ إلى المقاطعة أو إلى أي شيء من هذا القبيل، وسوف نواصل التعامل مع هذا الموقف بالشفافية، والسكينة، والروح البناءة.

«إن شفرة دافنشي يقدم الكنيسة الكاثوليكية بصورة محرّفة والدعاية المواكبة لهذا الفيلم ستكون فرصة طيبة للكشف عن الوجه الأصيل للكنيسة(...).

«ولابد من الاستفادة وانتهاز الفرصة للتعريف بالخدمات التي يقوم بها الكاثوليك في إفريقيا منذ عدة قرون، وللتعاون والاستثمار مع العديد من المؤسسات التابعة للكنيسة في تلك القارة التي تمثل إحدى الأولويات الأكثر إلحاحًا في العالم.

«إن كثير من الأتباع مكدورين من عدم احترام «شفرة دافنشي» تجاه عقائد المسيحيين ونحن نود دعوة هؤلاء للتعبير عن عدم رضاهم بهدوء وبصورة بناءة، وذلك:

بالتعريف بأحد مشاريع التعليم أو التعاون التي يديرها الكاثوليك في إفريقيا؛ أو بالمساهمة في تمويلها ولو بقدر بسيط. ونحن نعلم أن مساعدة من هذا النوع ليست سوى مجرد تعبير رمزي، لكن لها أبعاد محددة وإيجابية (...) والتعريف بنشاطات التعاون التي تقوم بها الكنيسة في إفريقيا هي وسيلة لتحويل غضب الجماهير من «شفرة دافنشي» إلى ثمار إيجابية هي: التعريف بجهود الكنيسة الكاثوليكية تعد مساعدة حاسمة وفي نفس الوقت نحن نعتمد على حساسية شركة سوني - كولومبيا للتصرف بصورة بناءة»!

وهذه الصورة البناءة يشرحها الصحفي بيتر جيدييه في مقال صدر في اليوم التالي، يوضح أنه على الشركة أن تكتب صراحة في إعلاناتها: «أن أحداث هذا الفيلم والشخصيات الوارد ذكرها لا علاقة لها بالواقع ولم توجد أبداً، وهكذا سوف تقوم الشركة بمساهمة فعالة كبرى في الحوار بين الثقافات وتقوم بتشريف الاحترام الواجب لمؤسساتها.

ولا نظن أن التلاعب بالحقائق والأحداث بحاجة إلى تعليق..

● **المونتانية:** أو اتباع مونتانوس الزاهد، وقد تكونت هذه الجماعة وصمدت من القرن الثالث إلى الخامس إلا أنه قد تم سحقهم.

● **الأريوسية:** نسبة إلى القس أريوس في القرن الرابع والذي أدان الثالوث كما أدان تأليه المسيح. ويعد هذا المذهب من أعنف ما صادف الكنيسة الكاثوليكية من صراعات وقد أدانه مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، كما أدانه مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م. وسيستعين الكثير من الأتباع بآرائه لتكوين جماعات أخرى وأهمها البروتستانتية.

● **النستورية:** نسبة إلى باترياركَ القسطنطينية الذي رفض سنة ٤٢٠ الاعتراف بأن السيدة مريم «أم الله»، مقرًا يسوع المسيح كابن الله لكنه من «طبيعة بشرية»، وتمت إدانته ومات منفيًا إلا أن مذهبه استمر حتى القرن الربع عشر.

● **المونوفيزية:** أو اتباع أوطيخي الذي أقر في القرن الخامس إن المسيح ليس له إلا طبيعة إلهية فقط. أي أنه ينكر تجسد الله في المسيح. وتمت إدنته في مجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١م، إلا أن بعض الجماعات الأرثوذكسية قد تبنّت مذهبه، وانبثق منهم اليعاقبة ولا تزال بعض فرقتها موجود لليوم.

● **أنصار الإرادة الواحدة أو المونوتيلية:** ويسمونها هرطقة الباترياركَ سيرجيوس في القسطنطينية (٦١٠ – ٦٣٨) الذي حاول إعادة ضم أتباع الطبيعة الواحدة للكنيسة الكاثوليكية فاقترح أن تكون للمسيح إرادة واضحة، إرادة إلهية. وأدانته روما منذ سنة ٦٤٩ ثم أدانه مجمع القسطنطينية سنة ٦٨١م.

● **البلاجيانية:** نسبة إلى القس الإنجليزي الأصل ويدعي بيلاج واعترض سنة ٤١٦م على عقيدة «الخطيئة الأولى» وتمت محاربته هو وتلميذه سلستيوس، وقد اتهمه القديس أغسطين بالهرطقة.

● **الفودوا:** اتباع الراهب بيير ڤالدو (١١٤٠ – ١٢١٧) الذي أنشأ جماعة في فرنسا اعتمادًا على الكتاب المقدس وحده رافضًا كل ما ابتدعته الكنيسة الكاثوليكية من أسرار وطقوس، مناديًا بالتقشف، معترضًا على البذخ الكنسي. وقد أهلكه رجال الكنيسة إلا أن اتباعه قد فرّوا في الجبال وصمدوا للاضطهاد العنيف الذي لاحقهم خاصة في القرن السابع عشر، ولا تزال كنيستهم قائمة ولها اتباع في فرنسا وإيطاليا.

● **الكاتار:** وهي من كبرى «هرطقات» القرون الوسطى، وقد انبثقت من تعاليم ألمانيّة والغنوصية وتيارات أخرى مدينين الأسرار الكنسية وبدع العقائد، وحق الملكية لرجال الدين، وعُرفوا في فرنسا تحت اسم «الألبيجوا»، إلا أنهم قد أبيدو بحملة صليبية سنة

١٢٠٨م تولاها البابا إينوسنت الثالث وقادها على التوالي كل من سيمون دي مونفور ولويس الثامن.

● **اللولار:** أتباع رجل اللاهوت الإنجليزي جون ڤيكليف الذي تصدى فيما بين ١٣٥٠ و١٣٨٤ لتعسف السلطات الكاثوليكية وخاصة ضد سلطة البابا، معترضًا على بدع العقائد وخاصة بدعة الاعتراف، وقد أدانته المحكمة الدينية في لندن. إلا أن مجمع كونستانس قد أدانه بأثر رجعي سنة ١٤١٥م وأخرجوا رفاته من القبر سنة ١٤٢٨م وأحرقوه بتهمة الهرطقة ليكون عبرة لغيره.

● **الهوسيون:** أتباع اللاهوتي الكبير يان هاس الذي تم حرقه حيًا سنة ١٤١٥م لأنه تبنى أفكار جون ڤيكليف. وقد نجت مجموعة من أتباعه ولاتزال تعيش في مدينة براغ. وقد كان يان هاس عميدًا لكلية لاهوت مدينة براغ!

● **الجَنْسينية:** نسبة إلى الأسقف البليجيكي جَنْسينوس (١٥٨٥ - ١٦٣٨)، وهي من المذاهب التي هزت الكاثوليكية الفرنسية في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد حاصرتهم السلطة الكنسية والسلطة الملكية. وتم هدم معقلهم في دير «بور روايال دي شان» في ٢٩ أكتوبر ١٧٠٩. كما قام البابا كليمنت التاسع بإدانته الأتباع إلا أنه مازال منهم في هولندا والولايات المتحدة.

● **الطمأنينية:** وهي مذهب الكنيسة البدائية الأولى القائمة على الطمأنينة وعدم العنف. وتحولت إلى نوع من الصوفية من القرن الثالث عشر إلى القرن السابع عشر، وقد أدانها الباب إينوسنت الحادي عشر سنة ١٦٩١م. وانبثق منهم بعض فصائل البروتستانت والكويكرز.

كان هذا السرد الخاطف لأهم بعض الاعتراضات والمعارك التي واجهت الكنيسة الكاثوليكية، وكما يلاحظ فإن جميعها معارك قادها كنسيون ومنهم في أعلى الرتب، وذلك بخلاف المعارك التي أدت إلى انقسامات جذرية ومنها:

● **انقسام الأورثوذكس:** وقد بدأ من أيام المعارك حول التعريف المتضارب «لطبيعة المسيح»، طبيعة إلهية أم طبيعة بشرية، وكان الأباطرة البيزنطيون لا يتقبلون تحكم أو سيادة روما على الكنائس الشرقية. وتنوعت الصراعات الطاحنة التي مات خلالها البابا مارتان الأول سنة ٦٥٥م. وازداد الانقسام بين الكنيستين الشرقية والغربية، بل لقد كان في الواقع أشبه ما يكون بالصراع بين حضارتين تتواجهان سياسيا. وفي منتصف القرن التاسع اندلعت معركة داخل الكنيسة اليونانية تدخلت فيها روما لتسرع

أونفراي «ثقافة الموت، ثقافة الكراهية، ثقافة الاحتقار وعدم التسامح منذ أيام قسطنطين».

كما تم حرمان الوثنيين واليهود من الميراث، ومنعهم من الشهادة في المحاكم ضد المسيحيين، ومنذ ٥٢٩ فُرضت عقوبة الموت على كل من لا يقبل المسيحية ويدخل في ركابها، وفرض التعميد أو الطرد ومصادرة الأمول.

إن كلمات الوصايا العشر التي تبنتها الكنيسة كانت كافية لبناء دستور أخلاقي يمنع العنف وينادي بالسلام والمحبة والتسامح واستبعاد الحروب والعنف والجيوش المسلحة التي تفرض العقيدة قهرًا، كما كانت كفيلة بمنع عقوبة الموت والمعارك والحروب الصليبية ومحاكم التفتيش والاستعمار والقنبلة الذرية - التي أقر البابا يوحنا بولس الثاني استخدامها كطريق موصل للسلام!! كانت كفيلة لمنع الاغتيالات وكل ما أقترفته الأيادي العابثة بلا خجل وبلا رحمة باسم الدين.. دين المحبة والتسامح!

ويؤكد ميشيل أونفراي «**لقد تخلى المسيحيون مبكرًا عن تعاليم إنجيلهم وباعوا ضمائرهم للسلطة المدنية، فأحاطوا أنفسهم بالمذهبات من القصور والرياش وغطوا كنائسهم بالرخام والذهب، وباركوا الحروب التوسعية والغزوات العسكرية والعمليات البوليسية، وأصبحوا يجمعون الضرائب ويوقدون نيران المحارق وذلك بدأب عنيد منذ القرن الرابع (...) ويشهد التاريخ بأنهم تسببوا في قتل ملايين وملايين من البشر في كل القارات، لمدة قرون طويلة باسم «الله»، ممسكين الإنجيل بيد وبالسيف باليد الأخرى: وتوالت محاكم التفتيش، والتعذيب، والاستجواب، والحروب الصليبية، والإبادة، وأعمال النهب والسلب، والاغتصابات، والإعدام، وتجارة العبيد، والإهانة والاستغلال والقتل العرقي والقتل الجنسي، والمستعمرين الإسبان (الكونكويستادور) شديدي المسيحية في عمليات الإبادة، وتدخل الكنسيون في أيامنا في رواندا واغتيال مسلمي الهوتسي، والتحالف مع كافة أشكال الفاشية في القرن العشرين**» (صفحة ٢١٨ و٢١٩).

ونطالع في كتاب «مبحث في الإلحاد» كيف قام المسيحيون بتحويل اليهود إلى «قتلة الرب»، فمنذ ذلك الاتهام الذي تزخر به الأناجيل، التي تعد بحق المستودع الرسمي لمعاداة السامية، حتى اعتراف البابا يوحنا بولس الثاني بدولة إسرائيل في أواخر ١٩٩٣ مروراً بذلك التاريخ الممتد بين الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومية وكل ما يندرج تحت بند معاداة السامية في التاريخ من أحداث ووقائع - ولا ندافع هنا عن اليهود ولكننا نسرد التاريخ الكنسي.

ولأن اليهود تمسكوا بشرعهم ورفضوا الدخول في المسيحية فقد سامتهم المؤسسة الكنسية سوء العذاب، ولاحقتهم في كل مكان، وفرضت عليهم أحياء معينة يعيشون فيها وفرضت عليهم ارتداء قبعة صفراء موسومة بالصليب كنوع من الإهانة لرفضهم، كما طردوهم من الأماكن التي يقيمون فيها مثلما حدث في القرن الثاني عشر أيام حرب الاسترداد وطرد المسلمين واليهود من إسبانيا. ولا يسع المجال هنا لسرد كل عمليات القهر المتعمد ويكفي أن نطالع جزءًا مما أورده القس رنيه لورانتان، وكان من الآباء الاستشاريين الذين حضروا مجمع الفاتيكان الثاني. إذ يورد في كتابه عن «**الكنيسة واليهود في مجمع الفاتيكان الثاني**» جزءًا من لائحة محاكم التفتيش الصادرة في ١٥ سبتمبر ١٧٥١ والذي تم تعليقها في كافة الميادين وفي مدارس اليهود.. وهو كشف مكون من ٤٤ بندًا أورد منها ما ينص إجمالاً على:

- يمنع اليهود من شراء أو استلام أية كتب باللغة العبرية أو مترجمة من العبرية إلى أي لغة أخرى.
- ألا يقوموا بأية شعائر أو احتفال جنائزي أو حتى جنازة عند نقل موتاهم وهم في طريقهم إلى المقابر وإلا دفعوا غرامة، وحُرموا من الشمع، ويعاقبوا جسديًا هم وذويهم وأقارب الميت.
- عدم بناء أية معابد يهودية إضافة إلى ما يمتلكونها.
- يمنع أي يهودي أيًا كان أن يأوى في بيته أو دكانه، أن يأوى أي متعاطف أو أي فرد ميال لليهودية أو حتى إطعامه.
- تنفيذًا لما ورد في القرار البابوي لبولس الرابع والذي جدد العمل به البابابيوس الخامس، على اليهود رجالاً ونساءً أن يرتدوا العلامة الصفراء والتي تميّزهم عن باقي البشر، وأن يرتدوها في كل مكان حتى وسط اليهود وفي أي بلد، أي أن يرتديها الرجال على قبعاتهم وتحتها وتثبيتها حياكة وكذلك النساء.
- يمنع منح اليهود تصريح بأي استثناء لعدم ارتداء القبعة الصفراء.
- يمنع اليهود من توزيع أو بيع أي لحوم للمسيحيين يكونوا هم ذبحوها وإلا عوقبوا بالغرامة والسجن.
- يمنع اليهود من شراء ألبان أكثر من حاجتهم أو تصنيعها إلى جبن وبيعها للمسيحيين.
- يمنع اليهود من الاستعانة بمولدة أو داية أو مرضعة مسيحية وإلا عوقبوا بالغرامة والسجن.

- استمرارًا لما ورد في القرار الثالث للبابا بولس الرابع وفي القرار التاسع عشر للبابا كليمنت الثامن يمنع اليهود من اللعب والأكل والشرب أو أن تكون لهم أية علاقات أو محادثات خاصة مع المسيحيين.
- يمنع اليهود أيًا كانت أعمارهم أو نوعهم استخدام عربات الجياد لتنقلاتهم أو في أسفارهم وإلا عوقبوا بالغرامة والسجن.
- لا يمكن ليهودي أن يبيت خارج حيّ اليهود، وعليه أن يلتزم بمواعيد الدخول والخروج وألا يخرج قبل الموعد المحدد وإلا تعرض للسحل إن كان رجلاً وللجلد إن كانت امرأة.
- يمنع اليهود من السكن خارج حي اليهود ويمنعوا من الذهاب إلى أية أماكن ترفيهية أيًا كانت بزعم الترويح عن النفس.
- بما أن التبشير هو الوسيلة الأقوى والأكثر فعالية لتنصير اليهود، كما هو وارد في دستور نيكولا الثالث والدستور رقم ٩٢ لجريجوار الثالث عشر، فإننا نأمر الحاخامات أن يستخدموا كل نفوذهم ليذهب اليهود لحضور دروس التبشير أو المحاضرات التي تعطى يوم السبت أو أي يوم آخر.

توقيع في قصر محاكم التفتيش العالمية الرومية

في ١٥ سبتمبر ١٧٥١

يوسيبيوس أنطوان كالابريني

موثق محكمة التفتيش المقدسة الرومية والعالمية

(وارد بكتاب رنيه لورانتان صفحات ١٦ - ٢٠)

وحينما نطالع في نفس المرجع (في صفحة ١٠٣ و١٠٤) ما صدر في ٢٥ مارس ١٩٢٨ من نفس المكتب المقدس (وقد تغير اسمه وحزفت منه عبارة محاكم التفتيش لارتباطها في الأذهان بذلك السجل الدامي اللاإنساني الممتد عبر التاريخ) نطالع في البيان الذي أصدره الفاتيكان والمكون من اثنتى عشرة نقطة وندرك منه مدى التغيير الذي حدث في موقف الفاتيكان، وتنص هذه البنود على استبعاد عبارة «الشعب قاتل الرب»، واستبعاد ذكر عبارة «قتلة الرب»، وعدم استخدام عبارة تنصير اليهود وإنما أن يقال عودتهم للإيمان، وعدم التحدث عن صعوبة تنصيرهم، وعدم التحدث عن تلك القصص غير المعقولة التي تم نشرها ضد اليهود وخاصة قتلهم لأحد الأطفال المسيحيين في بعض طقوسهم، عدم التحدث عن احتفالاتهم، خاصة بعدم احترام، عدم التحدث معهم بالمبالغة أو التعميم أو بالسخرية، عدم التحدث بصورة معادية للسامية، ويراعى الإشارة

فلقد قامت الكنيسة بتوقيع تحالف مع هتلر ما أن وصل إلى الحكم سنة ١٩٣٣.. وصمتت الكنيسة على مقاطعة التجار اليهود، وصمتت عند إعلان الأحكام العنصرية في مدينة نارنبورج سنة ١٩٣٥، وصمتت أيضًا فيما يطلق عليها «ليلة الكريستال»، وهي الليلة التي قام فيها النازي بحرق مائة معبد يهودي وتكسير ونهب سبعة آلاف وخمسمائة محل يهودي. وقد تم إطلاق هذا الاسم سخرية من كثرة ما تم تكسيره من زجاج الفترينات ومحتوياتها في ٩ نوفمبر ١٩٣٨.. كما قامت الكنيسة الكاثوليكية بتقديم أرشيفها للنازي الذين أصبحوا يعرفون من هم مسيحيون ومن هم يهود - لكنها لم تقدم أسماء اليهود الذين اعتنقوا المسيحية أو تزوجوا بمسيحيات بعد اعتناقهم المسيحية. كما ساندت الكنيسة المدعو بالفيتش النازي في كرواتيا، ومنحت مباركتها المطلقة للنظام الفرنسي المتعاون مع الاحتلال الألماني منذ ١٩٤٠، كما أن الكنيسة الكاثوليكية الرسولية التي كانت على دراية تامة بسياسة الإبادة التامة منذ ١٩٤٢ لم تقم بأية إدانة لا سرّية ولا علنية..

بل على العكس من ذلك، أن الذي فعلته عند سقوط النازية هو إقامة قداس على روح أدولف هتلر!.. وبغض الطرف عن أيًا كان عدد ضحايا المحارق الجماعية، فإن الفاتيكان لم يقم بإدانتها وإنما قام بتنظيم مهرب لمجرمي الحرب خارج أوروبا بتقديم يد العون بأوراق ومستندات وتأشيرات بخاتمها.

وبينما شارك الفاتيكان بالصمت في تلك الأحداث فقد اتخذ العديد من التدابير ضد الشيوعية لاقتلاعها كنظام يمنع استغلال الدين لتحقيق مآرب سياسية ويلغي العبودية والاستعباد، وكلها أحداث لم يغلفها النسيان بعد.. فلقد برعت الأيادي العابثة في الكنيسة وبها في هدم الحضارات مثلما برعت في اقتلاع الآخر، ولم ينس التاريخ بعد سنة ١٤٩٢ التي لا تمثل اكتشاف العالم الجديد فحسب، وإنما تمثل في الواقع بداية هدم العوالم الأخرى واقتلاعها.. إن المرء ليقشعر وهو يقرأ مذكرات الأب بارتولوميه دي لاس كازاس، الذي سافر إلى هناك في موكب الاستعمار والتبشير، فانقلب إلى واحد من أوائل المدافعين عن حقوق الإنسان وراح يشكو للملك من كثرة ما رآه من أعمال وحشية ومجازر وتفنُّن في اختلاق وسائل تعذيب للسكان الأصليين!

فمن الواضح أن الميول الكنسية للإبادة الجماعية واقتلاع الآخر، التي تمتد جذورها إلى أولى أيام استتبابها وتتواصل في شتى بقاع العالم، وتكفي الإشارة إلى تسلل رجالها مع جيوش غزو احتلال العراق وتسلل رجالها في حملات تبشيرية متزايدة في العالم